

السَّيِّدُ جَعْفَرُ تَضَى الْعَالَمِي



عليه السلام

سيرة الحسين

في الحديث والتاريخ

الجزء الثالث



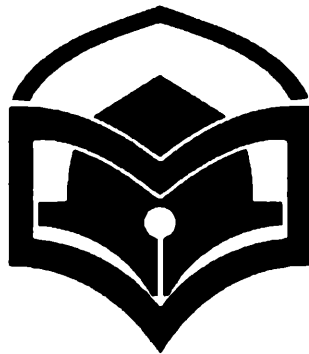
مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق السيد جعفر تضى العالمى

سيرة الحسن
عليه السلام
في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ



مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

Email: info@al-ameli.com

Website: www.nt-ameli.com

www.al-ameli.com

www.al-ameli.net

www.al-ameli.org

telegram: @alameli

دفتر مرکزی:

قم - خیابان ارم (آیت الله مرعشی) - کوچه

ارک - پلاک ۳۲ - ۳۴.

تلفن: ۰۲۵۳۷۷۳۵۰۰۸

همراه ۰۹۳۳۴۴۹۰۱۶۰

فکس: ۰۲۵۳۷۷۴۷۸۵۴

عَلَيْهِ سَلَامٌ
سِيرَةُ الْحَسَنِ
فِي الْحَدِيثِ وَالتَّأْرِخِ..

السَّيِّدُ جَعْفَرُ مُرْتَضَى الْعَالَمِيَّ

الجزء الثالث



مَكْتَبَةُ جَعْفَرِ مُرْتَضَى الْعَالَمِيَّ
السَّيِّدُ جَعْفَرُ مُرْتَضَى الْعَالَمِيَّ



الفصل الخامس:

لماذا عائشة؟!

بداية:

ذكرنا فيما تقدم شطراً مما يرتبط بموقف عائشة من الحسن والحسين «عليهما السلام»، مثل: أنها كانت تحتجب منهما، وقد أمرها النبي بحبهما، وأشرنا إلى موقفها من جنازة الإمام الحسن «عليه السلام»، حين أرادوا أن يدخلوه على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وأشرنا أيضاً إلى قيادتها للجيش لحرب علي وأبنائه يوم الجمل، بالإضافة إلى أمور عديدة أخرى تعلم بالمراجعة.

وبقيت أمور كثيرة يمكن الحديث عنها، نذكر بعضها في هذا الفصل.

ونرجى الباقي إلى المواقع المناسبة، فنقول:

تعليمين يا عائشة!!:

عن عائشة قالت: كنت عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فذكر علياً، فقال: يا عائشة، لم يكن قط في الدنيا أحد أحب إلى الله منه، وأحب إليّ منه، ومن زوجته فاطمة ابنتي، ومن ولديه الحسن والحسين «عليهما السلام».

يا عائشة، تعليمين أي شيء رأيت لابنتي فاطمة ولبعلها؟!

قالت: لا، فأخبرني يا رسول الله.

قال: يا عائشة، إن ابنتي سيدة نساء العالمين، وإن بعلها لا يقاس بأحد

من الناس، وإن ولديه الحسن والحسين هما ريجانتاي في الدنيا والآخرة.
يا عائشة، أنا وفاطمة، والحسن والحسين، وابن عمي علي في غرفة من
درة بيضاء، أساسها من رحمة الله تعالى، وأطرافها من عفو الله تعالى ورضوانه،
وهي تحت عرش الله تعالى.

وبين علي وبين نور الله باب ينظر إلى الله، وينظر الله إليه، وعلى رأسه
تاج قد أضاء نوره ما بين المشرق والمغرب، وهو يرفل في حلتين حمراوين.
يا عائشة، خلقت ذرية محبينا من طينة تحت العرش، وخلقت ذرية مبغضينا
من طينة الخبال، وهي في جهنم^(١).
ونقول:

تضمنت هذه الرواية أموراً يحسن لفت النظر إليها، نكتفي منها بما يلي:

علي أحب إلى الله، وإلى النبي ﷺ:

ذكرت الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله»، قال لعائشة عن علي
«عليه السلام»: «لم يكن قط في الدنيا أحد أحب إلى الله منه، وأحب إلي منه،
ومن زوجته فاطمة ابنتي، ومن ولديه الحسن والحسين «عليهما السلام»»،
فيلاحظ:

١ - إنها تؤكد على حقيقة: أن علياً وزوجته وولديه «عليهم السلام» هم
أحب من في الدنيا إلى الله ورسوله.

(١) الفضائل لابن شاذان ص ١٦٩ و ١٧٠ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٧٨ و ٧٩ والروضة
في فضائل أمير المؤمنين لابن شاذان ص ٢١٢.

٢ - إنه قد ذكر ابنته فاطمة، ووصفها: بأنها زوجة علي أولاً، ثم ذكرها باسمها ثانياً، ثم نسبها إلى نفسه ثالثاً.. ربما زيادة في تكريمها، وليسلب المصطادين في الماء العكر أية إمكانية لإثارة أية شبهة، مهما كانت تافهة..

فلم يقتصر على ذكر زوجيتها لعلي «عليه السلام»، لكي لا يدّعي أحد كذباً وزوراً: أن لعلي زوجة غيرها.. فإن هذه الكذبة قد تحدث شبهة لدى بعض الجاهلين، وقد يستفيد منها المغرضون وأعداء الدين، ولو بعد مئات السنين، كأساس لاختلاق بعض الأقاويل، ولذلك صرح باسمها «عليها السلام».

ثم هو لم يكتف بذلك، حتى لا يزعم زاعم: أن الفواطم كثيرات، فلعل مراده امرأة أخرى تسمى بفاطمة، فصّرّح «صلى الله عليه وآله» بنسبتها إليه، مصرحاً: بأنها ابنته «صلى الله عليه وآله».

٣ - يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل: ليس في الدنيا أحد أحب.. بل قال: لم يكن قط في الدنيا أحد..

فيلاحظ هنا:

ألف: أن اختياره «صلى الله عليه وآله» التعبير الثاني دون الأول، قد يكون سببه أن غاية ما يفيد التعبير الأول: هو نفي وجود من هو أحب إلى الله تعالى، وإليه «صلى الله عليه وآله» في خصوص تلك اللحظة من الزمان، التي يطلق فيها كلمته هذه.. مع أنه يريد أن يقول: إنه لم يكن هناك مخلوق أحب إلى الله وإليه..

ب: وإنما أضاف كلمة «قط»، ولم يقل: لم يكن أحد أحب، لأن هذه الكلمة الثانية، وإن كانت تفيد نفي وجود مخلوق له هذه الصفة، وهي: أنه

الأحب إلى الله..

إلا أنه قد يقال: إنها إنما تنفي خلقه، ووجوده في زمانه «صلى الله عليه وآله»، مع أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يقول: إنه لم يخلق، ولم يوجد، لا في زمانه «صلى الله عليه وآله»، ولا في أي من الأزمنة التي خلت، من هو أحب إلى الله منه.. فكلمة «قط» هي التي أفادت هذا التعميم.

ج: وإذا علم أنه سبحانه لم يخلق في هذا الزمان، ولا في أي زمان سابق من هو أحب إليه وإلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وضممنا إليه: أن الله تعالى قد خلق قبل علي الأنبياء، وفيهم أولو العزم، والرسل، فذلك يعني: أن علياً «عليه السلام» أحب من خلقه الله منذ الأزل، وإلى الأبد، إلى يوم القيامة.. وذلك للعلم: بأن الله تعالى لن يخلق بعد نبينا من يداني علياً «عليه السلام» في الفضل والكرامة، لأن بعث الأنبياء، وإرسال الرسل قد ختم بنبينا «صلى الله عليه وآله»..

ولم يبق إلا باقي الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام»، ولا ريب في أنهم لا يتقدمون على علي، وزوجته، وولديه.

د: لا حاجة إلى التذكير: بأن حب الله تعالى لعلي «عليه السلام» ومن معه ليس محاباة ومجاملة، ولا هو لأجل قرابة، ولا لأجل منفعة تصل إليه منهم.. فإنه تعالى منزّه وغني عن ذلك وأشباهه، بل هو يحبهم، لفضلهم ولكمالهم، وتضحياتهم وجهدهم، وجهادهم، وعلمهم، ومعرفتهم به تعالى، وطاعتهم له، وفنائهم فيه، وشدة حبهم له سبحانه وتعالى..

كما أن حب النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي وأهل البيت «عليهم السلام»،

ليس لأجل صلة القرابة، بل لنفس ما يعلمه من هؤلاء الصفوة من ميزات، وصفات، وسما، وتضحيات، وطاعة لله ورسوله، ومحبة لهما، وغير ذلك..
 هـ: من المعلوم: أن هذا الحب العارم لا يكون لمن يخطئ، ويصيب، ويطيع ويعصي، لأن الله ورسوله إنما يحبان المطيعين، والمخلصين - بفتح اللام - والمعصومين.

و: إن هذا الكلام عن حب الله تعالى هؤلاء الصفوة، لا يعني تقدمهم عند الله على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه.. لأن هذا الخبر لا يشمل قائله، بل هو من قبيل العموم الأفرادي، الذي يلاحظ المصاديق في خصوصياتها، وفي وجوداتها المتعددة..

وليس من قبيل الحكم المعلل، الذي يُنظر فيه إلى العلة، لتكون هي المعممة والمخصصة له.

وقد أضاف بعض الإخوة الأكارم قوله:

إن المتكلم هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن المفروض، المفروغ عنه بين المتكلم والمخاطب، بل وسائر الناس: أنه أفضل الخلق وأحبهم إليه تعالى، فلا يتوهم سامع تقدّم هؤلاء عليه «صلى الله عليه وآله» نفسه.

هذا، مضافاً إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» جعل نفسه في هذا الحديث أصلاً إلى جانب ربه، فقال: «لم يكن قط أحدٌ أحب إلى الله، وأحب إليّ منه الخ..».

مما يعني: أن المقياس: هو الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، فالحب حبهما، والبغض بغضهما.. نظير قرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله في الأصالة

والمقايسة، ومع مثل ذلك، لا يصح تقدم أحد عليه «صلى الله عليه وآله». ز: يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» تحدث بصيغة النفي والإثبات.. ربما ليشير إلى أنه إنما ينفي وجود الفرد الذي بهذه الصفة. ح: إن كلمة «قط» أبعدت أي احتمال للمجاز والمبالغة في هذا النفي والإثبات.

ط: والأهم من ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» بدأ كلامه بالإخبار عن أمر غيبي لا يعلم إلا بالوحي، حين ذكر أن الله لم يخلق منذ الأزل أحداً يحبه الله إلى هذا الحد.. فلا معنى لاحتمال أن يكون «صلى الله عليه وآله» يتكلم من موقع الشعور الشخصي، بل هو يتكلم بما هو نبي لا ينطق عن الهوى. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في الفصل المتقدم أيضاً..

عائشة ليست أحب:

وهذا الذي ذكرناه آنفاً يدل على عدم صحة:

١ - ما يروى عن عمرو بن العاص، المبغض لعلي وأهل بيته، من أنه سأل النبي «صلى الله عليه وآله»: من أحب الناس إليك؟! قال: عائشة.

قال: إنما أقول: من الرجال.

قال: أبوها^(١).

(١) الجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٧٠٦ و ٧٠٧ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٣٦٤ و ٣٦٥ و فضائل الصحابة ص ٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٧٦ و ج ٨

ص ٦٧ والمستدرک للحاکم ج ٤ ص ١٢ وتاریخ مدینة دمشق ج ٣ ص ١٩٩ وج ٣٠
ص ٢٧ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ وج ٤٤ ص ٢٢١ وج ٤٦ ص ١٤٧
والکشف الحیث ص ١٤١ والسنن الکبری للبیهقی ج ٦ ص ٣٧٠ وج ٧ ص ٢٩٩
وج ١٠ ص ٢٣٣ وعمدة القاری ج ١٦ ص ١٨١ وج ١٨ ص ١٣ ومنتخب مسند
عبد بن حمید ص ١٢١ والسنة لابن أبي عاصم ص ٥٦٤ والسنن الکبری للنسائی
ج ٥ ص ٣٩ وصحیح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ و ٣٢٦ وج ١٦ ص ٤٠
والمعجم الکبیر ج ٢٣ ص ٤٣ و ٤٤ والإستیعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤
ص ٣٥٨ و (ط دار الجیل) ج ٣ ص ٩٦٧ وج ٤ ص ١٨٨٣ والریاض النضرة ج ١
ص ٣٣ و ١٣٥ و ٢٦٧ وکنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٢ ص ٥٠٠ وفیض
القدير ج ١ ص ٢١٨ ومعالم التنزیل ج ٤ ص ٢٠٧ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤
ص ٢١٨ والإحكام لابن حزم ج ٣ ص ٣٢٦ ولسان المیزان ج ٣ ص ٢١٦ وذكر
أخبار إصبهان ج ٢ ص ١٣٢ وأسد الغابة (ط سنة ١٤١٥هـ) ج ٧ ص ١٨٨ و
(ط دار الكتاب العربی) ج ٥ ص ٥٠٣ وتهذیب الکمال ج ٣٥ ص ٢٣٥ وسیر
أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٤٢ و ١٤٧ و ١٤٨ والإصابة (ط دار الکتب العلمیة) ج ٤
ص ١٤٩ وتهذیب التهذیب ج ١٢ ص ٣٨٦ وأنساب الأشراف ج ١٠ ص ٦٦
وتاریخ الإسلام للذهبی ج ٤ ص ٢٤٦ والوافی بالوفیات ج ١٦ ص ٣٤٢
والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربی) ج ٣ ص ٢٨٣ وج ٥ ص ٢٣٨ وج ٨
ص ١٠٠ وتاریخ الخلفاء للسيوطی ص ٥٢ والسيرة النبوية لابن کثیر ج ٢ ص ٣٣٣
وج ٣ ص ٥٢٠ و ٥٢١ وج ٤ ص ٤٣٥ وسبل الهدی والرشاد ج ١١ ص ١٧٠ و
٢٥٥ ونهاية الأرب ج ١٨ ص ١٧٥ وج ١٩ ص ٢٢ ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٠٣
وصحیح البخاری (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٩٢ وج ٥ ص ١١٣ وصحیح مسلم
(ط دار الفكر) ج ٧ ص ١٠٩ وراجع: عیون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٠٢ وكتاب
سليم بن قيس ص ٢٧٧ والصوارم المهركة ص ٣٢٢ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢٢٤

وروي نفس هذا المعنى عن أنس أيضاً^(١).

ب: عن عائشة قالت: «وكنْتُ أحب نساءه إليه، وكان أبي أحب أصحابه إليه»^(٢).. فإن كان المراد بالنساء: الزوجات، فلا يشمل كلامها الزهراء «عليها السلام».. لكن خديجة، وأم سلمة كانتا أحب نساء النبي «صلى الله عليه وآله» إليه.. كما أن أبا بكر، لو صح أنه أحب أصحابه، مع أن سلمان من أهل البيت، كما قال «صلى الله عليه وآله».. فإن كلمة أصحابه لا تشمل علياً «عليه السلام»، لأنه هو نفس رسول الله بحكم آية المباهلة.

ج: قالت عائشة: إن خولة بنت حكيم بن الأوقص عرضت على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يتزوج، إن شاء بكراً، وإن شاء ثيباً.

قال: فمن البكر؟!!

قالت: بنت أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر^(٣).

وج ٤٩ ص ١٩٢ ونخبة اللآلي ص ٧٧.

(١) راجع المصادر في الهامش السابق وغيرها.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٧٨ وراجع ١٧٩ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٢٣٤ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ٣٠ وراجع ص ٣١ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٤٧ وراجع: تخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٤٢٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ١٠١.

(٣) الإصابة ج ٤ ص ٣٥٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٢٣٢ وأسد الغابة (ط سنة ١٤١٥ هـ) ج ٧ ص ١٨٧ و (ط دار الكتاب العربي) ج ٥ ص ٥٠٢ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٣ ومسند أحمد ج ٦ ص ٢١٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٥ ومسند ابن

ونقول:

- ١ - إن الحديث المتقدم يدل على عدم صحة هذه الأقاويل..
- ٢ - الحديث الذي ترويه عائشة عن نفسها، أو يرويه عمرو بن العاص لصالحها لا يمكن القبول به، لأن ابن العاص من مبغضي علي «عليه السلام». وكذلك عائشة، فقد حاربته وهي تجر النار إلى قرصها بمثل هذه الأمور.
- ٣ - ما ذكرته عائشة عن خولة بنت حكيم لا يمكن الاعتماد عليه أيضاً، لأنه تضمن ما يوجب الريب والشبهة..
- فأولاً: ليس فيه حديث عن حب النبي «صلى الله عليه وآله» لعائشة، وإنما فيه حديث عن حبه لأبي بكر.
- ثانياً: قولها: إن عائشة حين تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت بكراً، مع أن أبا داود وغيره قد رووا بالأسانيد الصحيحة: أنها طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكتنيها، فقال لها «صلى الله عليه وآله»: فاكتني بابنك عبد الله، أو قال: اكتني بابنك^(١).

راهويه ج ٢ ص ١٤ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٨٩ والمعجم الكبير ج ٢٣ ص ٢٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٤١١ و ٤١٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٣ ص ١٦٢ وإمتاع الأسماع ج ١١ ص ٢٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٤٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٢.

(١) سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٩٤ (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٤٧١ بعدة أسانيد، والأذكار النووية ص ٢٩٥ والمجموع للنووي ج ٨ ص ٤٣٨ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٣ ص ١٨ بعدة أسانيد، وكنز العمال ج ١٦ ص ٤٢٤ ومسند أحمد ج ٦ ص ١٠٧ و

ثالثاً: إن حديث الطير الذي رواه أنس يكذب هذه المزاعم أيضاً، فهو يقول: إنه أهدي للنبي «صلى الله عليه وآله» طائر مشوي، فدعا الله أن يأتيه بأحب الخلق إليه يأكل معه.. فجاء علي ثلاث مرات يدق الباب، فإردده أنس^(١)، فكيف يصح ما قالته خولة؟!

على أن أنساً كان أحد الثلاثة الذين كانوا يكذبون على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»^(٢).. وإنما كان

١٥١ و ١٨٦ و ٢١٣ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٣١٥ و ٩٣ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٨ وراجع: الغدير ج ٦ ص ٣١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٦٤ و ٦٣ وصبح الأعشى ج ٥ ص ٤٠٩ والعلل لأحمد بن حنبل ج ٣ ص ٢٤٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٤.

(١) الأُمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة سنة ١٤١٧هـ) ص ٧٥٣ وراجع: روضة الواعظين ص ١٣٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١٥ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ١٣٨ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٦ والعمدة لابن البطريق ص ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥١ والطرائف لابن طاووس ص ٧٢ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٥٢ و ٣٥٥ وج ٥٧ ص ٣٠١ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٤٦ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ١٤١ و ١٤٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٢٨ و ٣٤٦ وحلية الأولياء ج ٦ ص ٣٣٩ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ١٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٥٣ وج ٥١ ص ٦٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٣٣ ونهج الإيمان ص ٣٣٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٢٠٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ١٩١.

(٢) الخصال ج ١ ص ١٨٩ و ١٩٠ والإيضاح لابن شاذان ص ٥٤١ وبحار الأنوار ج ٢

يفعل ذلك لمصلحة خصوم علي «عليه السلام»، فيكون ما قاله في حديث الطير قد جاء على قاعدة: والفضل ما شهدت به الأعداء.

وهناك الحديث الذي يقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» سئل: من أحب الخلق إليه، فقال: فاطمة.

فسألوه عن الرجال، فقال: زوجها، أو بعلها، أو نحو ذلك^(١).

ص ٢١٧ وج ٢٢ ص ١٠٢ و ٢٤٢ وج ٣١ ص ٦٤٠ وج ١٠٨ ص ٣١ ومعجم رجال الحديث ج ٤ ص ١٥١ وج ١١ ص ٧٩ ومستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٨١.

(١) ربيع الأبرار ج ١ ص ٨٢٠ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ٢ ص ١٩٤ و ٤٧٠ وشرح الأخبار ج ١ ص ١٤٠ و ٤٢٩ وج ٣ ص ٥٥ وعيون المعجزات ص ٥٠ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١١١ والطرائف لابن طاووس ص ١٥٧ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٢٧٢ وج ٣٥ ص ٢٣٠ وج ٣٨ ص ٣٠٧ و ٣١٣ وج ٤٣ ص ٣٨ و ٥٣ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ١٤٥ و ١٤٦ و ١٥١ و ٢٣٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج ١ ص ٣٠٢ والغدير ج ٣ ص ٢٤ وج ٩ ص ٣٩٥ وج ١٠ ص ٨٦ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٢٣٤ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٦٠ و ٣٦٢ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٥٥ و ١٥٧ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٤٠ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١١٠ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ١٩٩ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٤ ص ١٨٩٧ والرياض النضرة ج ٣ ص ١١٥ ونظم درر السمطين ص ١٠٢ و ١٧٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ١٤٥ و ٢٥٥ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٤ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٥ و ١٣١ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص ١٧ وربع الأبرار ج ٢ ص ١٦٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٤٤ و ٦٣٣ و ٦٣٥ والمستطرف للأبشيحي ج ١ ص ٢٤٢ والمسترشد للطبري

أما قول عائشة: إنها أحب نساء «صلى الله عليه وآله» إليه، فغاية ما يدل عليه: أنها تدّعي: أنها أحب نساء النبي إليه، كما هو ظاهر إضافة كلمة «نساء» إلى الضمير العائد إليه «صلى الله عليه وآله».. وهذا هو القدر المتيقن من كلامه، فلا يعلم شمول كلامها للزهراء «عليها السلام»، ولا يدل على أنها أحب النساء اللواتي في الأمة إليه..

على أن هذا لا يدل على أنه كان يحبها أكثر من خديجة، لأنها لم تجتمع معها في بيت الزوجية، كما أن هذا الكلام الذي تجر فيه عائشة النار إلى قرصها ليس مسلماً لدى الباحثين. ولهذا البحث مجال آخر.

علي عليه السلام ينظر إلى الله!! والله ينظر إليه:

وذكرت الرواية المتقدمة: أنه «بين علي وبين نور الله باب ينظر إلى الله، وينظر الله إليه، وعلى رأسه تاج قد أضاء نوره ما بين المشرق والمغرب، وهو يرفل في حلتين حمراوين».

ونقول:

إن هذه التعابير تحمل في طياتها معاني وإشارات نذكرها كما يلي:
أولاً: صرحت هذه الفقرة: بأن الباب هو بين علي «عليه السلام» وبين

ص ٤٤٩ و ٤٥٠ والفضائل لابن شاذان ص ١٦٩ وذخائر العقبى ص ٣٥ و ٦٢ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ١٢٦ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٩٥ والمناقب للخوارزمي ص ٧٩ وكشف الغمة ج ١ ص ٩٤ وج ٢ ص ٩٠ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٥٣ وينايع المودة ج ٢ ص ٣٩ و ٥٥ و ١٥١ و ٣٢٠ واللمعة البيضاء ص ١٧٩ والنصائح الكافية ص ٥٠.

نور الله عز وجل، فعلي «عليه السلام» ينظر إلى الله من خلال الباب الذي يوصله إلى نوره تعالى - فالذي يراه علي «عليه السلام» هو نور الله.. لا نفس الذات الإلهية - فإنه تعالى يجلّ عن أن يرى، أو أن يكون جسماً، أو في جهة، أو في مكان.

والمراد بنور الله: هو نور العظمة التي تتجلى في مخلوقاته، وعظمة ملكوته، وجليل وجميل صنعه، وعدم تناهي قدرته.. وأعظم تجليات عظمته تعالى في مخلوقاته هو النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي وأهل البيت «عليهم السلام»، فهم الآية الكبرى، والدلالة العظمى.

كما أن الله تعالى ينظر إلى علي «عليه السلام» بعين التكريم، والحب، والإنعام، ورفع الدرجات، والتأييد، والتسديد من موقع التوفيق والرعاية. ثانياً: إن الذي على رأس علي «عليه السلام» هو تاج الكرامة الإلهية، وإمامة الأمة وهو هاديها، وقائدها، وراعيها، من موقع العلم، وبالمعرفة، الزاخرة بالهدايات والدلالات، وبالتدبير من موقع المسؤولية، وهو أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين.

وبهذا المعنى يكون تاج الإمامة هذا، يشع بالهدى فيضيء الطريق للخلائق، الذين هم ما بين المشرق والمغرب.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» يرفل في حلتين حمراوين:

أولاهما: ترمز لجهاده، وتضحياته، وخوض الغمرات، والفداء بسيفه ونفسه منذ أشرقت أنوار دين الله، بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وثانيهما: ترمز لمقام الشهادة الذي أكرمه الله تعالى به، وإلا فلماذا وصف

«صلى الله عليه وآله» الحلتين بالحراروين؟!

مع النبي في الجنة!!:

وتذكر الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «يا عائشة، أنا، وفاطمة، والحسن والحسين، وابن عمي علي في غرفة من درة بيضاء، أساسها من رحمة الله تعالى، وأطرافها من عفو الله تعالى ورضوانه.. وهي تحت عرش الله تعالى».

ونقول:

١ - إذا كان موقع هؤلاء الصفوة في الجنة، في غرفة، من درة بيضاء، تحت عرش الله..

وإذا كانت عائشة أحب الناس إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فلماذا لم تكن معه، ومع علي وفاطمة والحسين «عليهم السلام»، في الغرفة التي هي درة بيضاء تحت العرش؟!

٢ - لو كانت لعائشة هذه المكانة عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانت أحب الناس إليه، فلماذا أوصت أن لا تدفن معه «صلى الله عليه وآله» في حجرته؟! لأنها قد أحدثت بعده، حسب اعترافها^(١).

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٧٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٢٩ والمستدرك للحاكم ج ٤ ص ٦ وج ٨ ص ٧٠٨ ومسند ابن راهويه ج ٢ ص ٤٣ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٩٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٢٣٠ والمعارف لابن قتيبة ص ٨٠ و (ط دار المعارف بمصر) ص ١٣٤ وشرح إحقاق

ولماذا كانت تتمنى أن تكون نباتاً من نبات الأرض، ولم تكن شيئاً
مذكوراً؟! (١) ..

أو ورقة من شجرة (٢) ..

أو شجرة أو حجراً أو مدرة (٣) ..

أو أن تكون نسياً منسياً (٤) ..

الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٤١١ عن أخبار النساء في العقد الفريد (ط دار
الكتب العلمية - بيروت) ص ١٥٨ وراجع: الكافئة للشيخ المفيد ص ٤٠ وبحار
الأنوار ج ٣٢ ص ٣٢٧ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٤٥ وقاموس الرجال للتستري
ج ١٢ ص ٢٩٢.

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٧٦.

(٢) راجع: مسند ابن راهويه ج ٢ ص ٤١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٧٥
وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٨٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٢٥٣.

(٣) راجع: مسند ابن راهويه ج ٢ ص ٤٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٧٤
وشرح الأخبار ج ٢ ص ٧١ والشافعي في الإمامة ج ٤ ص ٣٥١.

(٤) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ ومسند أحمد ج ١
ص ٢٧٦ و ٣٤٩ وفتح الباري ج ٨ ص ٣٧٢ ومسند ابن راهويه ج ٢ ص ٤٠ و
٤٢ ومسند أبي يعلى ج ٥ ص ٥٧ وصحيح ابن حبان ج ١٦ ص ٤٢ والمعجم الكبير
ج ١٠ ص ٣٢١ وأسباب نزول الآيات ص ٢١٩ والدر المنثور ج ٥ ص ٣٧ وسير
أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٨٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٢٥٣ والبداية
والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ١٠١ وسبل الهدى والرشاد ج ١١
ص ١٦٩ - ١٧٠ و ١٧٧ وج ١١ ص ١٨١ ونهج الحق ص ٣٧٠ و (المطبوع مع
دلائل الصدق) ج ٣ ق ٢ ص ١٥٦ والمناقب للخوارزمي ص ١٨٢ والمنتظم ج ٥

أو أن الله تعالى لم يكن قد خلقها شيئاً قط؟! (١).

ألا يدل ذلك كله: على أنها لم تكن واثقة بأنها ستكون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فإنها لو كانت على يقين من ذلك، لكانت ترى موتها فوزاً، ولم تكن لتختار أن تدفن بعيداً عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

أساس الغرفة وأطرافها وموقعها وبياضها:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الغرفة التي هي من درة بيضاء، تكون تحت العرش، «أساسها من رحمة الله تعالى، وأطرافها من عفو الله ورضوانه». لعل هذه الفقرات ترمز إلى معاني وحالات معينة - يصعب علينا فهمها، أو لا نملك دليلاً قطعياً عليها، ولعل منها:

١ - إن كون الدرة التي تحتضن هؤلاء الصفوة بيضاء، ربما أريد به الإلماح إلى شدة نقاء ضمائرهم، وصفاء عنصر أهل البيت، وطهارة ذواتهم «عليهم السلام»، وأن ذلك هو الميزة الظاهرة فيهم، وفي كل المحيط الذي يعيشون فيه.

٢ - إن كون هذه الغرفة الدرّية الصافية تحت العرش ربما يراد له أن يرمز

ص ٩٥ وأنساب الأشراف، ترجمة الإمام علي «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ص ٢٦٥ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٨٤ و ١٨٥ وتذكرة الخواص ج ١ ص ٣٩٥ و ٣٩٦ والغدير ج ٧ ص ١٥٥ وراجع: لسان العرب ج ١٤ ص ١٢٣ وتاج العروس ج ١٠ ص ٣٦٧ وعن الإعتقاد والهداية ص ٢٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٤١٠ وراجع: النهاية في اللغة ج ٥ ص ٥١.

(١) راجع: مسند ابن راهويه ج ٢ ص ٤٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٧٤ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٧١.

إلى أن هؤلاء الصفوة، هم في ظل عرش القدرة الإلهية، وهم خاضعون لهيمنتها، أو معتصمون بها، أو لأنهم «عليهم السلام» كانوا مطيفين بالعرش، منذ خلقهم قبل خلق الخلق بآلاف الأعوام.. وبعد الحشر يعودون إلى موضعهم هذا..

٣ - إن هذه الغرفة العتيدة أساسها من رحمة الله تعالى، فأصلها ثابت، وفرعها في السماء.. حيث يراد لهذه الرحمة الإلهية: أن تكون هي الراعية للمخلوقات، وهي منطلق التعامل معهم، وليس خلق هؤلاء الصفوة ليكونوا هم القادة والهداة، والرعاة للخلق، إلا من تجليات رحمة الله سبحانه للخلق، من: الجن والإنس، والملائكة، والطير، وكل شيء يحتاج إلى هذه الرحمة لنفسه، أو لأجل غيره.

٤ - أما أكناف وأطراف هذه الرحمة، فهي من عفو الله تعالى ورضوانه.. وذلك لأن من يكون خارج هذه الغرفة، إنما يكون خارجها لعدم بلوغه مراتب عالية تؤهله للكون فيها..

مما يعني: أنه قد يخطئ، وقد يعصي، وقد يقصر بداعي طغيان الشهوة، أو بداعي الغفلة، فإذا التفت إلى نفسه يتراجع عن خطئه، أو يتوب من ذنبه، فيحتاج إلى العفو.. ويدخل بتوبته النصوح، والندم على ما فرط منه في دائرة رضوان الله تعالى..

وهذا إنما يكون للمؤمنين، والصالحين..

ولكن هذا المخلوق المختار كلما أمعن في الابتعاد عن محيط هذه الغرفة الدرية وعن الذين هم فيها.. فازدادت احتمالات الانزلاق في مهاوي الأهواء والشهوات، والشبهات، ثم الضلالات، إلى أن يصل إلى حد البغض لمحمد

وأهل بيته، والدخول - من ثم - في الظلمات والمهالك.

هل هذا جبر إلهي؟!

وتقول الرواية المتقدمة: «يا عائشة، خلقت ذرية محبينا من طينة تحت العرش، وخلقت ذرية مبغضينا من طينة الخبال، وهي في جهنم». ونقول:

قد يحاول البعض أن يدّعي: أن هذه الفقرة تؤيد مقولة الجبر الإلهي للعباد، لأنّ الصلاح والفساد يصبح تابعاَ لأمر يرتبط بالخلقة، فمن كان من الطينة التي هي تحت العرش، يكون صالحاً، تقياً، ومن كان من طينة الخبال، وهي في جهنم، فهو ظالم شقي.

ونجيب:

بأنّ الخبال هو الفساد، يكون في الأفعال، والأبدان، والعقول^(١). وعن النبي «صلى الله عليه وآله» في من شرب الخمر: إنه ليسقى من طينة خبال، وهو صديد أهل النار، وما يخرج من فروج الزناة، فيجتمع ذلك في قدور جهنم، فيشربه أهل النار، فيصهر به ما في بطونهم والجلود^(٢).

(١) أقرب الموارد ج ١ مادة خبل. وراجع: مجمع البيان، والنهاية في اللغة، وغير ذلك.
(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٤٤ وج ٧٣ ص ٣٣٠ وج ٧٦ ص ١٢٦ و ١٣١ وج ٧٢ ص ١٩٤ و ٢٤٤ والوافي ج ٥ ص ١٠٧١ ومن لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢٥ ص ٣٧٦ و (الإسلامية) ج ١٧ ص ٣٠١ ومستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ١٦ ومجمع البيان (تفسير) ج ٦ ص ٦٧ ونور الثقلين (تفسير) ج ٢ ص ٥٣٢ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٧ ص ٤٢ وج ٩ ص ٦٣.

وروي بسند صحيح عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: من بهت مؤمناً، أو مؤمنة، بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال.

قلت: وما طينة الخبال؟!

قال: صديد يخرج من فروج المومسات^(١).

وبعد ما تقدم نقول:

إن خلق ذرية محبي النبي وأهل بيته من طينة تحت العرش، لا يعني أن يكونوا مجبرين على الإيمان والعمل الصالح..

بل هو يعني: أن يكون هناك انسجام طبعي مع الأخيار والأبرار، والأنبياء، والأئمة الأطهار، ورغبة بالكون منهم ومعهم، ويوجب الحنين إليهم..

كما أن أعداء آل محمد خلقوا من طين سجين، وخلق قلوبهم من طين أخبث منه، يهيء للانسجام مع أمثالهم، «وكل قلب يحن إلى بدنه»^(٢).

قال بعض الإخوة الأفاضل:

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٥٧ وبحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٤٤ و ١٩٤ والوافي ج ٥ ص ٩٧٨ وهداية الأمة ج ٥ ص ١٧٩ والمحاسن للبرقي ج ١ ص ١٠١ والمؤمن للكوفي ص ٦٦ ومعاني الأخبار ص ١٦٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٢ ص ٢٨٧ و (الإسلامية) ج ٨ ص ٦٠٣ ومראה العقول ج ١٠ ص ٤٣٤ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٤٤٣ وألف حديث في المؤمن ص ١٣٩ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٥٣١ وج ٤ ص ٥٥ وج ٥ ص ١١٢.

(٢) راجع: بصائر الدرجات ص ٣٤ وبحار الأنوار ج ٢٥ ص ٨ وص ١٠ - ١٣ وج ٦٤ ص ١٢٦ وراجع: ج ٥٨ ص ٤٤ وج ٥ ص ٢٤٣ و ٢٥٠ والمحاسن للبرقي ج ١ ص ١٣٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٦٢٣ وألف حديث في المؤمن ص ٢٣٠.

ويمكن القول: إن ذلك على قاعدة: علم الله: أن هؤلاء سيكونون - باختيارهم - شيعة محمد وآله محمد «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، فخلقهم تعالى مما يناسب ذلك.. وأولئك علم الله أنهم سيكونون - بسوء اختيارهم - من أعداء محمد وآله «صلى الله عليه وآله»، فصنع في خلقهم ما يناسب ذلك.

وعن أبي جعفر «عليه السلام»: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مِمَّا خَلَقْنَا، وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْنَا، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقْنَا، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾»^(١).

وخلقَ عِدُونَنَا مِنْ سِجِّينَ، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِهِمْ مِمَّا خَلَقَهُمْ مِنْهُ، وَأَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقُوا مِنْهُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينُ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾»^(٢)»^(٣).

(١) الآيات ١٨ - ٢٠ من سورة المطففين.

(٢) الآيات ٧ - ١٠ من سورة المطففين.

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٩٠ وج ٢ ص ٤ وروضة المتقين ج ١٣ ص ٢٢٣ وبصائر الدرجات ص ٣٥ وبحار الأنوار ج ٢٥ ص ٩ ج ٥٨ ص ٤٣ وج ٦٤ ص ١٢٧ وج ٥ ص ٢٣٥ ومراة العقول ج ٤ ص ٢٧٧ وج ٧ ص ٧ ومستدرک سفینه البحار ج ٦ ص ٦٢٤ وج ٧ ص ٤١٥ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ٣٥٥ والبرهان (تفسير) ج ٥ ص ٦٠٦ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٥٢٩ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٤ ص ١٨٤.

وهذا الحنين، ميل من خلقوا من طينة واحدة إلى بعضهم البعض لا يعني الجبرية لهم في أفعالهم، مع وجود العقل، وحرية الاختيار، والأوامر والزواجر، وغير ذلك من الهدايات والدلالات، فإن الإنسان هو الذي يختار ما يشاء، وي طرح حنينه، وهوى قلبه جانباً. فيفوز بالمشوبات إن أطاع، وبالعقوبات والمخازي إن عصى.. ما دام أن هواه يمكن ويجب أن لا يغلب عقله، وأن حنينه لا أثر له في إجباره على شيء.

إشارات وملحات:

وتبقى في الرواية المتقدمة إشارات عديدة، وحقائق سديدة، نذكر منها:

١ - إن النبي «صلى الله عليه وآله»، يقول: إنه لا يقاس بعلي أحد..

إذن، فما بال الفريق الذي يناصر مناوئي علي «عليه السلام» ومن اعتدوا على بيته، وزوجته، وغضبوا حقه.. وكذلك من حاربه في الجمل وصفين - ما بال هؤلاء - يجهدون في التسويق لمقولات تفضيل غير علي «عليه السلام» كتفضيلهم أبا بكر وغيره عليه، حتى ليدّعي بعضهم: أن الترتيب في الفضل على حد الترتيب في تولي الخلافة.. مع أن دعوى المساواة في الفضل فيها تكذيب للرسول «صلى الله عليه وآله»، فما بالك بادّعاء أفضلية غيره عليه؟!!

٢ - تقول الرواية المتقدمة: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول: الحسن

والحسين هما ريحانتاي في الدنيا والآخرة.. فلماذا رموا جنازة الإمام الحسن «عليه السلام» بالسهم، ثم قتلوا الإمام الحسين «عليه السلام» وأهل بيته وأصحابه في كربلاء؟!!

أليس ذلك من أشد الإساءات لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

٣ - تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: إن الحسن والحسين «عليهما السلام» من أحب الخلق إلى الله ورسوله.

ولكن عائشة تقول عن الإمام الحسن «عليه السلام»: لا تُدخلوا بيتي من لا أحب.

٤ - يقول النبي «صلى الله عليه وآله» عن فاطمة «عليها السلام»: إنها سيدة نساء العالمين.

ولكن الآخرين يدعون: أن فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام^(١).

(١) راجع: مسند أحمد ج ٣ ص ١٥٦ و ٢٦٤ و ج ٤ ص ٣٩٤ و ٤٠٩ و ج ٦ ص ١٥٩ و سنن الدارمي ج ٢ ص ١٠٦ و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٣٢ و ١٣٩ و ٢٢٠ و ج ٦ ص ٢٠٥ و ٢٠٧ و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٧ ص ١٣٣ و ١٣٨ و سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٠٩١ و ١٠٩٢ و سنن الترمذي ج ٣ ص ١٧٩ و ١٨٠ و ج ٥ ص ٣٦٥ و ج ٧ ص ٦٨ و فضائل الصحابة للنسائي ص ٨٥ و المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٥٨٧ و ج ٤ ص ١١٦ و شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٥ ص ١٩٩ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٣ و فتح الباري ج ٧ ص ٨٣ و عمدة القاري ج ١٥ ص ٣٠٨ و ج ١٦ ص ٢٦ و ٢٥٠ و ج ٢١ ص ٥٤ و ٦٠ و تحفة الأحوذى ج ٥ ص ٤٦٠ و ج ١٠ ص ٢٦٠ و مسند أبي داود الطيالسي ص ٦٨ و المصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٢٧ و ٥٢٩ و مسند ابن راهويه ج ٢ ص ٢١ و ٤٨٦ و منتخب مسند عبد بن حميد ص ١٩٨ و الشئائل المحمدية ص ٩٨ و الأحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٩٣ و ٣٩٤ و السنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ١٦١ و ج ٥ ص ١٠٢ و ج ٥ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ و مسند أبي يعلى ج ٦ ص ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ج ١٣ ص ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٣٥ و صحيح ابن حبان ج ١٦ ص ٥٠

و ٥١ و ٥٢ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٣٦٩ وج ٥ ص ٤٢ و ٤٣ والمعجم الصغير ج ١ ص ٩٤ والمعجم الكبير ج ١٩ ص ٢٨ وج ٢٣ ص ٤٢ و ٤٣ وسؤالات حمزة للدارقطني ص ١٧٧ وشعب الإيمان ج ٥ ص ٩٣ والاستيعاب (ط دار الجليل) ج ٤ ص ١٨٨٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٤ ص ٦٧ وبغية الباحث ص ٢٩٩ والجامع الصغير ج ١ ص ٣٥١ وج ٢ ص ٢٩٦ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٢ ص ١٣٣ و ١٣٦ و ١٤٤ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ٤٩٣ وفيض القدير ج ٢ ص ٥٨٥ وج ٥ ص ٦٦ وكشف الخفاء ج ١ ص ١٥٥ و ٣٨٩ و ٤٦١ وج ٢ ص ٨٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج ١١ ص ٢٠٩ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٣٥٣ وتفسير البغوي ج ١ ص ٣٠١ والجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٠٦ وج ٤ ص ٨٢ و ٨٣ وتفسير البيضاوي ج ٥ ص ٢٢٧ و ٣٥٩ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧١ وج ٤ ص ١٥٤ و ٤٢١ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٣ وج ٥ ص ٣٧ وتفسير أبي السعود ج ٨ ص ٢٧٠ وفتح القدير ج ١ ص ٣٤٠ وج ٥ ص ٢٥٧ وتفسير الألوسي ج ٣ ص ١٥٥ وج ١٨ ص ١٣٢ وج ٢٨ ص ١٦٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٧٩ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٢ ص ٢٨٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٩ ص ٣٢٣ وج ٧٠ ص ١١٦ و ١١٧ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٠٣ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٣٥ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٤٤ و ١٤٥ وطبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٤٠٠ والإصابة ج ٨ ص ٢٣٣ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٣٨٦ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٤١٣ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٢١٥ و ٢٤٥ وج ٤ ص ٢٤٥ والوافي بالوفيات ج ١٦ ص ٣٤٢ ومرآة الجنان ج ١ ص ٤٥ و ١٠٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢ ص ٧٣ وج ٣ ص ١٥٩ و ١٦٠ وج ٨ ص ١٠٠ وإمتاع الأسماع ج ١٠ ص ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٣ والنجوم الزاهرة ج ١ ص ١٥٠ والروض الأنف ج ٤ ص ٢٦٧

إبطال الكيد، والعبث بالحقائق:

وقد ظهر: أن هذه الرواية التي تقدم الحديث عنها، ونظائرها مما تقدم وسيأتي في هذا الكتاب: لا تهدف لمجرد تقرير وبيان فضائل أهل البيت «عليهم السلام»، بل هي تريد منع العبث، والتلاعب بعقائد الناس، بهدف تغيير مسار الأمور، وحرفها عن الخط الذي يريد الله تعالى لها أن تكون فيه. كما أنها معالجات مسبقة، وإبطال لأضاليل وأباطيل كان «صلى الله عليه وآله» يعلم أنها سوف تشاع وتذاع.

كما أن هذه الرواية ونظائرها تريد تقويض المنطلقات والأسس التي سوف يحاول الظالمون والمزورون: أن يتخذوا منها ذريعة لكيدهم ومكرهم، وأكاذيبهم الفاجرة، الرامية إلى إطفاء نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون.

وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٧ و ١٣٨ وقصص الأنبياء لابن كثير ج ٢ ص ٣٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٧٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ١ ص ٩.

الباب السادس:

كبار.. حتى في عهد الرسول..

الفصل الأول:

يشهدان.. ويبايعان..

بداية:

لبعض الأحداث دلالتها الكبيرة، والجديرة بالتأمل والتمحيص، لأنها تلامس الجذور والمنطلقات التي ينبغي التوفر على معرفتها، وكشف حثياتها، ومسارها، ومؤيداتها، كما أنها تلامس الحياة العامة في مفاصلها الحساسة.

وفي حياة الحسين «عليهما السلام» أحداث كثيرة لها هذه الصفة، بعضها حصل في حياة النبي «صلى الله عليه وآله» ومن خلال شخصيته، أو تحت نظره وبرعايته.

وبعضها حصل بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم في عهد أبيهما بمبادرات منهما، وبإشراف وتأيد منه، وهو في سدة الإمامة، وفي مجالها العملي المباشر.

وبعضها كان منهما بعد أن توليا شؤون الإمامة بالفعل، بعد استشهاد أبيهما «عليه وعليهما الصلاة والسلام»..

ونحن نذكر في هذا الفصل حدثين حصلا في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، ومن خلاله، وبرعايته، فنقول:

الشهادة على كتاب ثقيف:

يقول المؤرخون: إن وفد ثقيف في سنة تسع للهجرة - وهي سنة الوفود

- قدم إلى المدينة، فكتب النبي «صلى الله عليه وآله» لهم كتاباً، وأثبت فيه شهادة الحسن والحسين «عليهما السلام»^(١).

وكان عمرهما حينئذ خمس سنين، وست سنين.

ويذكر المؤرخون كتابين، أحدهما مختصر، والآخر مطول.. وأكثر المؤرخين ذكروا: أن شهادة الحسنين «عليهما السلام» كانت على النص المختصر، وبعضهم كابن سعد ذكر شهادتهما «عليهما السلام» على النص المطول.

(١) الأموال لأبي عبيد ص ١٩٣ و (ط أخرى) ص ٢٧٩ و ٢٨٠ وراجع: والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٨٥ وفي (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٣٣ وعن ج ٤ ق ١ ص ٦٩ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٢٧٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩٨ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧٢ و ٧٣ عن المصادر المتقدمة، وعن: السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٨٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٤٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٣ وإعلام السائلين ص ٥٠ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٢ عن المواهب اللدنية شرح الزرقاني ج ٤ ص ١٠ ورسالات نبوية ص ٣٠٧/ ١١٤ والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٥٢ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٧٣ وزاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ١٩٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٤ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ١١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٣٦ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٣٥ وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقوه ص ٩٩٧ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٨٧/ ١٨٢ عن مجموعة المكتبات للديلي/ ١٧ وابن هشام، وابن سعد، والواقدي، وابن كثير، والقسطلاني في المواهب، ورسالات نبوية، وزاد المعاد، والأموال لأبي عبيد، وابن زنجويه، وإمتاع الأسماع للمقرئزي ج ١ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ ثم قال: قابل سنن أبي داود، ووفاء الوفا ص ١٠٣٦ وانظر كيتاني ص ٥٨٩ التعليقة الرابعة واشپربر ص ٧٢ واشپرنگر ج ٣ ص ٤٨٦.

وقد يرجح البعض: أنها كتاب واحد، اختصره المؤرخون، لأنهم لم يروا حرجاً في الاختصار، لأن الأمور التي أكد الكتاب عليها هي من الأمور البديهية، والمسلّمات..

وسنشير في كلامنا إلى بعض هذه المضامين، إن شاء الله تعالى.

سؤال يحتاج إلى جواب:

علينا ملاحظة ما يلي:

١ - إن قبيلة ثقيف لم تكن قبيلة عادية، بل كان لها نفوذ وشأن في محيطها. وكان لها موقف سلبي وكره من الإسلام وأهله.. فإن هواها كان هو نفس هوى أهل مكة، والظروف والأحوال التي دعت إلى استسلام أهل مكة، وألزمت غيرهم من مشركي العرب بالخضوع، والخضوع، والمجاراة والتسليم هي نفسها التي دعت ثقيف إلى إظهار الإسلام..

٢ - لم نعهد في تاريخ الكتب والمراسلات، والمعاهدات التي تعقد بين القبائل، أو التي تصدر عن مقام رسمي: أن أشهدوا عليها أطفالاً صغار السن لا يزيد عمر أحدهم على خمس أو ست سنوات.. وإلى جانبها أبوها سيد الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

نعم، لقد شهد طفلان صغيران على مضمون كتاب بالغ الحساسية والأهمية لقبيلة لها موقعها بين القبائل.

فكيف رضي وفدهم بإثبات شهادة أطفال بهذه السن؟!!

وحين رجع الوفد إلى البلاد، ورأى قومهم هاتين الشهادتين.. هل رضي قومهم بهذا التصرف، وركنوا إلى هذه الشهادات؟! أم أنهم رفضوها؟!!

إن المتوقع هو - على الأقل -: أن يتهم أولئك الناس وفدهم بالتفريط، والغفلة، والغباء، وسقم التفكير، وضعف البصيرة؟!!

بل إننا نرجح: أن تثور ثائرة بعضهم، إذا رأوا: أن هذا الكتاب أو العهد لا يحمل سوى شهادة رجل واحد وطفلين، وسوف ينهالون على الوفد الذي أرسلوه باللوم والسخرية، وبالتنديد، والتفريع، لاكتفائه بهذه الشهادات، وقبوله بها.

وربما اعتبر الكثيرون منهم: أن هذه الشهادات فيها تصغير لشأنهم، وتوجب لحق العار بهم.

٣- فما بالنال نجد ما يدل على شيء من ذلك، ولو بمستوى سؤال، لا من ثقيف، ولا من محبيهم، ومن هم على مثل رأيهم، ولا من غيرهم، فلم نسمع أن أحداً من مناويهم قد عيرهم بذلك؟!!

فوائد وعوائد، ودلالات:

ويستوقفنا هنا أمور كثيرة أخرى، وفوائد وعوائد يمكن اعتبارها من دلالات، وأهداف هذا الإلهاد..

ويمكن أن نذكر منها هنا ما يلي:

١- إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يعرف الناس أموراً مثل:

ألف: إن الناس لا يقاسون بأعمارهم ولا بأحجامهم، ولا بألوانهم، ونحو ذلك.. بل يقاس الناس بعقولهم، وبمعرفتهم بالله، وطاعتهم له، وبخلقهم الكريم، ومواقفهم، ونحو ذلك.

والمطلوب في الشاهد لتكون شهادته محقة للحق، ومبطله للباطل: أن

يكون ذا عقل كامل، وادراك ووعي شامل..

ب: إن ذلك يدل على أن الشاهد قادر على ضبط الأمور، وعلى التمييز بينها.

ج: إنه على معرفة تامة بأحكام الشرع والدين..

د: إنه إنسان متزن، ومنضبط ومهيمن على نفسه، فلا يميل مع هوى، ولا يفرط بما يجب حفظه.

هـ: إنه ذو رأي سديد، ونظر ثاقب، يعرف الصالح من غيره، فلا مجال للتلاعب به، وتعمية الأمور عليه.

و: إنه صلب في مواقفه، فلا يخضع لخوف، ولا يستدرجه طمع ليحيد عن الحق، لمصلحة الباطل وأهله.

ز: إن لديه مبادئ وسجايا لا يستهين، ولا يفرط بها، ومنها: الصدق في القول والعمل، وحفظ العهود، والشهادة بالحق.

ح: إن لديه ديناً يضبط حركته، وتقوى تقوم على أساس المعرفة بالله في مسيرته، ويطبع سيرته ضمير حي، ووجدان طاهر، والتزام أحكام الشرع والدين، والقيم والأخلاق الحميدة.

فلو أن إحدى هذه المذكورات فقدت في الشاهد، فإن ذلك يفتح أبواب الريب والشك في الشهادة، ويخدش في سلامتها وصحتها.

ونحن لا نجد هذه الأمور، أو بعضها متحققة لدى الكثيرين من كبار السن، الذين يتصدّون للشهادة في المجالات المختلفة.

وإشهاد النبي «صلى الله عليه وآله» الحسين «عليهما السلام» على كتاب

ثقيف إعلان منه بتوفر هذه العناصر فيهما «عليهما السلام» على أتم وجه وأوفاه.
وهو يدل على عظيم فضلها، وعلو مقامهما، ونباهة شأنهما، ووافر علمهما، ورسوخ حقيقة التقوى والخشية في قلبيهما..

الشهود على كتاب ثقيف:

هناك خمسة أشخاص وجدت اسماءهم في هذا الكتاب، وهم:

- ١ - رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو الذي أعطى ثقيف هذا العهد، وفرض مضمونه عليهم وعلى الناس.. فليس هو من الشهود.
 - ٢ - أمير المؤمنين علي «عليه السلام».
 - ٣ - الحسن بن علي «عليهما السلام».
 - ٤ - الحسين بن علي «عليهما السلام».
 - ٥ - خالد بن سعيد بن العاص الذي كتب الكتاب بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلا يعد من الشهود.
- فيكون الشهود بالمعنى المعروف ثلاثة أشخاص فقط. وهم علي وولده «صلوات الله وسلامه عليهم».

ويظهر النص المكتوب للكتاب: أنها «عليهما السلام» قد شهدا على نسخة الصحيفة كتابة، فدل ذلك على معرفتهما بالكتابة قبل ذلك التاريخ.

الضامن هو الله ورسوله:

إن بني ثقيف قد حصلوا على هذا الكتاب من النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يقول الله تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَى ﴿١﴾..

مما يعني: أن إشهداه الحسنين «عليهما السلام»، وهما طفلان صغيران على كتابهم قد كان بوحى وأمر من الله تعالى. ولأجل ذلك لم يعترض المؤمنون منهم على هذا الإشهاد..

وأما الذين في قلوبهم مرض، فلعلهم لم يعترضوا، لأنهم لا يريدون أن يظهروا أنفسهم في صورة المعارض على الرسول، والمشكك في صوابية ما يقول ويفعل.. لأنهم قد يرون أن ذلك يلحق بهم ضرراً هم في غنى عن التعرض له، بعد أن أدركوا عجزهم وعجز قريش والعرب عن مواجهته «صلى الله عليه وآله».

على أن التردد في قبولهم هذا الأمر منه «صلى الله عليه وآله» قد ينتهي إلى إسقاط هذا العهد عن درجة الفاعلية والتأثير.. وهذا ما لا يريده الثقيون، لأنهم هم الذين طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكتب لهم هذا المضمون.

مضامين الكتاب:

ونص هذا الكتاب - المشهود عليه - سواء في نصه المطوّل، أو في نصه المختصر يعطي ما يلي:

١ - إن المشهود عليه ليس هو بيع فرس، أو بيت، أو حديقة، أو شاة أو جمل. بل هو أمر جليل وخطير، يرتبط بالحقوق العامة، وبأمور حيوية جداً

لهم، وفيه ما يرتبط بحياتهم الاجتماعية والدينية.

٢ - وإذا أردنا أن نجمل تفاصيل ما ورد في ذلك الكتاب، فنجد فيه ما يلي:

ألف: المنع من الظلم.

ب: عقوبات على التعديات على أملاك الناس وعلى ظلمهم فيها.

ج: المنع من التعدي بالسرقة، أو أي نوع من أنواع الإساءة، بقطع الأشجار، وما إلى ذلك.

د: جعل لهم حريماً ليس لأحد تجاوزه، فلا يعبر أحد بلدهم بغير إذنهم.

هـ: لا يدخل أحد في الطائف بكل مشتملاته بغير إذنهم.

و: إن على عمال الزكاة: أن يأخذوا الزكاة من أماكنها بأنفسهم، ولا يكلف أهل الطائف بحمل زكاتهم إلى عمال الزكاة.. لأن ذلك من الظلم، وفيه مشقة عليهم، وتعطيل لهم عن أعمالهم، ويحملهم مصارف الحمل والنقل، والعلوفة للدواب، وغير ذلك.

ز: لا يؤخذ منهم، إلا الصدقة الواجبة التي شرعها الله، ولا يؤخذ العُشر الذي كان يؤخذ منهم قبل الإسلام.

ح: لأهل الطائف الحق في دخول أي حيز شاؤوا من بلاد المسلمين.

ط: ومن كان في أيديهم من الأسرى المأخوذون في حروبهم في الجاهلية، فهم لهم حتى يأخذوا فديتهم.. وليس لهم بيعهم بعد كتابة هذا العهد، ومن بيع قبل ذلك، فقد نفذ بيعه.

ي: قد أسقط هذا العهد الربا الذي كانوا يتعاملون به في سوق عكاظ في الجاهلية، وليس لصاحب المال، إلا أن يأخذ رأس ماله.

ك: المديون لهم يعطيهم الدين، ولا يعطيهم الربا.

بالإضافة إلى أمور أخرى ذكرت في ذلك الكتاب تعلم بالمراجعة..

٣ - ظهر: أن لهذا العهد مساساً بقضايا مهمة، وحاجات ملحة لطائفة كبيرة من الناس، كالأمن، والاقتصاد، والعلاقات، وحرية الحركة، والحقوق، والأحكام.. وما إلى ذلك.

٤ - إنه يطرح أموراً لها امتداد واستمرار، وبقاء لا يستغني أولئك الناس عنها، ولا مجال لاستبدالها بغيرها، ولا تنتهي في زمان بعينه، بل هي ضرورة يحتاجها الناس في مختلف أدوار حياتهم، وحاجتهم إليها كحاجتهم للهواء، والماء، والغذاء والدواء.

لأجل هذا أشهدهم:

ولأن ما تضمنه هذا العهد ليس من قبيل العطايا المادية، بل هي أحكام شرعية، وتقرير لحقوق، وبيان لسياسات إلهية.. فإن الضمانة لهذه الأحكام، وتعاهد هذه الحقوق، وإجراء هذه السياسات.. هي لدى صفوة الخلق وخيرته، الذين يختارهم الله هداة ورعاة لعباده، وساسة لبلاده، بأحكام الله وشرائعه، من موقع التقوى والعلم، والمعرفة، والعصمة، والقيم، والأخلاق، وما تقتضيه الفطرة الإنسانية السليمة والمعرفة بمقامهم «عليهم السلام»، وهم الأمناء على وحي الله، والحافظون لدينه، والقادة لعباده بالنهج القويم إلى جنات النعيم.

ولأجل ذلك لم يخلط «صلى الله عليه وآله» بهم غيرهم.. مع أن صحابته المعروفين، لم يكونوا في منأى عن كتابة هذا الكتاب.. وهم، ولا سيما المهاجرون من أهل مكة يحرصون على مصالح ثقيف، وأهل الطائف، لأنهم يعتبرونهم

من حزبهم، وعلى نهجهم، وينسجمون معهم في طموحاتهم وتطلعاتهم.

الشهادة والإمامة:

وقد ظهر: أن هذه الشهادة الضامنة والراعية، تتوافق مع معنى الإمامة للحسين «عليهما السلام»، الذي جهر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قال: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا. وبمعناه غيره..

كما أنها تؤكد معنى الامتداد الزماني، الذي يؤكد التوالي والتعاقب بالإمامة للأئمة الاثني عشر «عليهم السلام».. فيكون عليّ أولاً، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم باقي الأئمة الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين»، الذين يرثون الأرض ومن عليها.

ولكن البعض قال عن إشهد الحسين «عليهما السلام» على كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» لثقيف، ما يلي:

«ولا يجوز القول: بأن تلك خصوصية لهما «رضي الله عنهما»، إذ لا دليل عليها. وما دام الطفل مميزاً يجب أن تعتبر شهادته، فإنه قد يحتاج إليها..»^(١).

ونجيب بما يلي:

أولاً: إن الصحابة، ولا سيما قريشاً ومؤيديها كانوا مهتمين بأمر ثقيف، فلماذا لم يُشهد النبي «صلى الله عليه وآله» أحداً منهم على الكتاب غير هؤلاء الثلاثة؟!

فإن لم يكن أحد منهم حاضراً عنده في تلك الساعة، فقد كان بإمكانه

(١) تعليق محمد هراس على كتاب الأموال لأبي عبيد، هامش ص ٢٨٠.

«صلى الله عليه وآله» أن يطلب حضور بعضهم ممن هم في المسجد، أو بالقرب منه، أو من أهل الصفة، التي كانت متصلة بالمسجد، وسوف يأتيه منهم العشرات.

وكان «صلى الله عليه وآله» يرسل إلى بعضهم ليحضر إليه، ويكتب ما ينزل من الآيات عليه، أو ليكتب له الرسائل.

كما أن المسجد كان يمتلئ بالمصلين كل يوم عدة مرات، فلماذا لم يشهد أحداً على هذا الكتاب غير علي وولديه «عليهم السلام»؟!

ثانياً: يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» كثيراً ما كان في كتبه المختلفة يشهد على الكتاب الذي يكتبه، نفس من يتولى كتابة ذلك الكتاب، فتجد في ذيل كثير من الكتب عبارة: وكتب فلان، وشهد، أو نحو ذلك^(١).

فلماذا لم يشهد حتى كاتب كتاب ثقيف، وهو خالد بن سعيد بن العاص على ما كتبه، مع أنه قد صرح فيه باسمه أيضاً، فقال: «وكتب خالد بن سعيد بأمر من محمد بن عبد الله رسول الله الخ..»؟!

ثالثاً: قال هذا الرجل: «وما دام الطفل مميزاً يجب أن تعتبر شهادته، فإنه قد يحتاج إليها..».

ونقول:

لو صح كلامه هذا، للزم إثبات شهادات الأطفال المميزين في كل كتاب..

(١) راجع على سبيل المثال: مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدي ج ٣ ص ٢٧٦ و ٤٨٢ و ٥٠٥ و ٥١١ و ١٥٦ وغير ذلك كثير.

مع أننا لم نجد شهادة لأي طفل في أي كتاب آخر كتبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو غيره لأحد من الناس.

إلا أن يقال: لم يكن في المدينة طفل مميز غير الحسن والحسين «عليهما السلام»!! وهذا كلام غريب وعجيب!!

ولماذا لا يقول محمد خليل هراس: إن شهادتهما «عليهما السلام»، إنما كانت لإظهار خصوصية الإمامة فيهما بصورة عملية، وفعلية، فإنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي قال: إنهما إمامان قاما أو قعدا، أو نحو ذلك.

رابعاً: قال ابن رشد: إن العدالة تشترط في الشاهد بإجماع المسلمين.
«وأما البلوغ، فإنهم اتفقوا على أنه يشترط حيث تشترط العدالة..

واختلفوا في شهادة الصبيان بعضهم على بعض في الجراح، وفي القتل، فردها جمهور فقهاء الأمصار.. لما قلناه، من وقوع الإجماع على أن من شرط الشهادة العدالة، ومن شرط العدالة البلوغ.. ولذلك، ليست في الحقيقة شهادة عند مالك، وإنما هي قرينة حال..»^(١).

بيعة الرضوان:

وقالوا:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخذ البيعة من الحسين «عليهما السلام» في بيعة الرضوان، فقد:

١ - روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: «لم يبايع النبي

(١) بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٥٧.

«صلى الله عليه وآله» من لم يحتلم إلا الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس «رضي الله عنهم».

قال: ولم يبايع صغيراً إلا منا»^(١).

وفي بعض المصادر، لم يذكر ابن عباس^(٢).

ونقول:

إن إضافة ابن عباس، وعبد الله بن جعفر لا تصح، أو هي موضع ريب شديد، تماماً كما هو حال قول بعضهم: إنه «صلى الله عليه وآله» بايع عبد الله بن الزبير، وهو ابن سبع^(٣).

وسياتي الكلام حول هذا وذاك عن قريب، إن شاء الله تعالى.

(١) جواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٢٧٥ وجمل أنساب الأشراف ج ٤ ص ٤٩ والمعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٨٢ وتهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ج ٤ ص ٣٢٢ و ٣٢٣ ومختصر تاريخ دمشق ج ٧ ص ١٢٩ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٧ ومناهل الضرب ص ١٥٠ و ٥٠ و ٥١. وراجع: ينابيع المودة ص ٣٧٥ و (ط أخرى) ج ٣ ص ١٥٠ عن فصل الخطاب لمحمد پارسا البخاري، عن النووي فيما يبدو، وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص ١٥٠ و حياة الصحابة ج ١ ص ٢٥٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٤٠ و ٤٦ وعن المعجم الكبير للطبراني، وقال: هو مرسل، ورجاله ثقات. وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٢٠ ص ٦٢٤ و ٦٤٩.

(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٨٤.

(٣) التراتيب الإدارية ج ١ ص ٢٢٢ عن القرطبي، والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٩ ص ٤١.

٢ - في احتجاج المأمون على بني العباس، حين أراد تزويج ابنته من الإمام الجواد «عليه السلام» قال المأمون:

«أما علمتم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وهو ابن عشر سنين. وقبل منه الإسلام، وحكم له به، ولم يدعُ أحداً في سنّه غيره؟! وبإيع الحسن والحسين «عليهما السلام» وهما دون الست سنين، ولم يبايع صبيّاً غيرهما؟!»

أولا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم، وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لأخرهم ما يجري لأولهم؟! الخ..»^(١).

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٢٠ ص ٦٣٠ - ٦٣١ و ٦٤٠ و ٦٢٨ - ٦٢٩ وتحف العقول ص ٣٣٢ - ٣٣٤ و (ط أخرى) ص ٤٥١ - ٤٥٣ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٢٦٩ و (ط أخرى) ص ٣٥٩ - ٣٦٣ وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٥٣ - ٣٥٨ وج ٣ ص ١٤٤ وروضة الواعظين ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٤١ والاحتجاج ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤٥ وبحار الأنوار ج ٥٠ ص ٧٤ - ٧٩ وج ١٠ ص ٣٨٤ وشرح الشافية لابن أمير الحاج ص ٥٥٧ - ٥٦٣ وراجع: تفسير القمي ج ١ ص ١٨٤ و ١٨٥ و (ط بيروت) ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٢ وراجع: الإتحاف بحب الأشراف ص ١٧١ - ١٧٢ والإختصاص ص ٩٨ - ١٠١ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٨١ وجلاء العيون ج ٣ ص ١٠٨ والصواعق المحرقة ص ٢٠٤ ونور الأبصار ص ١٦١ ودلائل الإمامة ص ٢٠٦ - ٢٠٨ وإعلام الوري ص ٣٥١ فما بعدها، والإمام محمد الجواد، لمحمد علي دخيل ص ٣٧ - ٤١ وأعيان الشيعة ج ٢ ص ٣٣ - ٣٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٥٣ - ٢٥٦.

٣ - قال الشيخ المفيد: «وكان من برهان كمالهما «عليهما السلام»، وحجة اختصاص الله تعالى لهما - بعد الذي ذكرناه من مباهلة النبي «صلى الله عليه وآله» بهما - بيعة رسول الله لهما، ولم يبايع صبيّاً في ظاهر الحال غيرهما. ونزول القرآن بإيجاب ثواب الجنة لهما على عملهما، مع ظاهر الطفولية فيهما، ولم ينزل بذلك في مثلهما»^(١).

٤ - قال ابن شهر آشوب: ومن برهانها بيعة رسول الله لهما، ولم يبايع صغيراً غيرهما.. ونزول القرآن بإيجاب ثواب الجنة عن عملهما، مع ظاهر الطفولية منهما قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾^(٢) الآيات، فعملهما بهذا القول مع أبويهما^(٣).

ونقول:

هنا أمور يحسن لفت النظر إليها، وهي التالية:

ابن الزبير لم يبايع صغيراً:

جاء في في بعض المصادر:

أن عبد الله بن الزبير أيضاً بايع النبي «صلى الله عليه وآله» وكان عبد الله

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٢٠ ص ٦٤٨ عن مناهل الضرب ص ٣٨١ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٣٠ وفدك للقزويني ص ١٦ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص ١٧٧ والمستجدات من الإرشاد (المجموعة) ص ١٥٥.

(٢) الآية ٨ فما بعدها، من سورة هل أتى.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٤٢ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٧٨.

ابن سبع سنين^(١).

وهذا غير صحيح، لما يلي:

أولاً: إن الرواية المتقدمة برقم [١] عن الإمام الصادق «عليه السلام» تقول: «ولم يبايع صغيراً إلا منا»، وهي مروية بطرق أهل السنة.. وقد تقدمت مصادرها..

ومن المعلوم: أن ابن الزبير لم يكن من أهل البيت، ولم يكن هاشمياً.
ثانياً: إن المأمون العباسي يقول للعباسيين عن الحسنين «عليهما السلام»: «ولم يبايع صبيّاً غيرهما» وقد تقدمت مصادر ذلك في النص رقم [٢].
ثالثاً: وقال الشيخ المفيد أيضاً: «ولم يبايع صبيّاً في ظاهر الحال غيرهما».
وقد تقدم هذا النص مع مصادره، برقم [٣].

وقال ابن شهر آشوب المازندراني: «ولم يبايع صغيراً غيرهما»^(٢).
رابعاً: إن عُمر ابن الزبير في بيعة الرضوان كان ست سنوات، لأنه ولد عام الهجرة.. فلماذا زادوها سنة، وقالوا: كان عمره سبعا؟!

ابن جعفر، وابن عباس:

وقد ذكرت الرواية التي رواها أهل السنة، عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر قد بايعا أيضاً صغيرين.
ونقول:

(١) بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٥٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٤٢ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٧٨.

إن ذلك لا يصح:

أولاً: إن المأمون كان عباسياً.. وكان يهيمه أن يثبت أمثال هذه الفضائل لجده عبد الله بن العباس، وكذلك الأمر بالنسبة لسائر العباسيين..
ولكننا رأينا المأمون نفسه ينفي أن يكون هناك أي صبي غير الحسن والحسين «عليهما السلام» قد بايع النبي «صلى الله عليه وآله»..
وقد ذكر ذلك محتجاً به على العباسيين، ولم نجد أحداً منهم يعترض أو يناقش في هذا الأمر، أو يثير أي سؤال أو شبهة حوله.

ثانياً: قلنا آنفاً: أن الشيخ المفيد، وابن شهر آشوب وغيرهما ذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يبايع صغيراً (في ظاهر الحال)، أو صبيّاً غير الحسن والحسين «عليهما السلام».. وكلامهم هذا يشمل: ابن جعفر، وابن عباس على حد سواء.

هل التكليف منوط بالتمييز؟!

وقد يدور بخلد البعض: أن التكليف في عام الحديبية، وبيعة الشجرة كان منوطاً بالتمييز.. وزعموا: أن هذا لا يدل على امتياز ذي شأن للحسين «عليهما السلام»، لأن غاية ما يدل عليه: أنها قد بلغا درجة التمييز في وقت مبكر، فتبع ذلك صيرورتهما مكلفين.

ونجيب:

أولاً: إذا صح هذا، فلماذا لم يحصل هذا التمييز المبكر لغير الحسين «عليهما السلام»؟! علماً بأن عمر الإمام الحسن «عليه السلام» حين بيعة الرضوان في الحديبية التي كانت سنة ست للهجرة كان ثلاث سنوات.. وعمر الحسين

«عليه السلام» كان سنتين.

فكيف لم نجد أحداً غيرهما بايع النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في عمر يقلّ عن خمس عشرة سنة؟!

أم يعقل أنه لم يكن في المسلمين من يقلّ عمره عن خمس عشرة سنة غير الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!

أو أنهم كانوا موجودين، لكن لم يكن فيهم مميز سواهما؟!

ثانياً: إن حصول التمييز المبرر لأخذ البيعة ممن هو بعمر سنتين، أو ثلاث مما لم نعهد حدوثه لأحد..

والتمييز مراتب ودرجات، فهناك تمييز يؤهل للقيام ببعض الأمور دون بعض، كما لو أوكّل إليه أن يأتي بالحاجات، ويتصرف فيها تنظيماً، أو يحدث فيها أثراً يطلب منه تولي إحداها.

ولكنه يبقى قاصراً عما هو أكثر من ذلك.. فهو لا يستطيع أن يتولى مثلاً حفظ وضبط حركة مجموعة صغيرة من الناس، أو إدارة مدرسة، فكيف إذا كان المطلوب منه أن يفي بتعهداته في البيعة، مثل دفع الأعداء، وحفظ مصالح الأمة، والالتزام مثلاً بمقتضيات البيعة في مختلف الأدوار والحالات؟!

ثالثاً: لو لم يكن هذا التمييز المبكر بهذا المستوى الرفيع أمراً ذا شأن عظيم، لوجب أن لا يكون لنبي الله يحيى «عليه السلام» الذي آتاه الله الحكم صبياً فضلاً وامتياز بهذا الأمر.. لأن هذا الحكم الذي هو من شرع الله لا يعرف إلا بالتوقيف عليه، والتعريف به، والبيان له من قبله تعالى.. وله مساس بحياة الناس، وأمنهم وسعادتهم، وضبط أمورهم.

كما أن إنكار أهمية هذا التمييز يفتح الباب أمام إنكار فضل عيسى حين تكلم في المهد صبياً، وأعلن للناس: أن الله آتاه الكتاب وجعله نبياً..

ثم إنكار فضل النبي «صلى الله عليه وآله» على سائر الناس، حين تكلم بذكر الله حين ولادته.. وإنكار فضل فاطمة «عليه السلام» حين كانت تحدث أمها، وهي في بطنها.

وهكذا الحال بالنسبة لسائر الأئمة الطاهرين «عليهم السلام».

رابعاً: إن ادّعاء إناطة التكليف بالتمييز حين بيعة الرضوان في الحديبية لا يصح، لأنهم يقولون: إن إناطة التكليف بالتمييز قد انتهت يوم الخندق، وأنيط التكليف بالسنن من يومئذ في قصة مشاركة ابن عمر في تلك الغزوة^(١).

(١) راجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ وج ٢ ص ٦٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و ٣٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٠٥ و ٢٤٤ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ وشرح صحيح مسلم للنووي (مطبوع بهامش إرشاد الساري) ج ٨ ص ٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و ٤٨١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ١٠٥ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ و ٣٤٤ بإضافة كلمة: «وأشف منها». والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٣ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣١٠ و ٣١١ ومسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ١٧ وصحيح مسلم ج ٦ ص ٣٠ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٥٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٩ و ٣١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٦ والجامع الصحيح للترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في حد بلوغ الرجل والمرأة ج ٣ ص ٦٣٢ و ٦٣٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣

وغزوة الخندق كانت في السنة الرابعة^(١)، أو في السنة الخامسة للهجرة^(٢).

ص ٢٤١ و ٢٤٢ والغدير ج ١٠ ص ٤ عن البخاري، وفتح الباري، وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٦ و ٧ وعن تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٩٦.

(١) راجع المصادر التالية، فإنها قد ذكرت هذا القول: عنوان المعارف في ذكر الخلائف ص ١٢ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وقال: الثابت أنها في الرابعة بلا شك. والمحرر ص ١١٣ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ وإعلام الوري ص ٩٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ وشرح صحيح مسلم للنووي (بهامش إرشاد الساري) ج ٨ ص ٦٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و ٣٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ وتاريخ مختصر الدول ص ٩٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٠٥ و ٢٤٤ عن ابن عقبة، عن ابن شهاب، وعروة عن ابن عقبة، والنووي. وشذرات الذهب ج ١ ص ١١ عن النووي. وراجع: الجامع للقيرواني ص ٢٧٩ و ٢٨١ عن مالك، وسيرة مغلطاي ص ٥٦ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٢ و عيون الأثر ج ٢ هامش ص ٥٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٣ و ٣٩٥ و ٤٠٠ و ٣٩٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧٦ و مرآة الجنان ج ١ ص ٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ وحدثنا الأنوار ج ١ ص ٥٢ متناً وهامشاً، عن الدرر في اختصار المغازي، والسير للقرطبي ص ١٧٩ وذهب إليه العاقولي في الرصف ج ١ ص ٦٠.

(٢) لكي تجد القول بأن هذه الغزوة كانت في السنة الخامسة، إما بصورة قول تبناه المؤلف، أو يذكره بلفظ قيل.. راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٠ و ٤٤١ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٤

وقد رجحنا: أنها كانت في السنة الرابعة، استناداً إلى بعض القرائن،

و ٢٤١ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٥
والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧ وصححه، وشذرات الذهب ج ١ ص ١١ ومختصر
التاريخ ص ٤٢ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٥٥
و ٦٤ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ وتاريخ
الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨٨ و ١٩٥ وتفسير
القمي ج ٢ ص ١٧٦ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٢١٦ و ٢٠٨ عنه، ونقله في
ص ٢٧١ عن إعلام الوري، لكن الموجود في إعلام الوري: أنها في الرابعة.
والمحبر ص ١١٣ ومروج الذهب ج ٢ ص ٢١٩ والثقات لابن حبان ج ١
ص ٢٦٤ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٥٩ وشرح بهجة
المحافل ج ١ ص ٢٦٢ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٢ بلفظ: قيل. وإمتاع الأسماع
ج ١ ص ٢١٦ والجامع للقيرواني ص ٢٧٩ و ٢٨١ والتنبيه والإشراف ص ١١٥
وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ ومجمع البيان ج ٨ ص ٢٠٨ ونهاية الأرب ج ١٧
ص ١٦٦ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ عن ابن إسحاق، والسيرة النبوية
لدحلان ج ٢ ص ٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦١ ونسبه إلى الجمهور.
وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٣ و ٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ و
١٨١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٧٩ و ٤٨٠ عن ابن إسحاق، وفتوح البلدان
ج ١ ص ٢٣ وصفة الصفوة ج ١ ص ٤٥٥ - ٤٥٩ والطبقات الكبرى لابن سعد
ج ٢ ق ٢ ص ٤٧ وج ٤ ق ١ ص ٦٠ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧ وسيرة
مغلطاي ص ٥٦ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ والسيرة الحلبية
ج ٢ ص ٣٢٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٠ والرصف ج ١ ص ٦٠ بلفظ قيل.
وراجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٤٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي)
ص ٢٠٥ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٩٠.

فراجع^(١).

خامساً: ذكروا: أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» بعد انتهاء حرب الجمل التي فيها كان قد أخذ مروان بن الحكم في جملة من أخذهم.. فكلم الحسنان «عليهما السلام» أباهما في مروان، وطلبا منه أن يرضى بأن يبايعه.

فقال «عليه السلام»: «أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟! لا حاجة لي في بيعته. إنها كف يهودية، لو بايعني بيده [عشرين مرة] لنكت [بأسته] بسبته»^(٢).

وهذا يشير إلى أن قبول البيعة لا يستند إلى مجرد التمييز، ولا يكفي ذلك فيه، كما لا يكفي بلوغ سن التكليف.. بل لا بد من إحراز: أن المبايع من أهل الوفاء بتعهداته.

ولا بد من ملاحظة طبيعة المسؤوليات والقدرات، وما هو المطلوب، وما يتوخى من البيعة له، وصحة نية المبايع في ذلك، فكل ذلك له دوره وتأثيره في قبول البيعة.

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٨ ص ٨.
 (٢) نهج البلاغة (شرح عبده) ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤ الخطبة رقم ٧٣ وراجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٩٧ ح ٣٥ والجمل لابن شدقم ص ١٤٩ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٥ و ٣٥٥ وج ٤١ ص ٢٩٨ و ٣٥٥ وشجرة طوبى ج ١ ص ١٣٠ والغدير ج ٨ ص ٢٦١ ونهج السعادة ج ١ ص ٣٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ١٤٦ وقاموس الرجال للتستري ج ١٠ ص ٣٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ١٦٩ عن ربيع الأبرار (مخطوط) ص ٦١٥ واختيار مصباح السالكين لابن ميثم ص ١٨١ وتذكرة الخواص ص ٣٩٠ وإعلام الوري ج ١ ص ٣٤٠.

ويدل على أن المطلوب هو إمكان حصول الوفاء من المبايع في قبول البيعة منه في جملة من أخذهم: أن كثيرين قد بايعوا ثم نكثوا.. كما هو الحال في بيعة الصحابة يوم غدير خم لـعلي «عليه السلام».

كما أن مسلم بن عقيل قد أخذ البيعة من أهل الكوفة للحسين بن علي «عليهما السلام»، ثم نكثوا.. بل لقد شاركوا في حرب وقتل الحسين «عليه السلام»، هو وأصحابه يوم عاشوراء.

ويشهد لذلك أيضاً: أن المبايع قد يتدخل في طبيعة المهمات أو التعهدات التي يعطيها، ويبايع عليها، فيرفض بعضها، ويقبل ما عداه.

وقد ذكروا: أن بعضهم حاول أن يشترط على أمير المؤمنين حين بويع «عليه السلام» بعد قتل عثمان: أن يبايعه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله»، وسنة الشيخين، فلم يرض «عليه السلام» أن يبايعه على سنة الشيخين^(١).

وحين بويع النبي «صلى الله عليه وآله» بيعة العقبة التي كانت في مكة

(١) راجع: بحار الأنوار ج ٣١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٩٩ وأمالى الطوسي ج ٢ ص ١٦٦ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ٣٢٠ و شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٧ و ١٨٨ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٢. وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٧٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٣٨ والصواعق المحرقة ص ١٠٦ والتمهيد للباقلاني ص ٢٠٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٤ وفتح الباري ج ١٣ ص ١٩٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٣٣٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٧٠ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص ٧١٥.

قبل الهجرة إلى المدينة، لم تتضمن بيعتهم بعض الشروط التي أخذت عليهم في بيعة الشجرة في الحديبية. فلذلك سميت بيعة العقبة ببيعة النساء.

حقيقة البيعة:

والبيعة هي تعهد والتزام أمام الحاكم بالدلالات القولية والجوارحية، بالقيام بمهام، أو تحمل مسؤوليات معينة يريدّها الحاكم من المبايعين. وكانت البيعة للنبي وللإمام التزاماً بالطاعة له في كل ما يرتبط بالدعوة، والحفظ، والتأييد للدين، والدفاع عن أهله، والكون مع أهله وحماته، في المنشط والمكره، مهما كلف المبايع ذلك من توضّحيات، أو عرضة لأخطار..

وهذا يعطي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أخذ البيعة من الحسين «عليهما السلام» كان يرى أنهما قادران على الوفاء بالبيعة، والعمل بما تفرضه وتقتضيه، بالرغم من صغر سنهما، حيث لم يتجاوز السنتين والثلاث.

كما أن ذلك يدل على أنهما على معرفة تامة بمعنى البيعة، وما توجبه عليهما، وعلى أنهما مصممان على الوفاء بها.

الفصل الثاني :

حديث المباهلة : نصوص وآثار..

بداية:

إن حديث المباهلة بين النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام» من جهة، وبين وفد نصارى نجران من جهة أخرى بالغ الأهمية في دلالاته، وسائر خصوصياته حتى لقد خلد القرآن الكريم هذه الحادثة حين قال:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

ونحن في هذا الفصل نذكر طائفة من النصوص التي عرضت هذا الحدث، أو تعرضت لبعض تفاصيله، ونشير إلى طائفة من المصادر التي أوردتها، بإسهاب، أو بإيجاز.

وحيث إن الغرض هو مجرد عرض النصوص كما وردت في مصادرهما،

(١) الآيات ٥٩ - ٦٣ من سورة آل عمران.

فقد آثرنا الاكتفاء بإيرادها وفق ما جاء في كتابنا سيرة الحسين «عليه السلام»
الجزء الرابع، وهي كما يلي:

من روايات حديث المباهلة:

قال ابن اسحاق: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد نصارى
نجران، ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشrafهم، منهم: العاقب
هو والسيد، وأبو حارثة بن علقمة، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد،
وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحنس.

منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم، وذو رأيهم،
وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه. واسمه عبد المسيح.
والسيد ثمالهم، وصاحب رحلهم، ومجتمعهم، واسمه الأيهم.

وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل أسقفهم، وحبرهم وإمامهم،
وصاحب مدراسهم، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس كتبهم حتى
حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه،
ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم
عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا
حلالاً لهم يجرونها من حبرة، وتختموا بالذهب.

وفي لفظ: دخلوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسجده [في
المدينة] حين صلى العصر، عليهم ثياب الحبرات: جيب وأردية، في جمال
رجال بني الحارث بن كعب.

فقال بعض من رأيهم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يومئذ: ما رأينا وفدا مثلهم. وقد حانت صلاتهم. فقاموا في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلون نحو المشرق (فأراد الناس منهم).

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «دعوهم».

ثم أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهراً طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب.

فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وكانوا يعرفونهما، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا لهما: يا عثمان، ويا عبد الرحمن، إن نبيكما كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيئين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما؟ أنعود إليه، أم نرجع إلى بلادنا؟!

فقالا لعل بن أبي طالب «عليه السلام» وهو في القوم: ما الرأي في هؤلاء القوم يا أبا الحسن؟!

فقال لهما: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه.

ففعل وفد نجران ذلك ورجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم، ثم قال: «والذي بعثني بالحق، لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٦ و ٤١٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني

وفد نجران يحاور رسول الله صلى الله عليه وآله:

وعن ابن عباس، والأزرق بن قيس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعا وفد نجران إلى الإسلام، فقال العاقب، عبد المسيح، والسيد أبو حارثة بن علقمة: قد أسلمنا يا محمد.

فقال: «إنكما لم تسلما».

قالا: بلى، وقد أسلمنا قبلك.

قال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث فيكما: عبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، وزعمكما أن لله ولداً».

ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى ابن مريم؟! فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نعلم قولك فيه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى»^(١).

ج ٥ ص ١٨٧ و ١٨٨ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٣٧ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٦٥ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٦٩ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٠٣ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٤٩٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٧ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، وابن سعد، وعبد بن حميد، وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤

وعن عبد الله بن الحارث بن جَزء الزبيدي: أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «ثبت (ليت) بيني وبين أهل نجران حجاب، فلا أراهم ولا يروني»، من شدة ما كانوا يمارون رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١). انتهى.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن سعد عن الأزرق بن قيس، وابن جرير عن السدي، وابن جرير، وابن المنذر عن أبي جريح: أن نصارى نجران قالوا: يا محمد، فيم تشتم صاحبنا؟! قال:

«من صاحبكم»؟! قالوا:

عيسى بن مريم، تزعم أنه عبد.

قال: «أجل، إنه عبد الله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم، وروح منه».

فغضبوا وقالوا: لا، ولكنه هو الله نزل من ملكه، فدخل في جوف مريم،

ثم خرج منها، فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط إنساناً خلق من غير أب؟! فأنزل الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٢).

ص ١٠٣ وغاية المرام ج ٣ ص ٢١٥ وراجع: بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨٦ وج ٣٥

ص ٢٦٣ وتفسير الميزان ج ٣ ص ٢٣٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٧ عن ابن جرير، وجامع البيان للطبري ج ٣ ص ٤٠٥

والمحرر الوجيز للأندلسي ج ١ ص ٤٤٧ والدر المنثور ج ٢ ص ٣٨ وتفسير

الآلوسي ج ٣ ص ١٩٤ وراجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ١٥٥ وفتوح مصر وأخبارها

ص ٥١١.

(٢) الآية ١٧ من سورة المائدة.

وأنزل تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (١).

فلما أصبحوا عادوا إليه، فقرأ عليهم الآيات، فأبوا أن يقرؤا. فأمر تعالى نبيه الكريم «صلى الله عليه وآله» بمباهلتهم، فقال سبحانه وتعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ، إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٢). فرضوا بمباهلته «صلى الله عليه وآله»..

فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤسائهم: السيد، والعاقب، والأهتم: إن باهلنا بقومه باهلناه؛ فإنه ليس نبياً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم نباهله، فإنه لا يقدم على أهل بيته إلا وهو صادق.

وعن جابر، وابن عباس، وقتادة، وسلمة بن عبد يسوع، عن أبيه عن جده، وعن حذيفة، والأزرقي بن قيس، والشعبي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما نزلت هذه الآيات دعا وفد نجران إلى المباهلة، فقال: «إن الله تعالى أمرني إن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم».

فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا.

وفي حديث آخر فقالوا: أخرنا ثلاثة أيام، فخلا بعضهم إلى بعض وتصادقوا.

(١) الآيتان ٥٩ و ٦٠ من سورة آل عمران.

(٢) الآيات ٦١ - ٦٣ من سورة آل عمران.

فقال السيد العاقب: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولئن لا اعتموه ليخسفن بأحد الفريقين، إنه لَلِإِسْتِصَال لَكُمْ، وما لا عن قوم قط نبياً فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم.

وفي رواية: فقال شرحبيل: لئن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلا عناء لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك.

وفي رواية: لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا.

قالوا: فما الرأي يا أبا مريم؟!

فقال: رأيي أن أحكّمه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً.

فقال السيد: فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فلما انقضت المدة أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مشتملاً^(١) على الحسن والحسين في خيمة له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة. فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن أنا دعوت فأمنوا أنتم»^(٢).

(١) لم تذكر هذه الرواية علياً «عليه السلام». ولعله هو النص المروي عن الشعبي، الذي ينكر حضور علي «عليه السلام»، كما سنرى.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٩ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي، وأبي الشيخ، والترمذي، والنسائي، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي شيبه، وسعيد بن منصور. وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٥ ص ١٨٧ - ١٩٠ والشفاء لعياض ج ٢ ص ٤٨ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٦٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٣٩ وتفسير الآلوسي ج ٣ ص ١٨٨ وشرح إحقاق الحق

وعن سعد بن أبي وقاص، عن علي بن أحمد قال: لما نزلت آية المباهلة دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً وفاطمة، وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»^(١). انتهى.

فتلقى شرحبيل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعتك.

فقال: «وما هو»؟!.

فقال: حكمك اليوم إلى الليل، وليلتك إلى الصباح، فما حكمت فينا فهو جائز. وأبوا أن يلاعنوه.

وعن ابن عباس قال: لو باهل أهل نجران رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً^(٢).

(الملحقات) ج ٩ ص ٧٩ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص ٩٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٩ عن مسلم، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم في السنن، وفي هامشه عن: الحاكم ج ٤ (١٨٧١)، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٦٦ والعمدة لابن البطريق ص ١٣٢ و ١٨٨ والطرائف لابن طاووس ص ٤٥ وص ١٢٩ والصراط المستقيم للعاملي ج ١ ص ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٦٥ و ٢٧٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٩ عن عبد الرزاق، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر. ومجمع البيان للطبرسي ج ١ ص ٣١٠ والدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٣٩ وراجع: بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٦٩ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٤٨ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٢٨ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٥٧ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٣٠٨ ومسند أبي يعلى ج ٤ ص ٤٧٢ وتفسير القرآن للصنعاني

وروي عن الشعبي مرسلاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «لقد أراني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر، لو تموا على الملاعنة».

وروي عن قتادة مرسلاً: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن كان العذاب لقد نزل على أهل نجران، أن لو فعلوا لاستؤصلوا من الأرض»^(١). ولما غدا إليهم أخذ بيد حسن وحسين، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمنوا».

فقال أسقفهم: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله. فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. والله، لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، أي عيسى. فوالله، ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا دينكم فوادعوا الرجل، وانصرفوا.

فقالوا: يا أبا القاسم لا نلاعنك.

فقال: «فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم». فأبوا. قال: «فإني أنا جزكم».

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك.

فصالحهم، وقال: «والذي نفسي بيده، إن العذاب تدلى على أهل نجران،

ج ١ ص ٥٢ وجامع البيان للطبري ج ١ ص ٥٩٧ وج ٣ ص ٤٠٩.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤١٩ والدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٣٩.

ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر»^(١).

وفي بعض النصوص أنهم قالوا له: لم لا تباهلنا بأهل الكرامة والكبر، وأهل الشارة ممن آمن بك واتبعك؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: «أجل، أباهلكم بهؤلاء خير أهل الأرض، وأفضل الخلق».

ثم تذكر الرواية قول الأسقف لأصحابه: «أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله.. إلى أن قال:

أفلا ترون الشمس قد تغير لونها، والأفق تنجع فيه السحب الداكنة، والرياح تهب هائجة سوداء، حمراء، وهذه الجبال يتصاعد منها الدخان؟! لقد أطل علينا العذاب! انظروا إلى الطير وهي تقيء حواصلها، وإلى الشجر

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٩٠ عن ابن أبي شيبه، وأبي نعيم وغيرهما، وراجع: المحرر الوجيز للأندلسي ج ١ ص ٤٤٨ وتخريج الأحاديث والآثار ج ١ ص ١٨٥ و ١٨٦ وتفسير البغوي ج ١ ص ٣١٠ والتفسير الكبير ج ٨ ص ٨٥ وتفسير أبي السعود ج ٢ ص ٤٦ ومناقب آل أبي طالب (ط المطبعة الحيدرية) ج ٣ ص ١٤٤ والعمدة لابن البطريق ص ١٩٠ والطرائف لابن طاووس ص ٤٢ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨١ وج ٣٥ ص ٢٥٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٣٠٣ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٤٢٥ وتحفة الأحوزي ج ٨ ص ٢٧٩ وتفسير جوامع الجامع ج ١ ص ٢٩٤ وخصائص الوحي المبين ص ١٢٦ و ١٢٧ وتفسير الميزان ج ٣ ص ٢٣١ ومطالب السؤول ص ٣٨.

كيف يتساقط أوراقها، وإلى هذه الأرض ترجف تحت أقدامنا»^(١).

(١) راجع: تفسير القمي ج ١ ص ١٠٤ وحياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشي ج ١ ص ٤٩ - ٥١ وقد روى قضية المباهلة بأهل الكساء باختصار تارة، وبالتفصيل أخرى جم غفير من الحفاظ والمفسرين.

ونذكر على سبيل المثال منهم هنا: تفسير العياشي ج ١ ص ١٧٦ و ١٧٧ ومجمع البيان ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٣ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣٧٠ و ٣٧١ وتفسير جامع البيان للطبري ج ٣ ص ٢١١ و ٢١٣ و ٢١٢ وتفسير النيسابوري (بهامش جامع البيان) ج ٣ ص ٢١٣ و ٢١٤ وتفسير الرازي ج ٨ ص ٨٠ وبعد ذكره حديث عائشة في المباهلة بأهل البيت «عليهم السلام»، وأنه «صلى الله عليه وآله» جعل حينئذ الجميع تحت المرط الأسود، حيث قرأ آية التطهير قال الرازي: «وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث».

وراجع: التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ج ٨ ص ١٠٨ عن التاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٩٦ عن مسلم والترمذي، والكشاف للزمخشري ج ١ ص ٣٦٨ - ٣٧٠ والإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ص ١٦٦ والصواعق المحرقة ص ١٥٣ و ١٥٤ وأسباب النزول للواحدي ص ٥٨ و ٥٩ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٠ و ١٢١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٥٤ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٩٢ وج ١ ص ١٣٠ و ١٢١ وصحيح الترمذي ج ٥ ص ٦٣٨ و ٢٢ وينابيع المودة ص ٥٢ و ٢٣٢ وعن ص ٤٧٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩٨ و ٢٩٩ وحقائق التأويل للشريف الرضي «رحمه الله» ص ١١٠ و ١١٢ وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٧٨ وج ٢ ص ٢٣ و ٢٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٤ و ١٢٣ وج ٢ ص ٢٠ والمسترشد في الإمامة ص ٦٠ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي ط ١) ج ١ ص ٢٠٦ و (ط ٢) ص ٢٢٥ والمناقب للخوارزمي ص ٥٩ و ٦٠ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ والإصابة ج ٢

ص ٥٠٣ و ٥٠٩ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٥٠ وتفسير فرات ص ١٥ و ١٤ و ١٦ و ١١٧ وأمالى الشيخ الطوسي ج ٢ ص ١٧٢ وج ١ ص ٢٦٥ والجوهرة في نسب علي وآله «عليهم السلام» ص ٦٩ وذخائر العقبى ص ٢٥ وروضة الواعظين ص ١٦٤ وما نزل من القرآن في أهل البيت لابن الحكم ص ٥٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١١٠ و ٥ و ٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٦ وسنن البيهقي ج ٧ ص ٦٣ ومسند أحمد ج ١ ص ١٨٥ ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص ٢٦٣ وفي هامشه عن نزول القرآن لأبي نعيم (مخطوط) والدر المنثور ج ٢ ص ٣٨ - ٤٠ عن بعض من تقدم، وعن البيهقي في الدلائل، وابن مردويه، وابن أبي شبة، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

وراجع: البرهان (تفسير) ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٩٠ عن بعض من تقدم، وعن موفق بن أحمد، في كتاب فضائل الإمام علي، والإختصاص، وعن الصدوق، وعن الثعلبي، عن مقاتل، والكلبي، وفي الميزان (تفسير) ج ٢ ص ٢٢٨ - ٢٣٥ عن كثير ممن تقدم، وعن عيون أخبار الرضا، وإعلام الورى ص ٧٩ والخرائج والجرائح، وحلية الأولياء، والطيالسي.

وهو أيضاً في: فتح القدير ج ١ ص ٣٤٧ و ٣٤٨ والبيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٨٥ ونور الثقلين ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٩٠ عن بعض من تقدم، وعن الخصال، وروضة الكافي وغيرهما، وعن نور الأبصار ص ١١١ وعن المنتقى باب ٣٨ وفي تفسير الميزان ج ٣ ص ٢٣٥ وقال ابن طاووس في كتاب سعد السعود ص ٩١: رأيت في كتاب تفسير ما نزل في القرآن في النبي وأهل بيته، تأليف محمد بن العباس بن مروان: أنه روى خبر المباهلة من أحد وخمسين طريقاً عن سماه من الصحابة وغيرهم، وعد منهم: الحسن بن علي «عليهما السلام» وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وبكر بن سمال، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف،

وعبد الله بن عباس، وأبا رافع مولى النبي، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك» انتهى.

وروي ذلك أيضاً عن: علي «عليه السلام»، وأم سلمة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري، وعمرو بن سعيد بن معاذ، وحذيفة بن اليمان، (وزاد ابن طاووس نقلاً عن الحجام) أبا الطفيل عامر بن واثلة، وجريير بن عبد الله السجستاني، وأبا قيس المدني، وأبا إدريس، ومحمد بن المنكدر، وعلي بن الحسين، وأبا جعفر محمد بن علي بن الحسين، وأبا عبد الله جعفر بن محمد، والحسن البصري، وقتادة، وعلباء بن الأحمر، وعامر بن شراحيل الشعبي، ويحيى بن نعمان، ومجاهد، وشهر بن حوشب.

وأضاف ابن شهر آشوب في مناقبه ج ٣ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ و ٣٧٠: أبا الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، وابن البيع في معرفة علوم الحديث، وأحمد في الفضائل، وابن بطة في الإبانة، والأشفه في اعتقاد أهل السنة، والخركوشي في شرف النبي، ومحمد بن إسحاق، وقتيبة بن سعيد، والقاضي أبا يوسف، والقاضي المعتمد أبا العباس، وأبا الفرج الأصبهاني في الأغاني، عن كثيرين، وهامش حقائق التأويل ص ١١٠ عن بعض من تقدم، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٦٥ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٩٢ وعن كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٧ وعن تفسير الخازن، وعن تفسير البغوي بهامشه.

وثمة مصادر كثيرة أخرى ذكرها في مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ مثل: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٦ وفي (ط أخرى) ص ٧١ وفتوح البلاذري ص ٧٥ وفي (ط أخرى) ص ٨٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٠ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٦ والشفاء للقاضي عياض ج ٢ ص ١٠٧ ونسيم الرياض ج ٣ ص ٤١١ وشرح القاري (بهامشه) ج ٢ ص ٥٢٢ وج ٣ ص ٤١١ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ١٤١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٠٤ والمنار ج ٣ ص ٣٢٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤١٦ وبحار

الأنوار ج ٣٥ وج ٢١ ص ٢٧٧ و ٢٨٢ و ٣٢١ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤١ و ٣٤٣ و ٣٤٦ و ٣٥٤ ودلائل النبوة للبيهقي ص ٢٩٨ والقاضي البضاوي في تفسير الآية، وروح المعاني ج ٣ ص ١٩٠ وروح البيان ج ٢ ص ٤٤ والسراج المنير ج ١ ص ٢٢٢ وتفسير الشريف اللاهيجي ج ١ ص ٣٣٢ وجلاء الأذهان ج ١ ص ٦١ وكنز الدقائق ج ٢ ص ١٠٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٥٧ والعمدة لابن بطريق ص ١٨٨ وما بعدها، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ١٤ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٦ وفي (ط أخرى) ص ٢٩٥ والأغاني ج ١٢ ص ٧ ونهج الحق ص ١٧٧ وغاية المرام المقصد الثاني الباب ٣ و ٤ عن سعد، وجابر، وابن عباس، والشعبي، والسدي، وأبي عبد الله، والحسن، وأبي الحسن موسى، وأبي ذر عن علي «عليهما السلام» في حديث (المناشدة)، وعن محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، وعن أبي الحسن الرضا «عليه السلام».

وكذا أخرجه في ملحقات إحقاق الحق ج ٣ ص ٤٦ فما بعدها وج ٥ وج ٩ وج ١٤ عن مصادر أهل السنة جمعاء، عن جمع ممن قدّمناه، وعن الثعلبي في تفسيره، ومعالم التنزيل ج ١ ص ٣٠٢ ومصابيح السنة ج ٢ ص ٢٠٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ١١٥ وجامع الأصول ج ٩ ص ٤٧٠ وتلخيص الذهبي، ذيل المستدرک ج ٣ ص ١٥٠ ومطالب السؤل ص ٧ والرياض النضرة ص ١٨٨ وتفسير النسفي ج ١ ص ١٣٦ وتبصير الرحمن ج ١ ص ١١٤ ومشكاة المصابيح ج ٢ ص ٣٥٦ والكاف الشاف ص ٢٢٦ والمواهب للكاشفي ج ١ ص ٧١ ومعارج النبوة ج ١ ص ٣١٥ والإكليل ص ٥٣ وتفسير الجلالين ج ١ ص ٣٣ وتفسير أبي السعود ج ٢ ص ١٤٣ ومدارج النبوة ص ٥٠٠ ومناقب مرتضوي ص ٤٤ والإتحاف بحب الأشراف ص ٥٠ والجواهر للطنطاوي ج ٢ ص ١٢٠ ورشفة الصادي ص ٣٥ وكفاية الخصام ص ٣٩ وراجع أيضاً ج ٩ ص ٧٠ عن منهاج السنة لابن تيمية ج ٤ ص ٣٤ ومقاصد المطالب ص ١١ والمتقى ص ١٨٨ وأرجح المطالب ص ٥٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣

كتاب مصالحة النجرانيين:

وبعد امتناع نصارى نجران عن الدخول في الملاءنة، تقرر ضرب الجزية عليهم، فانصرفوا حتى إذا كان من الغد كتب إليهم كتاباً بذلك..
وذكرت بعض المصادر: أن كاتب الكتاب هو المغيرة بن شعبة^(١).
وقيل: هو معيقب^(٢).

وقيل: عبد الله بن أبي بكر^(٣).

ص ١٩٤ ومراة الجنان ج ١ ص ١٠٩ وشرح المقاصد للفتازاني ج ٢ ص ٢١٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٣ وإمتاع الأسماع ص ٥٠٢ والمواقف ج ٢ ص ٦١٤ وشرح ديوان أمير المؤمنين «عليه السلام» ص ١٨٤ وراجع أيضاً ج ٥ ص ٥٩ و ١٠٢ وج ١٤ ص ١٣١-١٤٨.

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٤٨ عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٦٦ و (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٢١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٥٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٦٧ ورسالات نبوية ص ٦٦ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٢٣ وزاد المعاد ج ٣ ص ٤١ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٧٦ ومدينة العلم ج ٢ ص ٢٩٧ ومجموعة الوثائق ص ١٧٩ / ٩٥ عن جمع ممن قدمناه، وعن إمتاع الأسماع (خطية كوپرلو) ص ١٠٣٨ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤٢٠هـ) ج ١٤ ص ٧١ و ٧٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٣٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٠٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد (خطية باريس) ١٩٩٢، ورقة ٦٥ - ألف، وراجع أيضاً ص ٧١٨ و (ط دار الحديث سنة ١٤١٩هـ) و (ط دار الكتب العلمية) ج ١١ ص ٣٩٣ وراجع ج ٦ ص ٤٢٠.

(٢) ذكر ذلك أبو عبيد، وابن زنجويه.

(٣) ذكر ذلك أبو يوسف.

وقال اليعقوبي: إنه علي «عليه السلام»^(١).

ويؤيده: ما ذكره يحيى بن آدم^(٢).

ويؤيده أيضاً: ما ذكره من أن النجرانيين جاؤوا علياً «عليه السلام»

بكتابه الذي كتبه لهم بيده، فراجع^(٣).

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٨٢:

(٢) فتوح البلدان ج ١ ص ٧٨ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ١٠٧ و ١٥٣ و ١٦٩.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٢٠ ومعجم البلدان ج ٥ ص ٢٦٩ ومكاتب

الرسول ج ٣ ص ١٧٠ عن المصادر التالية: المصنف لابن أبي شيبة ج ١٤

ص ٥٥٠ و ٥٥١ عن سالم، وكنز العمال ج ٤ ص ٣٢٣ و (ط مؤسسة الرسالة)

ج ١٢ ص ٦٠١ عن ابن أبي شيبة، والأموال لأبي عبيد، والبيهقي وج ١٤

ص ٢٤٧ عن البيهقي، عن عبد خير، والأموال لابن زنجويه ج ١ ص ٢٧٦ و

٤١٨ عن سالم، والخراج لأبي يوسف ص ٨٠ قال: وكان الكتاب في أديم أحمر،

والأموال لأبي عبيد ص ١٤٣ / ٢٧٣ والمطالب العالية ج ٤ ص ٤١ وراجع: فتوح

البلدان ج ١ ص ٧٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٩٤.

الفصل الثالث:

وقفات مع حديث المباهلة..

المفيد وابن شهر آشوب يتحدثان:

في بداية كلامنا في هذا الفصل نذكر ما أجمله الشيخ المفيد «قدس سره»، وفصله ابن شهر آشوب المازندراني «أعلى الله مقامه».. ونختار النص الذي ذكره المازندراني، فنقول:

قال المازندراني بعد ذكر بيعة الحسين «عليهما السلام» يوم بيعة الرضوان:

«ولم يبايع صغيراً في ظاهر الحال غيرهما، ونزول القرآن بإيجاب ثواب الجنة لهما على عملهما مع ظاهر الطفولية، منها قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ
جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ
شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾^(١)،
فعمهما بهذا القول مع أبويهما..
وأدخلهما في المباهلة.

قال ابن علان المعتزلي: هذا يدل على أنها كانا مكلفين في تلك الحال،
لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

(١) الآيات ٨ - ١٢ من سورة هل أتى.

وقال أصحابنا: إن صغر السن عن حد البلوغ لا ينافي كمال العقل .
 وبلوغ الحلم حد لتعلق الأحكام الشرعية، فكان ذلك لخرق العادة،
 فثبت بذلك أنها كانا حجة الله لنبيه في المباهلة مع طفوليتهما .
 ولو لم يكونا إمامين لم يحتج الله بهما مع صغر سنهما على أعدائه، ولم
 يتبين في الآية ذكر قبول دعائهما .
 ولو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجد من يقوم مقامهم غيرهم،
 لباهل بهم، أو جمعهم معهم، فاقتصاره عليهم، يبين فضلهم، ونقص غيرهم .
 وقد قدمهم في الذكر على الأنفس ليين عن لطف مكانهم، وقرب منزلهم،
 وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس معدون بها .
 وفيه دليل لا شيء أقوى منه: أنهم أفضل خلق الله»^(١) .

متى كانت المباهلة؟!

كانت بيعة الرضوان في سنة ست من الهجرة ..
 وتقدم: أن الحسن والحسين «عليهما السلام» بايعا رسول الله «صلى الله
 عليه وآله» فيها ..
 وفي سنة ست أيضاً، وقيل: قبلها، كانت المباهلة بين رسول الله «صلى

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٦٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٤٢ وبحار
 الأنوار ج ٤٣ ص ٢٧٨ . وكلام المفيد في الإرشاد ج ٢ ص ٣٠ ومناهل الضرب
 ص ٣٨١ والمستجد من الإرشاد (مجموعة نفيسة) ص ١٥٥ وفدك للقزويني ص ١٦
 والمجالس الفاخرة ص ١٧٧ .

الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام»، وبين وفد نصارى نجران، كما قال العلامة الطباطبائي^(١).

وقيل: كانت سنة عشر، أو تسع.

فإن كانت سنة ست، فيكون عمر الحسن والحسين «عليهما السلام» حينها ستين، وثلاثاً.. وإن كانت سنة تسع، فيكون عمرهما «عليهما السلام» خمساً إلى سبع سنين.

وهذا التفاوت لا أثر له في البحث الذي نحن بصددده.

حديث المباهلة متواتر:

١ - إن بعض المعروفين - كالشعبي - وإن لم يذكر علياً «عليه السلام» في جملة من شارك في المباهلة.. ولكن ذلك لم يضر علياً «عليه السلام»، بل هو يضر الشعبي، ويفضح أمره، ويشي بعدم أمانته، وقلة إنصافه، وانسياقه مع مشاعر التعصب والكيد..

وربما أراد التزلف بذلك إلى بني أمية، أعداء أمير المؤمنين وأهل بيته «عليهم السلام».

كما أن من يتجرأ على إنكار الواضحات، ويتجاهل المتواترات، ويسعى لطمس الحقائق، والإضرار بعقائد الناس، لا بد أن يكون في غاية الجرأة، وغاية البعد عن الله سبحانه.

ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

(١) الميزان (تفسير) ج ٣ ص ٣٦٨.

٢ - إن ثبت حديث المباهلة بعلي وأهل البيت «عليهم السلام» مما لا ريب فيه، وهو كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، ويكفي أن نقول: ألف: يقول الرازي عن رواية المباهلة بعلي وولديه «عليهم السلام»: «إن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث»^(١).

ب: قال الجصاص: «فنقل رواية السير، ونقله الأثر، لم يختلفوا فيه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخذ بيد الحسن والحسين، وعلي، وفاطمة «عليهم السلام»، ثم دعا النصاري الذين حاجَّوه إلى المباهلة»^(٢).

ج: قال الحاكم: «تواترت الأخبار في التفاسير عن عبد الله بن عباس وغيره: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخذ يوم المباهلة بيد علي، وحسن وحسين، وجعلوا فاطمة وراءهم الخ ..»^(٣).

د: في بعض المصادر روي خبر المباهلة من أحد وخمسين طريقاً، وهو مروي عن عشرات الصحابة والتابعين^(٤).

٣ - قد يكون بنو أمية وراء محاولات استبعاد الشعبي لعلي «عليه

(١) التفسير الكبير ج ٨ ص ٨٠ و (الطبعة الثالثة) ج ٨ ص ٨٥ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨٥ وتفسير النيسابوري (بهامش الطبري) ج ٣ ص ٢١٣ ودلائل الصدق ج ٤ ص ٤٠٢.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٦ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥ هـ) ج ٢ ص ١٨ و (ط أخرى) ص ٢٩٥.

(٣) معرفة علوم الحديث ص ٥٠.

(٤) سعد السعود ص ٩١ وغاية المرام، الباب الثاني والثالث، وغير ذلك من المصادر التي تقدمت في الفصل السابق.

السلام»، حيث لم يجدوا سبيلاً لإشراك محبيهم معه، في هذا الحدث الجميل والجليل، الذي خلّده الله تعالى في كتابه الكريم.

المباهلة بالخمسة دون سواهم:

١ - زعم بعضهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخرج معه للمباهلة: «الحسن والحسين، وعلياً، وفاطمة، وعائشة، وحفصة..» وهذا دل عليه قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾^(١) «(٢)».

٢ - ورووا عن الإمام الصادق «عليه السلام» عن أبيه، في قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(٣)، أنه قال:

«فجاء بأبي بكر وولده، وبعمر وولده، وبعثمان وولده، وبعلي وولده»^(٤).

ونقول:

إن هذا لا يصح، وذلك لما يلي:

أولاً: بالنسبة للنص الأول الذي ذكر عائشة وحفصة فقط نقول: إنه

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢١٢ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٣٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٤٤ و ١٤٥.

(٣) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٤) الدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ عن ابن عساكر، وتفسير المنار ج ٣ ص ٣٢٢ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٥٠٧ وكنز العمال ج ٢ ص ٣٧٩ وتفسير الميزان ج ٣ ص ٢٤٤ وفتح القدير ج ١ ص ٣٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ١٧٧ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص ٢٧٨.

زعم أن قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ يؤيد، بل يدل على صحة هذه الإضافة حيث إنها ذكرت النساء بصيغة الجمع، وبإضافة حفصة وعائشة إلى فاطمة يصير المجموع ثلاثة، وهو أقل الجمع..

وقد فات هذا المستدل: أن استدلاله هذا يحتم عليه إيجاد ثلاثة مصاديق أيضاً للأنفس، وثلاثة للأبناء، مع أن الموجود في الموردين أقل من ثلاثة، كما دلت عليه عشرات الروايات.

ثانياً: بالنسبة للنص الأول أيضاً نقول:

لماذا لم يحضر من الزوجات غير عائشة وحفصة؟!

وأين هي أم سلمة، وزينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة، وميمونة، وصفية، وجويرية؟!

ثالثاً: إن ذكر إخراج أولاد عمر، وأبي بكر، وعثمان في الرواية المنسوبة إلى الإمام الصادق «عليه السلام» لا يمكن قبوله، فقد قال الشيخ الطبرسي «رحمه الله»: «أجمع المفسرون: على أن المراد بأبنائنا: الحسن والحسين»^(١).

وقال الشيخ محمد عبده - كما نقل عنه رشيد رضا: «إن الروايات متفقة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار للمباهلة: علياً، وفاطمة، وولديهما»^(٢).

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي «قدس سره»: «أجمع أهل النقل

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٤٢ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٦٦ ومجمع البيان ج ٢

ص ٤٥٢ وراجع: التبيان ج ٢ ص ٤٨٥ ونهج الحق (مطبوع مع دلائل الصدق) ج ٢

ص ٨٣ وتفسير الرازي ج ٨ ص ٨٠ وحقائق التأويل ص ١١٤ وفيه: أجمع العلماء الخ..

(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ٣٢٢.

والتفسير على ذلك»^(١).

رابعاً: لماذا تجاهل هذا النص فاطمة الزهراء «عليها السلام» التي أجمع أهل النقل على حضورها في المباهلة؟!

أم أن أبا بكر وعمر، وعثمان، وأولادهم قد أخذوا مكانها، فبقيت في بيتها، ولم تخرج؟!

خامساً: هل يمكن أن يكون استبعاد الزهراء «عليها السلام»، وإحلال الذين ظلموها، وضربوها، وأسقطوا جنينها، وحاولوا إحراق بيتها، يهدف إلى التقليل من شأنها، وأن هذا الاستبعاد يهون ما ارتكبه بحقها، بل يرفع من مقامهم، ويعلي من شأنهم، ويمنحهم درجة من القداسة، توهم الناس: أنهم قد يكونون محقين فيما فعلوه وارتكبه في حقها..

ولاسيما إذا أعطتهم هذه الرواية المزعومة مظلة غيبية، لاسيما مع ملاحظة تناسب وتوافق التسلسل في ذكرهم مع التسلسل والترتيب لهم في الخلافة.

وربما بذلت محاولة تزعم: أن ترتيبهم في الفضل متوافق مع ترتيبهم في الخلافة خارجاً، ثم تبذل محاولة تسرية هذا الترتيب للخلفاء إلى أبنائهم أيضاً.

كما أن ذكر أولادهم يجعل - بزعمهم - أولئك الأولاد متساوين مع الحسن والحسين «عليهما السلام» في استحقاق مقام الخلافة والإمامة، ويساوي بينهم أيضاً في القداسة، وفي الميزات المختلفة؟!

ليكونوا قد ارتكبوا بهذه الإيحاءات جريمة هي من أفحش الجرائم بحق

النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته، من حيث عمق التزوير لدينه، وتشويه مقاصده، والتجني على أهل بيته الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

لماذا هؤلاء فقط؟!

١ - سيأتي إن شاء الله: أن المقصود بالنساء والأبناء ليس هو الزوجات، ولا خصوص المولود الذي يكون من صلب أي كان من المسلمين.. بل المقصود هو النساء والأبناء النموذج الأرقى لصناعة الاسلام: ﴿وَلِتُضَنَّ عَلَى عَيْنِي﴾^(١). وهم المعصومون المطهرون، وليس أبو بكر وأولاده، ولا عمر وأولاده، ولا عثمان وأولاده من هؤلاء.

لأن المقصود من المباهلة هو التحدي بالقادرين على الاحتجاج على حقائق الدين، والعالمين بحقائقه، والمنصهرين فيه فكراً، وعملاً، وسلوكاً وموقفاً.. لأن الغرض من المباهلة هو إثبات بشرية عيسى «عليه السلام»، وأن مثله ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

ولو لم يكن الحسن والحسين وفاطمة وعلي «عليهم السلام» يملكون هذه القدرات والخصائص لما أخرجهم «صلى الله عليه وآله» لمواجهة هذا التحدي.

كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يخرج الحسن والحسين «عليهما السلام» بدون أخذ رأيهما في ذلك، أو من دون اختيارهما.. لأنها يملكان من العلم والعقل والخلق والدين، ما جعلهما أهلاً لنيل مقام الإمامة، وهما في ذلك

(١) الآية ٣٩ من سورة طه.

السن المبكر، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى هو الذي منحهما هذا المقام، وشرفهما بهذا الوسام، كما أشرنا إليه أكثر من مرة في كتابنا هذا.

ولو كان الحسان «عليهما السلام» لا يدركان ما يجري حولهما، أو كانا يدركان ذلك، ولكنهما كانا مقهورين على المشاركة فيه، فهل يكون هذا الإشراك مرضياً ومقبولاً، وسائغاً؟! ولا سيما إذا كان في هذا الإشراك تعريض لهما لأخطار لا يرضيان بالتعرض لها.

تأويلات سقيمة:

هناك من يزعم: أن إشراك علي وفاطمة، والحسين «عليهم السلام» في المباهلة ليس لأجل ما لديهم من طهر، وعلم، وملكات، وقدرات عقلية، وخصوصيات، وميزات روحية ونفسية، ولا لأجل الدفاع، ودحض الشبهات والأباطيل عن حقائق الدين والإيمان.

بل كان إشراكهم لأجل إفهام النصارى، وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين: أنه «صلى الله عليه وآله» على استعداد أن يجعل حياة هؤلاء الصفوة الذين هم أعز الخلق عليه، وأحبهم إليه، وهم منه، وهو منهم - أن يجعلهم - ضمانة لصدقه..

فإذا كان على استعداد للتضحية بنفسه وبهؤلاء في سبيل إثبات ما يقوله، من أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، ثم يطلب هو من الله تعالى بحرقه وابتهاله: أن ينزل عليه وعلى أحبائه العذاب.. إن كانوا كاذبين، أو ينزل العذاب على الفريق الآخر.. إن كان ذلك الفريق هو الكاذب.

فالقضية - كما يزعم هذا البعض - لا تعدو كونها وسيلة للتأثير النفسي على الطرف الآخر..

ونجيب:

أولاً: لا بد من ملاحظة ما يلي:

ألف: إن المباهلة لم تكن اقتراحاً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليقال: إنه «صلى الله عليه وآله»، قرر أن يضحى بأعز الناس عليه، لإثبات صدقه. بل كانت قراراً إلهياً من الله تعالى، بعد أن جنح نصارى نجران إلى الجحود، والعناد، والمكابرة، بعد أن أقيمت الحجج القاطعة عليهم.

بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(١). فالاحتجاج قد حصل، والحق قد ظهر بواسطة العلم الذي آتاه الله تعالى نبيه.. فإن أصروا على الباطل، ولم يقبلوا الحق بعد ظهوره، فقل: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ..﴾. ب: فظهر بما ذكرناه: أن الله تعالى هو الذي أمر نبيه بدعوتهم إلى المباهلة، وهو الذي حدد لنبيه الأشخاص الذين يباهل بهم، وحدد لهم المضمون الذي يباهلون به، ويطلبون من الله تعالى إهلاك الكاذبين من بين الفريقين..

ج: إن هذا القرار الإلهي بالمباهلة قد جاء جزاء للنجرانيين على عنادهم وإصرارهم على باطلهم، بعد تمامية الحجة عليهم.. وكان يمكن أن يعاقبهم الله على ذلك من دون المباهلة، ولكنه تعالى لم يفعل ذلك، لأنه يريد: أن يظهر للناس الذين قد لا يدركون مضامين الحجج، مكابرة هؤلاء، وتعمدهم للباطل،

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

فجعلهم أمام خيارين كلاهما مر:

الأول: أن يقدموا على المباهلة، ويطلبوا من الله تعالى بألستهم، وباختيارهم، وبإصرار، وإلحاح أن يبعد الكاذبين عن رحمته، وإنزال العذاب عليهم، فيثبت لكل أحد أنهم كاذبون، معاندون، متعمدون للباطل.

الثاني: أن يمتنعوا عن المباهلة، فيظهر لكل أحد كذبهم في دعواهم أنهم متيقنون بما يقولون. فلو كانوا كذلك لبادروا إلى المباهلة، واعتبروها فرصة لإثبات صحة دينهم.

فرفضهم للمباهلة أثبت للناس كلهم: ضعف موقفهم، وعدم يقينهم، بل هم في ريبهم يترددون.

وبهذا الامتناع يفقدون ثقة الناس بهم، ويسقط محلهم في نفوسهم، ولا يستطيع أي عاقل أن يعول على أقوالهم. وهذا لهم خزي عظيم، وضرر جسيم، وعذاب أليم.

ثانياً: لو كان القصد من الدعوة للمباهلة: هو التأثير النفسي على نصارى نجران، لكان ما جرى مجرد تمثيلية، وعمل استعراضى لا جدية فيه، ولا قيمة واقعية له، ولا مبرر لذكره في آية قرآنية.

ثالثاً: إن نبياً يعجز عن إثبات صحة ما جاء به، فيلجأ إلى تقديم أهله وأحبائه قرايين، هو نبي عاجز، وفاقد للحجج والدلالات على صحة أقواله. مع أن الآيات - كما تقدم - قد أظهرت أن الاحتجاج قد حصل.. وأنه لم يكن احتجاجاً بالأوهام، أو الظنون والاحتمالات، بل احتج عليهم بالعلم الذي جاء من الله، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾،

ولكنهم جحدوا، وكابروا، وأنكروا الحق الواضح، فكان الأمر بالمباهلة، لكي ينزل الله عليهم العذاب بطلب تسبب منهم، ولم يكن ذلك لمجرد التهويل والتخويف..

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» لم يحتج عليهم بحجج قاطعة، وانحصرت وسيلته بالتأثيرات النفسية، أو التهويل، لجاء السؤال الذي يقول: لو اختاروا الدخول في المباهلة في هذه الحال، هل يكفي هذا التهويل لنزول العذاب عليهم؟! أم أن ذلك يكون ظلماً لهم، لأن المفروض: أنهم لم تقدم لهم أدلة مقنعة وكافية، وقاطعة للعدر؟! وكافية، وقاطعة للعدر؟!

رابعاً: إنه تعالى قال: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

ولم يقل: ابتهل، فاجعل لعنة الله على الكاذب، فالظاهر: أن الآية تقول: إن الذي يبتهل هو النبي «صلى الله عليه وآله».. ولكن ليس وحده، بل معه الذين دعاهم، وهم الذين ينزل عليهم العذاب لو كانوا كاذبين..

ولو نوقش في ذلك بدعوى: أن المراد: هو ابتهاال الطرفين المتنازعين، ولو بواسطة واحد من كل طرف، فإننا نقول:

إذا كان العذاب ينزل عليهم، فيفترض: أن يشاركوا في الابتهاال والدعاء لكي يسهموا في كشف براءتهم من الكذب.

وكل واحد من هؤلاء لا بد أن يكون هو الذي يقول: إن عيسى «عليه السلام» بشر.. ويريد كل واحد منهم إثبات ذلك، وكل واحد منهم يحتاج

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

عليه، ويختار تعريض نفسه للخطر، لو كان كاذباً في كلامه هذا.

ومعنى ذلك: أن الإمام الحسن «عليه السلام» الذي كان بعمر ثلاث سنوات، والحسين «عليه السلام» الذي كان بعمر سنتين، كانا يدَّعيان بشرية عيسى، ويحتجان، ويصران عليها، تماماً كما يدَّعي ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي وفاطمة «عليهما السلام».

مع أن هذا الذي يدَّعيانه، ويصران عليه ويريان: أنه في غاية البداهة قد خالفهم فيه أمة من الناس، لم تتمكن، أو لم تُردِّ دفع الشبهات، والتخلص من الترهات التي يثيرها من يسميهم النصارى علماء.

وقد بلغ هذا الأمر الذي ضل فيه الكثيرون من البداهة والوضوح لدى الحسين «عليهما السلام»، أنهما يجعلان حياتهما ضمانة لصحة قولهما فيه، وهما يفعلان ذلك بملء إرادتهما، وبقرار واختيار منهما.. فعلي، وفاطمة، والحسنان شركاء في الدعوى وفي إثباتها، ويدعون المعاند الجاحد بالحق مع وضوحه له إلى المبالغة فيه.

وهذا من أفضل المناقب التي خص الله تعالى بها نبيه^(١).

قال الزمخشري: «..وفيه دليل لا شيء أقوى منه: على فضل أصحاب الكساء»^(٢).

(١) الميزان (تفسير) ج ٣ ص ٢٢٤ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٨٤.

(٢) راجع: الكشف ج ١ ص ٣٧٠ والصواعق المحرقة ص ١٥٣ عنه، وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٢ ص ٣٥١ والطرائف لابن طاووس ص ٤٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٥ والصراط المستقيم ج ١ ص ٢٤٩ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٨٢ وج ٣٥

النجرانيون لا يباهلون أهل البيت عليهم السلام:

إن أهل البيت «عليهم السلام»، وهم: علي وفاطمة والحسنان «عليهم السلام» - هم - ثمرات جهود الأنبياء، وتضحيات الشهداء، وجهاد وجهود الصالحين، وهم حجج الله على خلقه، وأوصياؤه في عبادته، والأئمة المعصومون المطهرون، والأمناء على بلاده وعباده، وهم حفظة دينه..

ولذلك أخرجهم «صلى الله عليه وآله» للمباهلة، لا لمجرد كونهم أبناء، وأسباطاً، وأصهاراً، وأبناء عمومة، وما إلى ذلك.

وإنما، لأن مصير العباد والبلاد، والأمم، والدين، والأخلاق، والقيم مرهون بهم..

ويبدو: أن النجرانيين كانوا يعرفون ذلك.. ولعلهم كانوا يعرفون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١).

ص ٦٠ وراجع: الإرشاد للمفيد ص ٩٩ والميزان (تفسير) ج ٣ ص ٢٣٨ وجوامع الجامع ج ١ ص ٢٩٤ وتفسير البحر المحيط ج ٢ ص ٥٠٣.

(١) راجع: الكافي ج ١ ص ٢٨٨ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٥٦١ وفي الهامش عن: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص ٤٧ وغنية النزوع ص ٣٢٣ وجامع الخلاف والوفاق ص ٣٦٨ و ٤٠٤ وتذكرة الفقهاء ج ٥ ص ٤٣٥ و (ط قديمة) ج ١ ص ٢٥٤ وج ٢ ص ٤٣٧ ومختلف الشيعة ج ٣ ص ٣٣٣ وج ٦ ص ٣٠٨ و ٣٣٠ ومجمع البيان (ط الأعلمي) ج ٢ ص ٣١١ وج ٨ ص ١٦٥ وتفسير جوامع الجامع ج ٣ ص ٧٠ و ٨٥٧ وتلخيص الشافي ج ٤ ص ١٧٠ ونور الثقلين ج ٣ ص ٢٩٠ وج ٤ ص ٢٨٤ والميزان ج ٤ ص ٣١٢ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٣٠ والمسائل الجارودية للمفيد ص ٣٥ والمستجدات من الإرشاد (المجموعة)

وقال «صلى الله عليه وآله» مخاطباً الإمام الحسين «عليه السلام»:

«أنت سيد، ابن سيد، أخو سيد..

وأنت إمام، ابن إمام، أخو إمام..

وأنت حجة، ابن حجة، أخو حجة..

وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم»^(١).

ص ١٥٧ والصراط المستقيم ج ٢ ص ١١٨ وج ٣ ص ١٣٠ والمختصر لابن سليمان
الحلي ص ١٧٩ والتعجب للكراجكي ص ١٢٩ والفصول المختارة ص ٣٠٣
وروضة الواعظين ص ١٥٦ وكفاية الأثر ص ٣٨ و ١١٧ والفرق بين الفرق
ص ٢٥ ودعائم الإسلام ج ١ ص ٣٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٤٣ و ١٦٣
والفضائل لابن شاذان ص ١١٨ والطرائف ١٩٦ وغوالي اللآلي ج ٣ ص ١٣٠
وج ٤ ص ٩٣ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٣٩١ وج ٣ ص ٢٩٠ وبحار الأنوار ج ١٦
ص ٣٠٧ وج ٢١ ص ٢٧٩ وج ٣٥ ص ٢٦٦ وج ٣٦ ص ٢٨٩ و ٣٢٥ وج ٧٣
ص ٧ وج ٣٧ ص ٢٩٨ و ٢٩١ وج ٤٤ ص ٢ و ١٦ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٠٧
و ٤٢١ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٥٦ وج ٢ ص ٢٢٥ و ٢٤٥ والفصول المهمة
لابن الصباغ ج ٢ ص ٧١٧ و ٧٣٢ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن
عقدة ص ١٦٨ ونزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤ وفي السراج الوهاج للشبراوي
الشافعي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهما: أنتم الإمامان، ولأكمما الشفاعة،
وغاية المرام ج ٢ ص ٢٤٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٤٨٢ وج ١٩
ص ٢١٦ و ٢١٧ عن أهل البيت لتوفيق علم (ط مطبعة السعادة القاهرة)
ص ١٩٥ وعن الرسالة في نصيحة العامة لابن كرامة البيهقي (النسخة المصورة
في مكتبة أمبروزيانا في إيطاليا) ص ١٨ و ٦٧ وينايع المودة ص ٤٤٥.

(١) ينايع المودة ص ١٦٨ و ٤٤٥ و (ط دار الأسوة سنة ١٤١٦هـ) ج ٢ ص ٤٤ و

وقال للحسين «عليهما السلام»: «أنتم الإمامان، ولأمكما الشفاعة»^(١).

فهو «صلى الله عليه وآله» يثبت لهما الإمامة والسيادة والحجية وسواها بصورة فعلية، ولا يقول لهما: ستكونان إمامين، أو سيدين، أو حجتين.. تماماً كما أثبت الله تعالى النبوة لعيسى وهو في المهد، فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ

٣١٦ وج ٣ ص ٢٩١ و ٣٩٤ وراجع: منهاج السنة لابن تيمية ج ٤ ص ٢٠٩ وإثبات الهداة ج ٥ ص ١٢٩ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٤١ و ٣٦٠ و ٢٩٠ و ٢٩١ وكفاية الأثر ص ٤٦ وغاية المرام ج ١ ص ١٢٩ وكشف الأستار ص ٦١ ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٢١٢ - ٢١٣ وكمال الدين ص ٢٦٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٧ ص ٩٩ عن عيون الأخبار (نسخة مكتبة الفاتيكان) ص ٥٥ وعن آل محمد للمردى الحنفي ص ١٨.

وراجع: الإمامة والتبصرة ص ١١٠ والخصال ص ٤٧٥ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٥٦ والإستنصار للكراچكي ص ٩ والإختصاص ص ٢٠٧ وكتاب سليم بن قيس ص ٤٦٠ والصراط المستقيم ج ٢ ص ١١٩ و ١٣٠ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٢٣٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢١٤ وإعلام الوري ج ٢ ص ١٨٠ والدر النظيم ص ٧٩١ وكشف الغمة ج ٣ ص ٣١٣ والعدد القوية ص ٨٥ والنجم الثاقب ج ١ ص ٤٨٢.

(١) نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٤ و (ط القاهرة) ج ٢ ص ٢٢٨ والإتحاف بحب الأشراف ص ١٢٩ وإثبات الهداة ج ٥ ص ٥٢ والمحتضر لابن سليمان الحلي ص ١٧٩ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٢٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٦٦٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٩ ص ٢٥١ وج ٣٣ ص ٢٩٢ عن مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة (ط دار ابن كثير دمشق وبيروت) ص ١٩١.

مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا»^(١).

وقال عن يحيى «عليه السلام»: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٢).

وقد ثبتت الإمامة للإمام الهادي، والجواد، والإمام الحجة المنتظر، وأعمارهم كانت ما بين خمس وعشر سنوات.

وقد تعامل الله تعالى مع الحسين «عليهما السلام»، كما يتعامل مع أي عاقل كامل، مطهر معصوم، فلاحظ سورة هل أتى، وآية التطهير، وآية المودة في القربى، وآية المباهلة.

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» أشركهما في بيعة الرضوان، وفي الشهادة على كتاب ثقيف، وأشركتهما الزهراء «عليها السلام» في الشهادة على فدك، حتى قال الشاعر:

ثُمَّ قَالَتْ: فَنِحْلَةٌ لِي مِنْ وَا لَدِي الْمِصْطَفَى فَلَمْ يَنْحَلْهَا
فَأَقَامَتْ بِهَا شُهُوداً فَقَالُوا بَعْلُهَا شَاهِدٌ لَهَا وَابْنَاهَا^(٣)

(١) الآيات ٣٠-٣٢ من سورة طه.

(٢) الآية ١٢ من سورة مريم.

(٣) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٨ ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٧ والصواعق المحرقة ص ٣٥ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٤٦٩ وسيرة الأئمة الاثني عشر ج ١ ص ١٢٩ و ١٣٠ عن الصواعق المحرقة، وعن شرح المواقف، ودلائل الصدق ج ٣ ق ١ ص ٣٨ عن المواقف، وفدك للقزويني ص ١٦ و ١٧ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥٧٩ عن المسعودي، والحلي، وابن أبي الحديد، ومالكيت خصوصي (زمين) للأحمدي ص ١٣٢ عن

وقد ظهرت المعجزات منهما، ومن الأنبياء والأوصياء سواهما أيضاً في حال صغر السن، وبأن امتيازهم عن سائر الخلق بالمعجزات والكرامات، وبالعلم، والحكمة، وبالسّمات والصفات، وبالعصمة، والفضائل والكمالات، وغيرها، مما دل على ثبوت مقام الإمامة لهما بأظهر معانيه.

لمحات في آية المباهلة:

ونختم كلامنا عن المباهلة بالإشارة إلى لمحات تعرضت لها آية المباهلة المباركة، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

واللمحات التي هي محط النظر، هي التالية:

دلت الآية، أو أشارت، أو يمكن أن يستفاد منها:

١ - أن المباهلة كانت أو تكون بعد الاحتجاج وظهور الحق، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾.

٢ - إن الاحتجاج الذي يسبق المباهلة كان ويكون بوسائل علمية و يقينية.

٣ - إن المبرر للمباهلة هو الإصرار على الباطل بعد وضوحه.

أكثر من تقدم، وعن جامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٦٠٦ وتهذيب الأحكام، وبحار الأنوار ج ٨ ص ١٠٨ عن كشكول العلامة.

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

٤ - إنه بالرغم من أن المسألة التي هي موضع الاحتجاج عقلية وإدراكية، لأنها تدور حول بشرية عيسى «عليه السلام»، لكن الله تعالى هو الذي أبلغ نبيه أدوات الاحتجاج، ولم يكله إلى عقله وإدراكاته.. ولذا قال: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، ولم يقل: من بعد احتجاجك..

٥ - إن هذا البيان يعطي: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان مبلغاً للوحي الإلهي، وينفذ التعاليم الربانية، ولم يكن ينشئ الاستدلال من عند نفسه، فليس لأحد أن يظن: أن الموضوع موضوع صراع عقول.. قد يكون بعضها أقوى من بعض، فتكون الغلبة للقوي، وإن لم يطابق الواقع..

كما أن أمر البشرية لعيسى «عليه السلام» مرتبط بالخالق.. فهو الذي يخبر عن أنه بشر، أو ليس بشر، ويحدد ما هو عليه في الواقع، من موقع خالقيته وألوهيته، وعلمه الحضورى، لأنه هو الفاعل والجاعل، والبارئ، والخالق، فهو لا يخبر من موقع الحدس والتخمين، أو استناداً إلى استلزامات عقلية تجريدية.

٦ - ولا يستطيع النجرانيون: أن يدَّعوا لأنفسهم شيئاً من ذلك، وبذلك يكون قد ألجأ النجرانيين إلى الإقرار: بأنهم إنما يخبرون عن أمر ليس لهم سبيل للوصول إليه، ويقينهم الذي يدَّعون لا يكون حجة على غيرهم، ممن ليس لديه هذا اليقين.. لاسيما وأنهم يعترفون: بأن صلتهم بالله مقطوعة، ولا سبيل لهم إلى كشف الواقع بالوحي.

أما النبي «صلى الله عليه وآله»، فهو لا يخبر عن معادلات واستلزامات عقلية، بل يخبر عن الله، من حيث هو «صلى الله عليه وآله» رسول الله إليهم.

٧ - ويشهد لذلك أيضاً: أن المباهلة نفسها لم تكن اقتراحاً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كانت قراراً إلهياً أبلغه الله إليهم، من خلال رسوله..

٨ - إنه «صلى الله عليه وآله» قد تكلم عن الدعاة للمباهلة بصيغة الجمع، فقال: ﴿نَدْعُ﴾ بصيغة الجمع..

مع أن الداعي للحسين وعلي وفاطمة «عليهم السلام» هو رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلماذا جاء بصفة الجمع، فقال: ﴿نَدْعُ﴾؟! ونجيب:

لعل سبب ذلك: أن الدعوة للأبناء والنساء والأنفس تكون من طرفين، هما: النبي «صلى الله عليه وآله» من جهة، والنجرانيون من جهة أخرى، إذا انضموا إلى بعضهما البعض، بالاتفاق بينهما على الدعوة، فيصح التعبير عن الطرفين أو الثلاثة بصيغة الجمع، ويشهد لذلك: أنه قد جاء على لسان موسى «عليه السلام» في خطابه لفرعون عن نفسه وعن أخيه هارون قوله: ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾^(١). وقال: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾^(٢).

ويكفي أن يكون الداعي الطرفين - النبي «صلى الله عليه وآله» وخصمه - في تصحيح صيغة الجمع، فكأنه «صلى الله عليه وآله» قال: تعالوا ندع نحن وأنتم، وإن كان الذي يتولى الدعوة من كل طرف شخص واحد.

(١) الآية ٤٧ من سورة طه.

(٢) الآية ٤٥ من سورة طه.

٩ - والكلام المتقدم يجري في قوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ﴾، لكنه أضاف إلى الطرفين الداعيين: الأبناء، والنساء، والأنفس المدعوين من الطرفين للمباهلة أيضاً..

والشاهد على ذلك: قوله: ﴿عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فإنه، يشهد: بأنه «صلى الله عليه وآله» لا يخبرهم عن أمر ذهني، عقلي تجريدي، بل هو يخبر عن الواقع الخارجي، بحيث تكون مطابقة الخبر له شاهد صدق على صحة الخبر.. وعدم مطابقته له تشهد على كذب ذلك الخبر.

ولأجل ذلك قال: ﴿عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، ولم يقل: على المخطئين مثلاً في فكرهم، أو في استدلالهم.

١٠ - قوله: ﴿نَدْعُ﴾ تشهد على أن المطلوب هو الدعوة للأبناء، ثم يكون لهم الخيار في الاستجابة وعدمها.. فهم إذن، لم يجبروا على الحضور، حيث لم يقل: إئتوا بأبنائكم وبنسائكم.

١١ - وقد قال: ﴿نَدْعُ﴾، ولم يقل: ادع أبنائي ونسائي، وتدعون أنتم أبناءكم ونساءكم، لأن قوله: تعالوا ادع أبنائي و.. الخ.. تفيد: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما يتكلم عن نفسه، وعن ربه، وهما الجهة التي هي جهة المحقين.. وهي التي تواجه النجرانيين، الذين هم مجرد أفراد انضم بعضهم إلى بعض.. والله ليس معهم، بل هو ضدهم.

١٢ - إنه تعالى قال: ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، ولم يقل: فتكون اللعنة مثلاً على الكاذبين، ربما لأن قوام المباهلة: هو أن يطلب المتباهلون من الله سبحانه أن يبعد الفريق الكاذب من ساحة رحمته، وينزل به نقمته وعذابه..

فلا يكون إنزال العذاب مجرد فعل انتقامي، قد يُدعى أنه قد تجاوز الحق فيه، إذ كان عليه أن يرحم، وأن يعفو..

والدليل على أنه ليس عملاً انتقامياً: أنه عذاب جاء تلبية لرغبة الداعي نفسه، كما أنه تلبية لطلب المظلوم الذي يتهمة الداعي الآخر بالكذب بدون وجه حق.

١٣ - لعل هذا يدل على أن المباهلة لا بد أن يكون فيها الطرفان يعترفان بالله، أو لا بد أن يكون واحد منهما مؤمناً، ومحققاً، والآخر راضياً بتعريض نفسه لعذاب الله، على فرض وجود الله.. أي أنه يقدم على المباهلة عناداً، وسعيًا في إبطال الحق، وحباً بنصرة الباطل.

١٤ - بقي أن نشير إلى أن تقديم الأبناء، ثم النساء في الذكر في الآية الشريفة قد تكون له أسباب كثيرة، مثل:

ألف: أن يظهر الله تعالى للنجرانيين، وللناس كلهم المعجزة في الحسين «عليهما السلام».. ويدل على كمال عقلهما، واختيارهما، وعلى أنها قادران على تحمل المسؤولية مهما كانت كبيرة وخطيرة.. وليسلم لهما الناس بالإمامة، ولا ينبغي أحد عليهما فيها، وفي أي من شؤونها..

وليعلم الناس جميعاً: أن السن في الإمام ليس معياراً، فلا فرق بين كونه ابن يوم، أو ابن مئة سنة.

كما أنه يدل على غزارة علمهما، وعلى صحته ومطابقته للواقع، وغير ذلك.

ب: إن الله تعالى - كما تقدم - قد أتى بحبي «عليه السلام» الحكم صبيّاً، وتكلم عيسى «عليه السلام» في المهدي، وأن الله تعالى جعله نبياً، وأنه أمره

بالصلاة والزكاة ما دام حياً.. فلا مجال إذن للشك في الإمامة، أو بالنبوة، استناداً إلى صغر السن، لا في الحسين ولا في غيرهما.

ج: إن الكمالات المشار إليها، ولزوم الدفاع عن الحق والدين لا ينحصر بالرجال، فللنساء أيضاً نصيب من ذلك، إذا امتلكن القدرات الإيمانية والفكرية، وبلغن الدرجات الفضلى في العلم، والأخلاق، والطهر والاستقامة.

١٥ - إن المباهلة مأخوذة من البهلة - بفتح الباء وضمها -، وهي: اللعنة، ثم كثر استعمالها في الدعاء، مع إلحاح وإصرار.

١٦ - إنما قال: ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ﴾ ليدل على حتمية إنتاج هذا الإلحاح والإصرار في الدعاء، للمطلوب الذي هو إظهار الحق، وانتصاره، وإبطال الباطل وانكساره.. وهو طلب محق، يحبه الله، ويرضاه كل عاقل منصف، ويدّعيه ويتظاهر به حتى المبطلون ليخدعوا به الناس، وليسوّقوا به الباطل.

١٧ - إن ضمير ﴿نَدْعُ﴾ يرجع إلى الجماعتين معاً، وهم المسلمون والنجراتيون. ولكن ضمير ﴿أَبْنَاءَنَا.. وَنِسَاءَنَا.. وَأَنْفُسَنَا﴾ يرجع لخصوص المسلمين، وضمير قوله: ﴿وَأَبْنَاءَكُمْ.. وَنِسَاءَكُمْ.. وَأَنْفُسَكُمْ﴾ يرجع للنجراتين النصارى.. فكأنه قال: ندع أبناءنا، ونساءنا، وأنفسنا، وتدعون أبناءكم ونساءكم وأنفسكم.

بل لقد قال بعض الإخوة الأكارم:

لعله يصح فيه أن يقال: إنه من مقابلة الجمع بالجمع، التي تقتضي التوزيع، فالدعاة جمع، وهم نحن. أي مجموع الفريقين، والمدعوون جمع أيضاً، وهم الأبناء، والنساء، والأنفس لكل من الفريقين، فكل فريق يدعو من يختص به من طوائف المدعوين.

١٨ - واللافت هنا: أن النجرائين لا ينظرون إلى موضوع إشراك أبنائهم، ونسائهم في المباهلة، إلا أنه تعريض منهم لأحب الخلق إليهم، وأعزهم عليهم إلى خطر أكيد وواضح.. ولا يرون مبرراً للإقدام على هذا الأمر، لأن أبناءهم ونساءهم.. إما لا يفقهون شيئاً مما يجري، أو أن ما يجري لا يعني لهم شيئاً.

ولكن الطرف الآخر، وهو النبي وأهل بيته «صلوات الله وسلامه عليهم» لهم نظرة أخرى، إذ إن إحقاق الحق في هذه المسألة، وتشديد عقيدة التوحيد، وإبقاءها على حالة النقاء والصفاء هو من أهم الأمور بالنسبة إليهم.. وهم، بما فيهم الأبناء والنساء الذين أشركهم «صلى الله عليه وآله» في المباهلة يدركون إلى أقصى حد أبعاد، ودقائق، وأهمية هذا الأمر، ويودون لو يضحون في سبيله بكل غال ونفيس، وبالأبناء والأرواح وكل شيء.

فإن كان يعز على النجرائين تعريض أبنائهم ونسائهم، فضلاً عن أنفسهم لأمر لا يعينهم ولا يفقهونه، شفقة منهم عليهم، وحباً لهم، فذلك يشير إلى وجه تقديم الأبناء في الدعوة، لأن محبتهم لأبنائهم أقوى.. ولأنها لا تقبل التغيير، ولا التنازل على مدى الدهور والعصور.. فكيف يمكن لهم، وهم طلاب دنيا: أن يرضوا بالهلاك والبوار لأحب وأعز الخلق عليهم، وهم أبنائهم، ونسائهم، وأنفسهم؟!!

١٩ - إنه تعالى لم يقل: نجعل لعنة الله على من كان كاذباً.. لأن هذا التعبير يحتمل أن يكون الكاذب واحداً، أو أن يكون جماعة.. ولا يدل على شراكة المتباهلين، في الدعوى، وفي إثباتها، والدعوة إلى الإقرار والالتزام بها..

مع أن الحسين والزهراء وعلياً «عليهم السلام» لهم هذه الشراكة، من حيث هم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة.

٢٠- إن إخراج الحسين وفاطمة «عليهم السلام» للمباهلة لم يكن لكونهم أبناءً، أو نساءً، ليكون الأبناء نموذجاً عن أبناء المسلمين، والنساء نموذجاً عن نسائهم، كما توهمه البعض.. بل لأجل شراكة خصوص هؤلاء في الدعوى، وفي الدعوة إليها.

ولو كان إخراجهم على سبيل النموذج لم يصح قوله: ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ لأنه يدل على وجود جماعة كاذبة.. إما في هذا الطرف، أو في ذاك، بل كان يجب أن يقول: لعنة الله على الكاذب، لأن الدعوى تكون في هذه الحال منحصرة برسول الله «صلى الله عليه وآله» دونهم.

٢١- فظهر: أنه لم يكن في المسلمين من يمكن أن يكون شريكاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذا الأمر الدقيق سوى هؤلاء الصفوة، فلا يوجد أبناء ولا نساء سواهم يقدرّون على الاحتجاج، ويدركون دقائق وحقائق هذا الأمر، لكي يندفعوا إلى الاحتجاج عليه، وبذل كل شيء، حتى أرواحهم في سبيله.

تشويحات المنار للحقيقة:

نقل محمد رشيد رضا في تفسيره المسمى بـ «المنار» عن الشيخ محمد عبده، ما ملخصه:

«إن الروايات متفقة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار للمباهلة: علياً، وفاطمة، وولديهما.

ويحملون كلمة ﴿نِسَاءَنَا﴾ على فاطمة، وكلمة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ على علي فقط.
ومصادر هذه الروايات هي الشيعة، ومقصدهم معروف. وقد اجتهدوا
في ترويحها ما استطاعوا، حتى راجت على كثير من أهل السنة.
ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية، فكلمة ﴿نِسَاءَنَا﴾ لا يقوها
العربي ويريد بها بنته، لاسيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم.
وأبعد من ذلك: أن يراد بـ ﴿أَنْفُسَنَا﴾ علي «عليه الرضوان».
ثم إن وفد نجران، الذين قالوا: إن الآية نزلت فيهم، لم يكن معهم نساؤهم
وأولادهم.

وكل ما يفهم من الآية: أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعو المحاجين
والمجادلين في عيسى «عليه السلام» من أهل الكتاب إلى الاجتماع رجالات،
ونساء وأطفالاً، ويجمع هو المؤمنين رجالاتاً ونساءً وأطفالاً، ويبتهلون إلى الله:
بأن يلعن هو الكاذب فيما يقول عن عيسى.

وهذا الطلب يدل على قوة يقين صاحبه، وثقته بما يقول.
كما يدل امتناع من دعوا إلى ذلك من أهل الكتاب، سواء أكانوا نصارى
نجران، أو غيرهم على افتراءهم في حجاجهم، ومماراتهم فيما يقولون، وزلزالهم
فيما يعتقدون، وكونهم على غير بيّنة ويقين.

وأنى لمن يؤمن بالله أن يرضى بأن يجتمع مثل هذا الجمع من الناس المحقين
والمبطلين في صعيد واحد، متوجهين إلى الله تعالى في طلب لعنه، وإبعاده من
رحمته؟!!

وأية جراءة على الله، واستهزاء بقدرته وعظمته أقوى من هذا؟!!

قال: أما كون النبي «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى «عليه السلام»، فحسبنا في بيانه قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، فالعلم في هذه المسائل الاعتقادية لا يراد به إلا اليقين. وفي قوله: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ..﴾^(١) وجهان:

أحدهما: أن كل فريق يدعو الآخر، فأنتم تدعون أبناءنا، ونحن ندعو أبناءكم، وهكذا الباقي.

ثانيهما: أن كل فريق يدعو أهله، فنحن المسلمين ندعو أبناءنا ونساءنا وأنفسنا، وأنتم كذلك.

ولا إشكال في وجه من وجهي التوزيع في دعوة الأنفس، وإنما الإشكال فيه على قول الشيعة ومن شايعهم من القول بالتخصيص^(٢). انتهى بأدنى تصرف.

ونقول:

إن هذا الكلام غير دقيق، بل هو تشويهاً زائلاً، وأوهام باطلة، ونحن نجيب عنها ضمن العناوين التالية:

الروايات شيعية.. راجت على أهل السنة:

بالنسبة لقوله: «إن مصادر هذه الروايات هي الشيعة، وقد روجوها ما استطاعوا، وقد راجت على أهل السنة» نقول:

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) المنار (تفسير) ج ٣ ص ٣٢٢ و ٣٢٣ وعنه الميزان (تفسير) ج ٣ ص ٢٣٦.

أولاً: إن هذه الروايات مروية في مصادر أهل السنة بأسانيد كبار محدثيهم وعلمائهم، ومن هم على مذهبهم، ممن لا يعتقدون بولاية علي «عليه السلام»، وقد تقدم في الفصل السابق: أن هذا الحديث روي عن عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وعبد الرحمان بن عوف، وطلحة، والزبير، وأنس، وابن المكندر، والحسن البصري، وابن عباس، وقتادة، والشعبي، والبيهقي، ومجاهد، وابن مطيع، وأحمد، وابن بطة، والأشعث والخدري، والخركوشي، وابن إسحاق، والقاضي أبي يوسف، وأبي الفرج، ومقاتل، والثعلبي، ومسلم، والترمذي، والحاكم، والذهبي، وعشرات آخرين، لا يحتمل المقام ذكر أسمائهم، وتحديد مؤلفاتهم، وغير ذلك.

وسؤالنا هو: لماذا لم يذكروا الرواية، أو الروايات التي رووها هم لأنفسهم، وكانت بحوزتهم قبل أن تروج عليهم روايات الشيعة، لكي نقارن بينها، وبين هذه الروايات الرائجة؟!!

فإن لم توجد روايات عندهم، فسؤالنا سيكون عن سبب عدم روايتهم حدثاً مهماً كهذا، سجله القرآن في آياته المباركة.. وإن كانت موجودة، وقد أهملوها أو ضيعوها، فلا بد أن نسأل عن سبب هذا الإهمال والتضييع!! على أن إهمالها في الاستدلال لا يعني اختفاءها من الكتب والمجاميع..

ثانياً: إذا كان الشيعة قد تمكنوا من ترويض هذا الكم الهائل من الروايات المروية بأسانيد أهل السنة، حتى أقنعوهم بها، فأوردوها في كتبهم ومصادرهم، ورووها بأسانيدهم، وعن رجالهم وثقاتهم.. فكيف يمكن - بعد هذا - الوثوق بأي حديث من أحاديث أهل السنة؟!!

وكيف نطمئن إلى ما ورد في صحاحهم، ومسانيدهم عن علمائهم ورواتهم، فإن كل حديث فيها يصبح موضع ريب وشبهة، لاحتمال أن يكون مدسوساً، ومما راج عليهم من جهة خصومهم ومخالفهم..

ثالثاً: إن عهدنا بأهل السنة أنهم شديداً الحذر والاحتراس من روايات شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، حتى لقد اعتمدوا معياراً لم نعهد أن أحداً اعتمده، أو اعتمد ما يشبهه في التعامل مع التراث، حيث إنهم صاروا يعتبرون كل من روى رواية في حق علي وأهل البيت الطاهرين «عليهم السلام»: أنه شيعي، أو أنه يتشيع.. يرمونه بذلك.

بل لقد بلغ الأمر حداً: أننا أصبحنا نسمع، ونقرأ: أن فلاناً مثلاً فيه تشيع يسير، لأنه روى رواية في حق علي «عليه السلام»، أو بحق أحد من أهل البيت «عليهم السلام» مع أنه من كبار علمائهم، ومن أئمتهم - بزعمهم - في العلم والحديث.

فراجع على سبيل المثال: ترجمة عبد الرازق الصنعاني، ومحمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ والتفسير، و ترجمة وكيع، وإسحاق بن منصور، وزيد بن الحارث بن عبد الرحمان وغيرهم^(١).

ولكنهم يروون عن الخوارج والمبتدعة، مثل عمران بن حطان، وهو من أكبر الدعاة إلى البدعة^(٢).. وهو مادح ابن ملجم لقتله علياً أمير المؤمنين

(١) راجع: كتب الجرح والتعديل، وكتب التراجم، مثل: ميزان الاعتدال، ولسان الميزان، وسير أعلام النبلاء.

(٢) الباعث الحثيث ص ١٠٠.

«عليه السلام»..

بالإضافة إلى روايتهم عن كثير من مبغضي علي «عليه السلام»^(١).

مع أنهم يروون عن ابن لهيعة: أنه سمع شيخاً من الخوارج يقول:
«إن هذه الأحاديث دين؛ فانظروا عمّن تأخذون دينكم؛ فإننا كنا إذا
هوينا أمراً صيرناه حديثاً»^(٢).

أو قال: «كنا إذا رأينا رأياً جعلناه حديثاً»^(٣).

واللافت: أن نفس هذا المعنى نسبوه إلى حماد بن سلمة، عن شيخ من
الرافضة^(٤).

وقال الأعمش لأياس بن معاوية، حين حدثه بحديث عن بعض الحرورية
- أي الخوارج -: «أتريد أن أكنس الطريق بثوبي، فلا أدع بعرة، ولا خنفساء
إلا حملتها»؟!^(٥).

وقال الجوزجاني، عن الخوارج في الصدر الأول بعد الرسول «صلى الله

(١) راجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ١ ص ٢٥٩ و ٢٦٠.

(٢) لسان الميزان ج ١ ص ١٠ و ١١ والكفاية للخطيب ص ١٢٣ و ١٢٨ وآفة أصحاب
الحديث ص ٧١ و ٧٢ واللائي المصنوعة ج ٢ ص ٤٦٨ وراجع: العتب الجميل
ص ١٢٢ وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٩ عن الأولين، وعن الموضوعات
لابن الجوزي ص ٣٨ وعن السنة ومكانتها في التشريع للسباعي ص ٩٧.

(٣) الكامل لابن عدي ج ١ ص ١٥٢ والكفاية للخطيب البغدادي ص ١٥١.

(٤) راجع: لسان الميزان ج ١ ص ١١.

(٥) الكفاية في علم الرواية ص ٤٠٣ وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٩ عن المحدث
الفاضل للرامهرمزي ج ١ ص ١٢.

عليه وآله: «نبد الناس حديثهم اتهاماً لهم»^(١).

هذا بالإضافة إلى الروايات الناهية عن الرواية عن أهل البدع^(٢).

إعادة الاعتبار للخوارج:

ولكن مع ذلك، عادت القشرة لتحن على عودها، فقد عادوا للعمل على استرضاء الخوارج، والأخذ بيدهم، ومنحهم الأوسمة، فقد قال التهانوي: «الخوارج أعلم بكثير من الرافضة، والخوارج أصدق من الرافضة، بل الخوارج لا نعلم عنهم أنهم يتعمدون الكذب، بل هم من أصدق الناس»^(٣).

وقال التهانوي أيضاً: «الخوارج لا يكادون يكذبون، بل هم من أصدق الناس مع بدعتهم وضلالهم»^(٤).

وقال ابن تيمية: «الخوارج مع مروقهم من الدين، فهم أصدق الناس، حتى قيل: إن حديثهم أصح الحديث»^(٥).

وقال أبو داود: «ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج»^(٦).

والحاصل: أن من يراجع كتب التراجم، وكتب الجرح والتعديل يجد:

(١) أحوال الرجال ص ٣٤.

(٢) راجع: لسان الميزان ج ١ ص ١٠ و ١٢ و ٧ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٣.

(٣) قواعد في علوم الحديث للتهانوي ص ٤٤٣.

(٤) قواعد في علوم الحديث ص ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٥) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٩.

(٦) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٣٦ والعتب الجميل ص ١٢١ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٣٢.

وج ٢ ص ١٥٤.

أن معظم ما أوردوه فيها: هو طعون تدور مدار الاتهام بالتشيع، وأكثرها لا مبرر له.. إلا أنهم وجدوا للراوي رواية تتضمن فضيلة لعلي، أو لأحد من أهل البيت، فإن كثرت رواياته في هذا المجال، فإن منسوب الاتهامات والشتائم يرتفع ويتعاضم، حتى يتهم بالكفر والزندقة، ويحكم عليه بالخلود في النار، ويستحل دمه وعرضه، وماله، والافتراء عليه.

وتزداد قيمته، وعظمته، ويصل إلى درجة العصمة، ويجعل في مصاف الأنبياء والمرسلين، ويصير أفضل من الملائكة المقربين، والأوحدين، والصديقين، بمقدار ما يظهره من مراتب 'الإعراض عن كل ما له ارتباط بعلي، وأهل البيت، ثم ما يظهره من بغضٍ وعدواة لهم، ومن مودة وتфан في حب أعدائهم، ونصرتهم على الذين أمر الله بمودتهم، بل إن قاتل الحسين «عليه السلام» كعمر بن سعد، ويزيد، ومن أعان على قتله، يحكم بوثاقته، وتبذل الجهود الجبارة لتبرئة ساحته، وإيجاد الأعذار الواهية له.

وبعد كل ما تقدم، فإن البلاء قد تفاقم وتعاضم، بصدور المرسوم المنسوب زوراً إلى النبي «صلى الله عليه وآله»: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»^(١).

(١) راجع: صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩هـ) ج ٢ ص ١٦٥ والمصنف للصنعاني ج ٦ ص ١٠٩ و ١١٠ وج ١٠ ص ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ هوامشه، والجامع الصحيح ج ٥ ص ٤٠ وسنن أبي داود ج ٣ ص ٣٢٢ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٣٦ ومسند أحمد ج ٣ ص ٤٦ و ١٣ و ٥٦ وج ٢ ص ٢١٤ و ١٥٩ و ٢٠٢ و ٤٧٤ و ٥٠٢ ومشكل الآثار ج ١ ص ٤٠ و ٤١ وذكر أخبار أصبهان ج ١ ص ١٤٩ وكشف الأستار عن مسند البزار ج ١ ص ١٠٩ والأسرار المرفوعة ص ٩ والمجروحون ج ١ ص ٦ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٥١ والمعجم الصغير ج ١ ص ١٦٦ وكنز العمال ج ١٠

مع أنه «صلى الله عليه وآله» إنما قال: «حدّثوا عني ولا حرج»^(١).
ولا يساوي النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه بيني إسرائيل الذين فضحهم
الله في كتابه، وعلى السنة رسله وأنبيائه..

فكانت هذه هي إحدى الوسائل التي سهّلت على الخلفاء بعد الرسول
(باستثناء علي وولده وشيعته) إعطاء الفرصة لمسلمة أهل الكتاب لاحتلال
مساجد المسلمين، لينشروا من على منابرها ترهاتهم، وأباطيلهم طيلة عشرات
السنين. وجرى العبث من خلالها بعقائد المسلمين، والتلاعب بفقههم،
وأحكامهم، ولوثت أخلاقهم، وتبدلت ومسخت قيمهم، وحقائق دينهم.

خامساً: إذا كان الشيعة قد تمكنوا من الدس في روايات أهل السنة، ما
فاضت به كتب أهل السنة ومجاميعهم، بالرغم من شدة حذرهم منهم، فكم
سيكون حجم ما دسّه الخوارج والمرجئة، وغيرهم ممن لا يحذرهم أهل
السنة، فضلاً عما يمكن أن يكون القصاصون وعلماء أهل الكتاب قد دسوه
في حديثهم ومجاميعهم، بعد أن سمح لهم الخلفاء برواية ترهات بني إسرائيل،
وجعلوهم في مساجد المسلمين، ليثقفوا المسلمين بها، وكانوا قد مهدوا

ص ١٢٩ و ١٣٥ والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ والإسرائيليات
وأثرها في كتب التفسير ص ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ١٠٠ و ١٠٣ و ١٠٥ وتفسير
القرآن العظيم ج ١ ص ٤ و ٢٢١ والبداية والنهاية ج ١ ص ٦ و ج ٢ ص ١٣٢ و
١٣٣ وتقييد العلم ص ٣٠ و ٣١ و ٣٤ وشرف أصحاب الحديث ص ١٥ و ١٤.
(١) كنز العمال ج ١٠ ص ١٢٨ و ١٣٥ و ١٣٦ عن أحمد ومسلم، وأبي داود، وابن
عساكر، وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٢٩ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٢٦٠ وتقييد
العلم ص ٣١ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٧٨.

لذلك باتخاذهم موقفاً سلبياً جداً من رواية أحاديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن كتابته، وتداوله.. ومن السؤال عن معاني القرآن..

ثم حصروا الفتوى بخصوص الأمراء الذين كان الكثيرون منهم أميين، وجهلة، ومنحرفين، ومرتكبين للجرائم والمآثم، والعظائم؟!..

النساء والأنفس وعلي وفاطمة:

وقول صاحب المنار: إن العربي لا يقول: نساءنا، ويقصد بنته الواحدة، لاسيما إذا كان له أزواج، ولا يقول: أنفسنا، ويقصد شخصاً واحداً، وهو علي «عليه السلام».. كما أنه لا يقول: أبناءنا ويريد منه ولديه..

بل يقول: بنتي فلانة، ومن هو نفسي، وهو علي «عليه السلام»، وولداي، وهما: الحسن والحسين «عليهما السلام»، فالآية لا تنطبق على المذكورين، لأنها لا توافق الكلام العربي!!

ونجيب:

أولاً: بأن الكلام تارة يكون تعبيراً عن واقع قائم، يراد تقريره بكل خصوصياته.. فالقضية تكون خارجية.

وأخرى يكون إيراد الكلام على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، أي أنه يصدر الحكم على الطبيعة، وهي الموضوع الذي يمكن وجوده، ولا ينجر عن موضوع موجود فعلاً..

والكلام في الآية وارد على نحو القضية الحقيقية، وليس إخباراً عن أمر قد حصل، بل هو إنشاء لحكم يراد له أن يحصل وفق مواصفات، وخصوصيات محددة، وشرائط معينة، كالعلم والإدراك، والعصمة، والاستعداد للتضحية،

ونحو ذلك.

وفي المورد الذي نحن بصددده، إذا وجدت الشرائط والمواصفات المطلوبة في بنت واحدة، وإذا كان رجل واحد فقط يوازي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو علي «عليه السلام»، ووجد من الأبناء اثنان فقط يجمعان الأوصاف المتوخاة، وهما: الحسن والحسين «عليهما السلام»، لاسيما مع توقع ظهور مصاديق أخرى في بقية الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام»، فإن الحكم المنشأ بالآية على طبيعة المرأة، وطبيعة الأبناء، وطبيعة الأنفس (وهو الأمر بدعوة هؤلاء) يصبح ناجزاً، وقابلاً للامتثال والتطبيق..

لأن الحكم قد رُتب على الطبيعة والحقيقة ذات الأوصاف المعينة. ولم يُرتب على أي ابن كان، وأي امرأة كانت.. فلا يشمل قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ زوجات النبي «صلى الله عليه وآله»، لعدم توفر الشرائط فيهن.. بل المقصود: المباهلة بالأنفس والأبناء، والنساء، بحسب ما وجد، وما يمكن أن يوجد جامعاً للشرائط.

ويشهد لذلك: قول صاحب المنار: إنه لم يكن مع النصارى نساء، ولا أطفال، ولم يعترض النجرانيون على هذا الطلب: بأنه لا نساء ولا أطفال لدينا..

وهذا يدل على أنهم فهموا من آية المباهلة: لزوم دعوة خاصة أهلکم، وأعلم، وأفضل الناس فيکم..

وهذا النوع من البيان لا ينحصر بآية المباهلة، فمن ذلك:

ألف: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ

يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَائِبِهِنَّ»^(١).

فالمقصود بالآية: ليس خصوص من وجد من الزوجات والبنات، والنساء، بل المقصود البنات، والزوجات، ونساء المؤمنين الموجودات، واللواتي يمكن أن يوجدن بعد نزول الآية، فإن على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقول لهن ذلك..

على أننا قد ذكرنا في كتبنا: أن لدينا الكثير من الأدلة والشواهد التي تفيد: أنه لم يكن للنبي «صلى الله عليه وآله» بنت غير الزهراء «عليها السلام»، وأن زوجات عثمان لم يكنّ بنات النبي «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة، بل كنّ ربائب له، ويطلق على الربيبة أنها بنت، فراجع الكتب التالية:

١ - بنات النبي أم ربائبه.

٢ - القول الصائب في إثبات الربائب.

٣ - ربائب النبي شبهات وردود.

٤ - البنات ربائب..

بالإضافة إلى عدة موارد أخرى تدل على ذلك، ذكرناها - بصورة متفرقة - في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»..

وقد قال بعضهم:

لم يخلف غيرها بتاً، ومن يجد الزهراء يزهد في سواها

(١) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

ب: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

فإن المقصود بهذه الآية: إثبات الولاية العظمى لعلّي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولكنه أورد الكلام على سبيل ضرب القاعدة، وإعطاء الضابطة الصالحة للانطباق عليه، وعلى كل من له الخصوصية المذكورة.. ليشمل ولديه، وسائر الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام» من بعده.

ج: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).
إذ لا يقصد به حكام الجور، بل المقصود به: خصوص الأئمة الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، لأن الله لا يأمر بإطاعة من يعصيه.
د: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣). إذ لا يقصد بها، إلا أصحاب الكساء، ثم سائر الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام» أيضاً، ولا يقصد بها الزوجات، ولا عم الرسول، ولا أبناء عمه العباس.

هـ: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٤). والمقصود به: خصوص أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي واردة على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، كما هو الظاهر.

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٣) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٤) الآية ٤٣ من سورة الرعد.

و: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١).
 فإن المقصود بالقربى: خصوص أصحاب الكساء، ويلحق بهم سائر الأئمة
 الاثني عشر «عليهم السلام»، إذ لا يأمر بمودته «صلى الله عليه وآله» بالكافرين
 والمنحرفين من ذوي القربى، ولا بمن يدعي الإمامة زوراً، أو من يشي
 بالإمام إلى أعدائه، أو من قتل زوار قبر الحسين «عليه السلام»، أو من أمر
 بحرث قبره الشريف.

ثانياً: قول صاحب المنار: «إن كلمة «نساءنا» لا يقوها العربي ويريد بها
 بنته، لاسيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم» لا يمكن قبوله.

لأن هذه الروايات التي صرحت بإرادة السيدة الزهراء «عليها السلام»
 من كلمة «نساءنا» في الآية قد رواها عرب أقحاح، وتلقاها العلماء، والفقهاء،
 والأدباء المشهود لهم بالرضا والقبول، وكثير منهم من المعروفين في الصحابة..
 فضلاً عما من رواها من التابعين وغيرهم.

وبعضهم يعدُّ من أئمة الدين عند المسلمين، أو عند شطر من هذه الأمة..
 وقسم كبير منهم عاشوا في الصدر الأول.. ولم نجد أحداً اعترض أو تساءل،
 أو سجل تحفظاً على هذا المورد.

ولا شك في أنهم أعرف باللغة العربية، وبالصحيح والفاقد من استعمالاتها
 من أمثال رشيد رضا، ممن ولد بعدهم بألف وبضع مئات من السنين..
 خصوصاً وأنه ولد عاش في بيئة فسدت فيها اللغة، واختلط الحابل بالنابل.

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

لا نساء ولا أبناء مع النجرانيين:

ويقول صاحب المنار أيضاً: إن وفد النجرانيين، «لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم».

ونقول:

أولاً: أنه لم يقدم دليلاً على هذا النفي القاطع.. مع أن كلامه يخالف ما جرى عليه الناس آنئذٍ، فقد كانوا يصطحبون في أسفارهم - حتى للحرب - نساءهم وأطفالهم.. وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يصطحب بعض نسائه في حروبه، كأم سلمة، وعائشة.. وكانت معه نساء أخريات يداوين الجرحى، ويسقين المرضى، وقد شارك بعضهن في الذب عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم أحد، وهي أم عمارة، نسيبة بنت كعب الأنصارية.

وكانت معه ابنته فاطمة «عليها السلام» في غزوة أحد، وهي التي ضمدت جراحه «صلى الله عليه وآله»، وكان علي «عليه السلام» هو الذي جاء بالماء من المهراس^(١).

ثانياً: إن كلام رشيد رضا يخالف قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤١ و ٤٣٧ عن المواهب اللدنية، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٣٦ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٧ و ١٥٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٠٠ و ٢٠١ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٢٩٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٥ ص ١٧ وفي السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧: أن سعداً هو الذي أتاه بالماء، فشرب منه ودعا له. ولكن الصحيح: هو أنه علي «عليه السلام» لتضافر الروايات عليه.

وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ^(١).. فإنها تدل على وجود أبناء ونساء مع وفد النجرانيين..

ثالثاً: وقد قدمنا: أن المقصود هو المباهلة بصنف خاص من الناس. يكون هو المسؤول عن حفظ الحق، والنموذج الأكمل والأفضل، والأمثل، وهو الأعلم بالشرع والدين، وكل شيء، والأكثر حكمة، ودراية، والمستعد للتضحية بكل شيء في سبيل الحق الذي يؤمن به. والملتزم بكل التعاليم والأحكام، والمعصوم عن أي خطأ أو زلل.

ولم يكن في المسلمين من هو بهذه المثابة سوى هؤلاء الخمسة.. وأما النجرانيون فعليهم أن يختاروا أيضاً أفضل من يحقق لهم غرضهم.. ممن يجدون فيه الأهلية والقدرة على المواجهة.

رابعاً: إن رشيد رضا نفسه يقول: «وكل ما يفهم من الآية: أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعو المحاجين والمجادلين في عيسى «عليه السلام» من أهل الكتاب إلى الاجتماع رجالاً ونساءً وأطفالاً، ويجمع هو المؤمنون رجالاً ونساءً وأطفالاً الخ..». وقد أشار إلى هذا بعض الإخوة الأكارم.

المطلوب في المباهلة:

زعم صاحب المنار: أن كل ما يفهم من آية المباهلة: هو أن يدعو المحاجين، والمجادلين في عيسى من أهل الكتاب إلى جمع من لديهم، رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، ويجمع هو المؤمنون رجالاً، ونساءً، وأطفالاً في صعيد واحد، ثم

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

يتهلون إلى الله بأن يلعن الكاذب فيما يقول عن عيسى..

وهذا الطلب يدل على يقين صاحبه، وثقته بما يقول.. كما يدل امتناع النصارى عن ذلك: أنهم كاذبون، وأنهم لا يقين لهم بما يدعون..

ونجيب:

أولاً: ذكرنا آنفاً: أن هذا ليس هو المقصود بالمباهلة، لأن صاحب المنار نفسه قد أقر: بأن وفد نجران ليس فيه نساء، ولا أبناء صغار.

ثانياً: قلنا: إن المقصود: هو أن يأتي كل فريق بالصفوة الذين يقولون بمقالته، ويقوم مقامه، سواء أكانوا أطفالاً، أو كباراً، ورجالاً، أو نساءً.. ممن لهم مواصفات وشرائط خاصة، وهي العلم والدراية، والحكمة، والعصمة، والطهارة، والالتزام، واليقين، وتحمل المسؤولية، بالإضافة إلى سائر الصفات الحميدة، والمزايا الفريدة.

ولم يكن في طرف المؤمنين والمسلمين من هو بهذه الصفة سوى هؤلاء الخمسة، وعلى النجرانيين أن يختاروا هم من يفي بغرضهم، من حيث جامعيته للمواصفات التي يرون أنها ضرورية.

ثالثاً: ظاهر كلام صاحب المنار: أن الآية يمكن أن يراد بها: أن يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» من المتجادلين أن يرضوا بأن يدعو هو جميع المؤمنين رجالاً ونساءً، وأطفالاً.. وأن يدعو النصارى جميع من هم على مثل رأيهم، رجالاً، ونساءً، وأطفالاً لأجل المباهلة.

وهذا لا يصح، لأنه غير ممكن التحقق، فإن جمع هؤلاء وأولئك من مختلف الأقطار والأمصار متعذر.. ويكون طلباً تعجيزياً، غير عقلائي، يهدف

إلى التهرب من الموضوع، مع أنه طلب يهدف إلى إحقاق الحق، وإبطال الباطل.
 رابعاً: إن ما ذكره، من أن الآية تأمر بجمع المؤمنين للمباهلة، فيه نوع
 من التجني على المؤمنين، لأن شرط المباهلة: أن يكون المباهل على يقين من
 الموضوع الذي يراد إثباته بالمباهلة.

ولا يستطيع رشيد رضا ولا غيره أن يثبت وجود هذا اليقين لدى كل
 فرد من المسلمين.. بل لعل بعضهم لا يفقه كثيراً مما يقال حول هذه المسألة
 نقضاً وإبراماً، وربما لو عرضت عليه تحير فيها.. فلماذا يزج به في أمر لا يملك
 المؤهلات للدخول فيه؟!

المراد بالعلم:

وأما قول صاحب المنار: «أما كون النبي «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين
 كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى «عليه السلام»، فحسبنا في بيانه قوله
 تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، فالعلم في هذه المسائل الاعتقادية لا
 يراد به إلا اليقين»..

فهو مردود عليه بما يلي:

أولاً: لأن هذا العلم إنما جاء لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا
 دليل يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد أطلع عليه جميع المسلمين..

ثانياً: لنفترض: أنه «صلى الله عليه وآله» أطلع المسلمين كلهم، على ما
 جاءه من العلم، فمن الذي قال: إنه أطلع عليه بدقائقه وتفصيله أطفالهم
 ذكوراً وأنثاء؟! بل لعل شطراً كبيراً من النساء أيضاً لم يطلعن على ما
 يدركوا دقائقه وتفصيله.

ثالثاً: على أن المراد بالعلم في الآية هو عناصر الاحتجاج على النصارى.. وليس المراد به اليقين القلبي، وهذه العناصر إنما توجب اليقين لخصوص من اطلع عليها، وأدرك دلالاتها.. فهل يمكن الجزم بأن كل فرد مسلم قد حصل عليها، وأدرك دلالاتها؟!!

والدليل على أن المراد بالعلم هنا هو طريقة الاحتجاج: أن العناصر التي يحتاج بها، تحتاج إلى تعليم من قبل الله تعالى، كما دلت عليه الآية..

تدعون أبناءنا، وتدعو أبناءكم:

وقد ذكر هذا الرجل: أن المراد بقوله تعالى: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ أحد وجهين:

أحدهما: أن يدعو كل فريق أبناء الفريق الآخر.

الثاني: أن يدعو كل فريق الأبناء من أهله.

. ونقول:

ولازم ذلك: أن ينسحب هذان الاحتمالان على دعوة النساء والأنفس أيضاً..

وعلى هذا فإننا نجيب بما يلي:

أولاً: إذا كانت الآية تعطي النجرانيين الحق في اختيار الأبناء والنساء والأنفس من المسلمين.. فلماذا بادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى اختيار علي وزوجته وولديه «عليهم السلام» ليباهل بهم، ولم يترك للنجرانيين حرية الاختيار؟!!

ولماذا لم يبادر هو «صلى الله عليه وآله» إلى اختيار عناصر المباهلة من بين نصارى نجران؟!

ثانياً: لو أن الاختيار كان للنصارى، فمن قال: إن النصارى سوف يختارون أياً من هؤلاء الخمسة الذين هم: النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي، وفاطمة، والحسان «عليهم السلام»، فلعلهم يختارون: الوليد بن عقبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية، أو أي شخص آخر..

ومما يدل على أن رغبة النجرانيين كانت في استبعاد أشخاص بأعيانهم: ما تقدم، من أنهم قد تواصلوا فيما بينهم: بأنه «صلى الله عليه وآله» إذا باهلهم بأهل بيته، أن لا يباهلوه، لأنه يكون صادقاً بلا ريب، وسينتهي الأمر بهلاكهم^(١).

ثالثاً: إن النصارى قد لا يرضون بأن يختار المسلمون من يباهلونهم من النصارى.. لأنهم يعرفون أن بعض النصارى أكفأ من بعض في هذا المجال.. وهم يجدون أنفسهم أمام مواجهة مصيرية، ويخشون من أن يختار المسلمون الأضعف من بين النصارى.

وربما كانوا يريدون أن يباهلوا بمن يرون له مقاماً عند الله. أو يريدون اختيار البصير منهم بالمهارب والمسابر، التي تخرجهم من

(١) تفسير القمي ج ١ ص ١٠٤ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٤٠ و ٣٤١ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ٦٢٩ ونور الثقلين (تفسير) ج ١ ص ٣٤٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٣ ص ١١٦ و ١١٧ والتفسير الأصفي ج ١ ص ١٥٣ والتفسير الصافي ج ١ ص ٣٤٤ والميزان (تفسير) ج ٣ ص ٢٢٨ و ٢٢٩.

مأزقهم هذا، أو بمن يرون أنه الأعلم فيهم، أو الأكثر تشدداً في دينهم.
 رابعاً: إذا كان الأمر على هذه الصورة، فإنه قد يعطي النجرانيين الذريعة
 لرفض المباهلة، بحجة أن هذا يتضمن تحكماً بهم، وإذلالاً لهم، وفرض
 شروط عليهم، وإكراههم على أمر لا يرضون بأن يكرههم أحد عليه.. فإن
 الرجل لا يدعو نفسه.

كيف يدعو النبي ﷺ نفسه؟!

بقي أن نشير إلى أن الآية لا تعني أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله»: يا محمد، أخرج للمباهلة، لكي تتحقق الدعوة للأنفس، فإن الرجل لا يدعو لنفسه، بل المراد بكلمة: «أنفسنا وأنفسكم»: هو أن ينتدب صاحب الدعوة من بين المسلمين من يكون كالنبي، ويقوم مقامه، ويكون حضوره، وقوله، وتصرفه بمثابة حضور صاحب الدعوة، وهو النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه.
 وأن ينتدب رئيس النصارى، وصاحب القول النافذ، والعظيم المطاع فيهم من يقوم مقامه، ويكون فعله وتصرفه، وموقفه بمثابة موقف، وفعل، وتصرف صاحب الدعوة.

الفصل الرابع:

ترهات وشبهات حول الأبناء..

أبناء المسلمين، أم أبناء الرسول؟!

وقد يدور بخلد البعض: أن المراد بالأبناء في الآية: أبناء الدعوة، لا أبناء الرسول «صلى الله عليه وآله»..

ويؤيد هذا المعنى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخرج ابني بنته، لا ابنه بالمباشرة.

ويؤيد ذلك أيضاً: أن الآية قالت: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾، ولم يقل: ندع أبنائي.. فلو أتى بأي ابنين آخرين لبعض المسلمين الذين هم أصحاب الدعوة لكفى ذلك.

كما أن كلمة ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ يراد بها أي رجل كان من المسلمين، الذين هم أصحاب الدعوة، وليس المراد بها خصوص علي «عليه السلام». وخروج علي «عليه السلام» لا لأجل أنه أريد بشخصه، بل لأنه رجل من المسلمين.

وهكذا يقال بالنسبة لكلمة ﴿وَنِسَاءَنَا﴾، فإنه لا يقصد بها خصوص فاطمة «عليها السلام».. وإنما أخرج «صلى الله عليه وآله» فاطمة، لأنها واحدة من نساء المسلمين.

ونجيب:

أولاً: قالوا: إن علياً «عليه السلام» قال يوم الشورى: «أنشدكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في الرحم مني، ومن جعله نفسه، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه، غيري؟! قالوا: اللهم لا» (١) ..

فإن هذا يدل على أن اختيار النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» .. كان وساماً لعلي بنظر علي «عليه السلام»، وكذلك بنظر من ناشدهم .. ولذلك اعترفوا له بهذه الفضيلة، وأنها من خصائصه .. وهو دليل فضله على غيره.

ومعنى هذا: أنه لم يختره لمجرد أنه رجل من المسلمين .. بل هو باختياره له قد جعله نفسه، وباختياره لأبنائه «عليهما السلام» جعلهما أبناء لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وباختياره لفاطمة «عليها السلام» جعل نساء علي «عليه السلام» نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله» ..

فادّعاء أنه «صلى الله عليه وآله» اختار الحسين، لأنها ابنا لأحد المسلمين، واختار فاطمة لأنها من نساء المسلمين لا يصح ..

ثانياً: قال الشعبي: «أبناءؤنا: الحسن والحسين، ونساءؤنا: فاطمة، وأنفسنا: علي بن أبي طالب» (٢) ..

(١) بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٣٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ١١٦١ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٧٧ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٨٥ والغدير ج ١ ص ١٦١ .

(٢) دلائل الصدق ج ٢ ص ٨٥ والطرائف لابن طاووس ص ٤٧ وبحار الأنوار ج ٣٥

حيث حصر الأبناء بالحسين «عليهما السلام»، والنساء بفاطمة «عليها السلام»، والأنفس بعلي «عليه السلام»، فلو كان الحسنان قد خرجا للمباهلة بعنوان أنهما من جملة أبناء المسلمين.. لما صح أن يحصر الشعبي الأبناء بالحسين «عليهما السلام»، بل كان عليه أن يقول: الأبناء هم جميع أبناء المسلمين، والنساء جميع نساء المسلمين، والأنفس هم جميع رجال المسلمين.. ولكنه لم يقل ذلك كما رأينا.

ثالثاً: سيأتي في هذا الفصل ما يلي:

ألف: إن الإمام الكاظم «عليه السلام» احتج بآية المباهلة على أن الحسين «عليهما السلام» أبناء رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ب: إن سعيد بن جبير احتج على الحجاج بهذه الآية على أن الحسن والحسين «عليهما السلام» ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ج: احتج يحيى بن يعمر بهذه الآية على الحجاج أيضاً لإثبات بنوتهما للرسول «صلى الله عليه وآله»..

فلو كان المراد بالأبناء: أبناء المسلمين، لما صح هذا الاستدلال في هذه الموارد..

ومن الواضح: أن هذا الاستدلال ليس استدلالاً بأمر تعبدى ثبت لهم بالنص.. فإن الأمر لو كان كذلك، لأفصحوا عنه، وذكروا لنا ذلك النص.. ولم يقبل منهم السكوت عنه.. بل هو استدلال بظهور الآية، من خلال دلالات

ألفاظها.

رابعاً: لو صح القول: بأن المقصود هو أبناء المسلمين، لا ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكان المقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ جميع رجال المسلمين، لا خصوص النبي «صلى الله عليه وآله»، ومن يقوم مقامه. خامساً: لو كان المقصود رجال المسلمين لكان ينبغي أن لا يقول: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، بل كان عليه أن يقول: «رجالنا ورجالكم».

سادساً: إذا كان المقصود بالأبناء أبناء المسلمين، لا خصوص الحسين «عليهما السلام»، فلا يصح أن يكون المقصود بالأنفس النبي «صلى الله عليه وآله».. لأن مرجع الضمير في قوله: «أنفسنا، وأبناءنا، ونساءنا» واحد.. وفي غير هذه الصورة يكون الكلام ركيكاً، لأنه يصير كقول القائل: إن لم يأت فلان مثلاً، فليمتني الله، وليمت معي أبناء الجيران، ونساء البلد الفلاني.

سابعاً: إن صيغ الكلمات الثلاث: «أبناءنا، ونساءنا، وأنفسنا» قد جاءت على نسق واحد، فهي جمع مضاف إلى ضمير المتكلمين.. فلماذا أخرج اثنين من الأبناء، وامرأة واحدة من النساء، ورجلاً من الأنفس؟!!

ألا يدل هذا على أن هؤلاء خصوصية اقتضت إخراجهم، وهي مفقودة في غيرهم، فلم يخرج من ذلك الغير أحداً لأجل ذلك؟!!

وهذه الخصوصية هي التي دعت الزمخشري إلى القول: بأن في آية المباهلة دليلاً، لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء^(١).

(١) راجع: الميزان (تفسير) ج ٣ ص ٢٧٤ و ٢٧٥.

الحسنان عليهما السلام أبناء الرسول صلى الله عليه وآله:

ظهر مما تقدم: أن آية المباهلة قد دلت على أن الحسن والحسين «عليهما السلام» هما ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة، لأن الله تعالى أمره «صلى الله عليه وآله» بدعوة أبنائه، فدعاهما «عليهما السلام»، مع أنهما سبطاه، وابنا ابنته.

وبذلك يسقط المفهوم الذي كان معتمداً في الجاهلية، وهو أن الابن الحقيقي هو الحفيد، وهو ابن الابن، وليس ابن البنت.

وهو مفهوم مقيت وبغيض، وهو المنطلق للذين زعموا: أن قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾^(١) مختص بأبناء الأولاد الذكور، ولا يشمل أبناء البنات، فإذا أوقف الرجل داراً، أو أعطى، أو وهب لبنيه شيئاً، اختص ذلك ببنيه لصلبه، وأبنائهم حسب زعمهم.. واحتجوا بقول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد^(٢)

ونقل القرطبي: أن مالك بن أنس - إمام المذهب المالكي - لا يدخل

(١) الآية ١١ من سورة النساء.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ١٥٥ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٦٠ والغدير ج ٧ ص ١٢١ عنه، والكافي لابن عبد البر ص ٥٤٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١١ ص ٢٨ وفيض القدير ج ١ ص ١١٦ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٧٩ وإمتاع الأسماع ج ٣ ص ٢٤٣.

أولاد البنات في الوقف الذي يكون على الولد، وولد الولد^(١).

وقد اعتمد بنو أمية هذه السياسة، وأصروا على إنكار بنو الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، انسجاماً منهم مع أهوائهم ومسايعيهم لإثارة الشكوك، وإنكار إمامة أئمة أهل البيت «عليهم السلام».. بالإضافة إلى زعم بني أمية أيضاً أنهم أمس برسول الله «صلى الله عليه وآله» رحماً..

وقد تبعهم العباسيون على هذا الإنكار.. واعتبار أنفسهم الأحق بالخلافة، استناداً إلى القرابة..

ولم يكن هذا الأمر من اختراعات الأمويين والعباسيين، بل سبقهم إليه الذين اغتصبوا الخلافة من علي «عليه السلام» فور وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونكثوا البيعة التي أعطوه إياها يوم غدير خم، وكان منطلقهم في ذلك القول الذي أطلقه بعضهم، حيث قال: «وسعوها في قريش تسع»^(٢).

وقد احتجوا يوم السقيفة على أنهم أحق من الأنصار بالخلافة: بأنهم أولياء النبي «صلى الله عليه وآله» وعشيرته، وبأنهم أمس برسول الله «صلى

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٢ والغدير ج ٧ ص ١٢٣ عنه، وعمدة القاري ج ١٤ ص ٤٨.

(٢) السقيفة وفدك للجوهري ص ٧٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٤٣ وقاموس الرجال للتستري ج ١٠ ص ١٩٥ - ١٩٦ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٠٧ وج ٦ ص ١٢٢ ودلائل الصدق ج ٤ ص ٢٨٢.

الله عليه وآله» رحماً، وهم عترة الرسول!!^(١).

وسار الأمويون على نفس هذا النهج، حتى لقد ذكروا أنه بعد سقوط حكم بني أمية، وتولي السفاح العباسي جاء عشرة من قواد أهل الشام، وأصحاب الرياسة فيها، وحلفوا له بالطلاق والعقاق، وصدقة ما يملكون: أنهم ما كانوا يعرفون إلى أن قتل مروان أقرباء للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية^(٢).

وقالت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب لمعاوية في جملة كلام لها معه: «ونبينا «صلى الله عليه وآله» هو المنصور، فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله الخ..»^(٣).

(١) راجع: نهاية الأرب ج ٨ ص ١٦٨ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٣ والعقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٨ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ٣ ص ٢٢٠ و (ط الأعلمي) ج ٢ ص ٤٥٧ والإمامة والسياسة (ط الحلبي بمصر) ج ١ ص ١٤ و ١٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٧ و ٨ و ٩ و ١١ والأدب في ظل التشيع ص ٢٤ نقلاً عن البيان والتبيين للجاحظ، والإمام الحسين للعلالي ص ١٨٦ و ١٩٠ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٣٥ والإمامة والسياسة لابن قتيبة (تحقيق الشيري) ج ١ ص ٢٤ والشافي للشريف المرتضى ج ٣ ص ١٨٧ وغيرهم.

(٢) النزاع والتخاصم ص ٢٨ ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٣ والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج ٨ ص ١٩٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٧ ص ١٥٩ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ١٥٩.

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ١٢٠ والغدير ج ١٠ ص ١٦٧ عنه، والطرائف لابن طاووس ص ٢٨ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ١٨٣ وجواهر المطالب لابن الدمشقي

ثم جاء بنو العباس، فساروا على نفس هذا النهج، وأنكروا حق ذرية علي وفاطمة عليهم بالخلافة، حتى قال قائلهم:

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثته الأعمام
وقال السيد الحميري مخاطباً بني العباس:

وورثتموه وكنتم أولى به إن الولاء تحوزه الأرحام
وقال ابن المهاجر البجلي، الموالي للعباسيين:

أيها الناس اسمعوا أخبركم عجباً زاد على كل عجب
عجباً من عبد شمس إنهم فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه يحرز الميراث إلا من قرب^(١)
وقال الكمي عن الأمويين:

وقالوا: ورثناها، أبانا وأمنا ولا ورثتهم ذاك أم ولا أب^(٢)

وكانت تجري محاورات بين الأئمة وحكام بني العباس حول هذا الأمر،

الدمشقي ج ٢ ص ٢٤٩ وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ج ٢ ص ٣٨١.

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣ والنزاع والتخاصم ص ٢٨.

(٢) الدرجات الرفيعة ص ٥٦٦ والروضة المختارة (شرح القصائد الهاشميات) كمي
بن زيد الأسدي ص ٣٢ والعقد الفريد ج ٢ ص ١٢٠.

فكان الله يظهر الحق على لسان الأئمة «عليهم السلام»، ويبطل كيد الخائنين. ويمكن مراجعة ما دار بين المأمون والإمام الرضا «عليه السلام»، حيث اضطرَّ المأمون إلى الاعتراف بأقربيه آل علي من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: «أنتم والله أمس برسول الله رحماً»^(١).

كما أن الرشيد العباسي حينما حجَّ وزار المدينة، جاء إلى قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: السلام عليك يا ابن عم. فجاء الإمام الكاظم «عليه السلام» وقال: السلام عليك يا أبة.. فتغير وجه الرشيد، وتبين الغيظ فيه.. فكان ذلك سبب أخذ الإمام إلى السجن، وجرى عليه ما جرى^(٢).

آية المباهلة آخرتهم:

تحدثنا النصوص: أنه قد كان لآية المباهلة دور في فضح هؤلاء المتأمرين

(١) كنز الفوائد ص ١٦٦ والفصول المختارة ص ١٥ و ١٦ وبحار الأنوار ج ٩ ص ٤٩ ص ١٨٨ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج ١ ص ١٠٠.

(٢) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٠ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٢٣٤ والفصول المختارة ص ٣٦ وكنز الفوائد ص ١٦٦ والإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٦٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٣٤ وبحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٤٣ وج ٤٨ ص ١٣٦ وج ٩٣ ص ٢٣٩ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢ وتهذيب الكمال ج ٢٩ ص ٥٠ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١٢ ص ٤١٨ وإعلام الوري ج ٢ ص ٢٨ والدر النظيم ص ٦٥٤ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٢.

على دين الله، وعلى الإمامة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودحض شبهاتهم، فلاحظ النصوص التالية:

- ١ - كان مما احتج به الإمام الحسن «عليه السلام» على معاوية قوله: «فأخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء فاطمة أُمي، من الناس جميعاً. فنحن أهلُه، ولحمه، ودمه، ونفسه، ونحن منه، وهو منا»^(١).
- ٢ - إن أمير المؤمنين «عليه السلام» احتج يوم الشورى على المجتمعين: بأن الله تعالى جعله نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وجعل ابنه ابنه، ونسائه نسائه^(٢).

٣ - عن الشعبي، قال: كنت عند الحجاج، فأَتَى بيحيى بن يعمر، فقيه

(١) ينابيع المودة ص ٤٧٩ عن الزرندي المدني، وص ٤٨٢ و ٥٢ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ٢٨٦ وأمالى الطوسي ج ٢ ص ١٧٢ وفي (ط دار الثقافة قم) ص ٥٦٤ وبحار الأنوار ج ١٠ ص ١٤١ وج ٦٩ ص ١٥٤ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٨٦.

(٢) ينابيع المودة ص ٢٦٦ عن الدارقطني، والصواعق المحرقة ص ١٥٤ و (ط ٢ سنة ١٣٨٥ هـ) ص ١٥٦ وفضائل الخمسة ج ١ ص ٢٥٠ وحياة أمير المؤمنين «عليه السلام» للسيد محمد صادق الصدر ص ٢٠٥ عن الصواعق، وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٣٢ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٣٨٥ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٧٧ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٨٥ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ٤ ص ٤٠٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ١١٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣ ص ٦٥ و ٦٦.

خراسان، من بلخ، مكبلاً بالحديد، فقال له الحجاج: أنت زعمت: أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

فقال: بلى.

فقال الحجاج: لتأتيني بها واضحة بيّنة من كتاب الله (!!)، أو لأقطعنك عضواً عضواً..

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله يا حجاج.

قال: فتعجبت من جرأته بقوله: يا حجاج.

فقال له: ولا تأتني بهذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾.

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله، وهو قوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا

مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ..﴾ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾^(١).

فمن كان أبو عيسى، وقد ألحق بذرية نوح؟!.

قال: فأطرق الحجاج ملياً، ثم رفع رأسه فقال: كأني لم أقرأ هذه الآية

من كتاب الله.. حلُّوا وثاقه الخ ..».

وعند المرزباني في نور القبس: أنَّ الحجاج طلب منه أن لا يعود لذكر

ذلك، ونشره^(٢).

(١) الآيتان ٨٤ و ٨٥ من سورة الأنعام.

(٢) تفسير الرازي ج ٢ ص ١٩٤ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٦٤ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨ عن ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم، والبيهقي، والغدير ج ٧ ص ١٢٣ عن تفسير القرآن

٤ - وهناك قصة أخرى للحجاج مع سعيد بن جبير، استدل فيها سعيد بما يلي:

أولاً: استدل بآتي سورة الأنعام: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾^(١).
ثانياً: استدل بآية المباهلة، فراجع^(٢).

٥ - وبمثل ذلك، احتج الإمام الكاظم «عليه السلام» على هارون الرشيد أيضاً^(٣).

٦ - إن الرازي في تفسير الآيتين من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ..﴾.. إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾^(٤) - بعد أن ذكر دلالة الآية على بنوة الحسين «عليهما السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله» - قال :-

العظيم لابن كثير ج ٢ ص ١٥٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٨٩ وراجع:
العقد الفريد ج ٥ ص ٢٠ ونور القبس ص ٢١ و ٢٢ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٢.
(١) الآيتان ٨٤ و ٨٥ من سورة الأنعام.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٨٩ و ٩٠ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٢٩ والخصائص الفاطمية للكجوري ج ٢ ص ٥٥٨.

(٣) نور الأبصار ص ١٤٨ و ١٤٩ و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٨٤ و ٨٥ ونور الثقلين (تفسير) ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ والميزان (تفسير) ج ٣ ص ٢٣٠ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ٢٨٩ وذخيرة المعاد (ط. ق) للسبزواري ج ١ ق ٣ ص ٤٨٧ وجواهر الكلام ج ١٦ ص ٩٥ و عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج ٢ ص ٨٠ والإحتجاج ج ٢ ص ١٦٤ وبحار الأنوار ج ٤٨ ص ١٢٨ و ١٢٣ وج ٩٣ ص ٢٤٠ وراجع:
الإختصاص ص ٥٤ وتحف العقول ص ٤٢٦.

(٤) الآيتان ٨٤ و ٨٥ من سورة الأنعام.

«ويقال: إن أبا جعفر الباقر استدل بهذه الآية عند الحجاج بن يوسف»^(١).

وبعدما تقدم نقول:

نلاحظ هنا ما يلي:

ألف: إن موقف الحجاج وغيره ممن هم على شاكلته، وخصوصاً الأمويين الذين مكّنوا له - إن موقفهم - من آية المباهلة غريب وعجيب، حتى لقد شرط الحجاج على يحيى بن يعمر: أن لا يستدل بآية المباهلة على أن الحسين «عليهما السلام» ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على مدى إحراج هذه الآية لهم، حيث رأوا فيها سداً منيعاً أمام سياساتهم الرعناء والخبيثة تجاه علي وأهل البيت «عليهم السلام».

ب: إن محاولة الحجاج فرض شروطه على يحيى بن يعمر، وتدخله في تحديد طبيعة الاستدلال، وأن يكون قرآنياً، ثم استبعاد دليل بعينه - يعلم أنه لا مخرج له منه، وهو آية المباهلة - هو بغي عظيم، وظلم فاحش وجسيم.

ج: وأفحش من هذا: أن يجعل عقوبة ولا أقسى منها على ابن يعمر، إن لم يستطيع أن يأتيه بالدليل على أمر يحتاج استخراجاً من القرآن إلى مهارة عالية جداً، لا نحسب أن الناس كانوا قد بلغوها في ذلك الزمان..

ثم بالغ في عتوه، وفي تكريس هذا النهج الجائر حين اشترط عليه أن تكون الحجة واضحة، بيّنة.

(١) التفسير الكبير للرازي ج ١٣ ص ٦٦ والتفسير الكاشف ج ٣ ص ٢١٩ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٤١ عنه.

د: إنه حين عجز الحجاج من مواجهة الحجج القاطعة لابن يعمر شرط عليه: أن لا يعود لذكر ذلك ونشره.. وهذا بغى آخر على الناس، وعلى الحق والدين.

هـ: إن ما روي من حوارات بين الأئمة «عليهم السلام» وبين خصومهم من الخلفاء وغيرهم، كالذي روي عن الإمام الرضا «عليه السلام» والمأمون، والكاظم «عليه السلام» والرشيد.. يدل على إصرار خصومهم على هذه السياسات الخبيثة والظالمة.

و: إن ثبوت أن ابن البنت ابن من جهة الأب، أو من جهة الأم ليس نزاعاً لغوياً، بل هو تأكيد وترسيخ يرتبط بالحقوق والأحكام، والواجبات، والعلاقات الاجتماعية وسواها.

الإستدلالات مأخوذة من الأئمة عليهم السلام:

ونكاد نطمئن إلى أن هذه الأدلة القرآنية الدقيقة، والأجوبة العميقة، تنتهي إلى أئمة أهل البيت الذين كانوا يلقونها إلى الناس بطريقة أو بأخرى. وقد رأينا أن الإمام علياً، وكذلك الإمام الحسن «عليهما السلام» قد استدلا بآية المباهلة، لإثبات حقهما في الإمامة في موقفين هما من أخطر المواقف وأشدّها حساسية، وهما:

١ - إن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» احتج بها في جمع أهل الشورى التي فرضها عمر، ورسم مسارها، وحدد نتائجها بالشروط التي وضعها، أو التي لا يمكن إلا أن تؤدي إلى تولية عثمان.

٢ - احتج بها الإمام الحسن «عليه السلام» حين كان لا بد له من حفظ الإسلام والمسلمين - ولو بأدنى درجات الحفظ - من بطش معاوية، من خلال ما عرف بالصلح الحسني.. فخطب «عليه السلام» الناس ومعاوية حاضر، واستدل بصورة دقيقة على أن الحق في الإمامة والخلافة منحصر فيهم.. وكانت آية المباهلة هي أحد هذه الأدلة على أنهم من رسول الله.. ورسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم، وذلك لإبطال شائعات أعدائهم، الهادفة إلى إنكار هذه الحقيقة.

ومما يدل على أن الأئمة «عليهم السلام» كانوا يلقون للناس بالأدلة والشواهد على الحق الرواية التالية:

قال محمد بن يعقوب: عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن ظريف، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: قال [لي] أبو جعفر «عليه السلام»:

يا أبا الجارود، ما يقولون لكم في الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!!

قلت: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فأي شيء احتججتم عليهم؟!!

قلت: احتججنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى بن مريم «عليها

السلام»: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ﴿١﴾. فجعل عيسى بن مريم من ذرية نوح «عليه السلام».

قال : فأى شيء قالوا لكم؟!

قلت: قالوا: قد يكون ولد الإبنة من الولد، ولا يكون من الصلب.

قال: فأى شيء احتججتم عليهم؟!

قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله «صلى الله عليه وآله»: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ (٢).

قال: فأى شيء قالوا؟!

قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل، وآخر يقول: أبناؤنا.

قال: فقال أبو جعفر «عليه السلام»: يا أبا الجارود، لأعطينكها من كتاب الله جل وتعالى أنهما من صلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا يردها إلا كافر.

قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟!

قال: من حيث قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ الآية.. إلى أن انتهى إلى قوله تبارك تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (٣).

(١) الآيتان ٨٤ و ٨٥ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٣) الآية ٢٣ من سورة النساء.

فسلهم يا أبا الجارود، هل كان يحل لرسول الله «صلى الله عليه وآله»
نكاح حليلتيهما؟!

فإن قالوا: نعم. كذبوا وفجروا..

وإن قالوا: لا. فهما ابناه لصلبه^(١).

ونقول:

١ - إن هذه الرواية المباركة دلت على أن الإمام «عليه السلام» يتابع
تفاصيل التفاصيل في النشاطات الثقافية، ويسأل عن كل كلمة قيلت، وما
لاقته من قبول أو رد.

ثم هو يسهم في إثراء الواقع الثقافي، من خلال سدّ ما يجده من ثغرات
فيه. فإن القوة في الفكر وفي الحجة تعطي الرضا، والثقة بالنفس، والقوة
والثبات والصلابة في الموقف.. وتذكي الطموح إلى المزيد، والسعي للحصول
على كل جديد.

٢ - كما أن هذه الرواية تؤكد على ما ألمحنا إليه، من أن الأمر في بنوة
الحسين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليس نزاعاً في أمر
لغوي وحسب.. وإلا، فلماذا يريد الحجاج أن يقطع يحيى بن يعمر عضواً

(١) البرهان (تفسير) ج ٣ ص ٦٠ و ٦١ والكافي ج ٨ ص ٣١٧ وراجع تفسير القمي
ج ١ ص ٢١٥ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٤٠ و ٢٣٢ و ج ٩٣ ص ٢٣٩. وراجع:
تفسير القمي ج ١ ص ٢٠٩ والحدائق الناضرة ج ١٢ ص ٣٩٨ و ج ٢٢ ص ٢٤٤
وجواهر الكلام ج ١٦ ص ٩٣ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٣٤٨ وتفسير الميزان
ج ٧ ص ٢٦٣ والعدد القوية للحلي ص ٤٠.

عضواً؟!

ولماذا انحصر النزاع في خصوص الحسن والحسين؟! أليس لأجل إثارة الشبهة حول معنى الإمامة فيهما «عليهما السلام»؟!!

٣ - ومما يؤكد على أن هذا الأمر يرتبط بالأحكام، والحقوق، والعلاقات الاجتماعية، زيادة على ما ورد في رواية أبي الجارود: فتوى مالك بن أنس بعدم دخول ولد البنات في الوقف على الولد وولد الولد، ثم في آثار هذه السياسة في استبعاد أولاد البنات عن دائرة القرابة من قطع للأرحام، ومن جفاء وإقصاء..

يضاف إلى ذلك: ما ينشأ من عقد نفسية، وما يلحق البنية الاجتماعية من تصدعات واختلالات..

ويكفي أن نشهد هذا البغي الظاهر، الهادف لإقصاء أئمة الهدى «عليهم السلام» عن مراكزهم التي وضعهم الله تعالى فيها، وحرمان الأمة من التفيؤ بظلالهم، والكون تحت جناحهم، والفوز برضاهم ومحبتهم، والاستفادة من علومهم، ومن حكمتهم، وما إلى ذلك..

قصة ذكوان بين الوجدان والسياسة:

واللافت هنا: أننا حين نراجع الأحداث التاريخية نجد: أن الوجدان كان دائماً يصادم السياسة الظلمة، والغاشمة، ويظهر قوته، وتتجلى غلبته عليها، ونذكر من ذلك الشواهد التالية:

١ - عن ذكوان، مولى معاوية، قال: «قال معاوية: لا أعلمن أحداً سمي

هذين الغلامين (يعني الحسن، والحسين «عليهما السلام») ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولكن قولوا: ابني علي «عليه السلام».

قال ذكوان: فلما كان بعد ذلك، أمرني أن أكتب بنيه في الشرف.

قال: فكتبت بنيه وبني بنيه، وتركت بني بناته.. ثم أتيت بالكتاب، فنظر فيه، فقال: ويحك، لقد أغفلت كُبر بني!

فقلت: من؟!

فقال: أما بنو فلانة - لابنته - بني؟!

قال: قلت: الله!! أيكون بنو بناتك بنيك، ولا يكون بنو فاطمة بني رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال: ما لك؟! قاتلك الله! لا يسمعن هذا أحد منك؟! (١).

٢ - إن الإمام الحسين «عليه السلام» ناشد جيش يزيد، فقال: أنشدكم الله، هل تعرفوني؟!

قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه (٢).

وهناك الكثير الكثير من النصوص الدالة على أن الحسين ابنا رسول

(١) كشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٣٥٥ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ١٧٢ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢٥٨ ومواقف الشيعة ج ٢ ص ٦٥.

(٢) الأمالي للصدوق ص ١٤٠ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٢٢٢ واللهور لابن طاووس ص ٥٢ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣١٨ والعوالم، الإمام الحسين ص ١٦٧ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص ٢٤٠ ولواعج الأشجان ص ١١٢.

الله «صلى الله عليه وآله»، وقد ذكرنا السير منها في كتابنا سيرة الحسين، في الفصل الأخير من الجزء الرابع، ولو أراد أحد جمع هذه النصوص فلربما احتاج إلى مجلدات.

الفصل الخامس

إمامة.. وكرامة..

أتحبهم يا سلمان؟!

عن سلمان الفارسي «رحمة الله عليه» قال: دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعنده الحسن والحسين يتغديان، والنبي «صلى الله عليه وآله» يضع اللقمة تارة في فم الحسن، وتارة في فم الحسين، فلما فرغ من الطعام أخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحسن على عاتقه، والحسين على فخذيه، ثم قال لي: يا سلمان أتحبهم؟!

قلت: يا رسول الله! كيف لا أحبهم ومكانهم منك مكانهم؟!

قال: يا سلمان! من أحبهم فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله.

ثم وضع يده على كتف الحسين «عليه السلام»، فقال: إنه الإمام ابن الإمام، تسعة من صلبه، أئمة أبرار، أمناء، معصومون، والتاسع قائمهم^(١).

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

(١) كفاية الأثر للخزاز ص ٤٤ - ٤٥ و (ط الخيام - قم سنة ١٤٠١ هـ - ق) ص ١٩٣ - ١٩٤ والصراط المستقيم ج ٢ ص ١١٩ وإثبات الهداة ج ١ ص ٥٧٧ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٠٤ وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة ص ١٥٤ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٣٩٣ والعوالم (ط ٣) ج ٣ ص ١٢٠.

حب الحسنين عليهما السلام:

ما أكثر الأحاديث التي تؤكد على حب النبي «صلى الله عليه وآله» للحسنين، وحث الناس على حبهما «عليهما السلام».

فنحب لفت النظر إلى الأمور التالية:

الأول: إن الله سبحانه حين جعل الأنبياء والأئمة قادة وهداة، ومربين، وحنكاً على الناس، فإنه أراد أن يكون النبي والإمام بمثابة الوالد الرحيم للأمة، وأن تكون علاقتهم به علاقة حب واحترام، وتوقير، ومعرفة، ونصرة، وطاعة، ومعونة.

والآيات والروايات الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى..

ومن يراجع كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام»، في مقال بعنوان: «الحب في التشريع الإسلامي» يجد بعضاً من ذلك.

أما الحكام من طلاب الدنيا، فإنهم يقيمون علاقتهم بالناس على أساس القوة، ومقدار ما يمتلك الحاكم منها في مختلف المجالات.. ويا ليتة يكتفي بذلك، بل هو يسعى باستمرار إلى رفق هذه القوة بممارسة فنون القهر، والظلم، واستلاب قدرات الناس، ليضيفها إلى ما لديه.. حيث إنه لا يطمئن إلى بقاء الملك في يديه إلا بذلك، بل هو قد يشعر بأن هذا الاستلاب والعدوان على الآخرين يضاعف حاجته إلى البطش والعدوان والقهر لهم.

ومن الواضح: أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم إذا كانت تقوم على أساس الحب المتبادل، والاحترام والشعور بالمسؤولية، والتقدير، والتوقير، والطاعة الطوعية، فإنها تنتج التكامل، والتعاون، والسعي لتحقيق الأهداف

المشاركة في التكامل والتنامي، والسمو الروحي، والرقى في مختلف المجالات، وبلوغ الآمال بالوصول إلى الكمال، والحصول على الخير، والوصول إلى الصلاح، والفلاح، والسعادة والنجاح.

وإذا كانت تقوم على القهر والابتزاز، والاستغلال، والظلم، فلا تعاون، ولا ثقة متبادلة، ولا احترام، ولا محبة، ولا مشاركة، ولا سعادة، ولا أمل بمستقبل زاهر رغيد.

الثاني: إن محبة الإمام تقود إلى محبة من انبثق هو عنه، وينتمي إليه وإلى نهجه، ويستفيد من أدبه وعلمه، ومن صنع وجدانه، وصاغ أخلاقه، ومنحه القيم المجيدة، والمثل الفريدة، وما إلى ذلك.. وما هو إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والحب هو انسجام، وانقياد، وألفة قلبية، وتفاعل مشاعري، وإنما يتحقق ذلك.. من خلال تلمس الصفات والسمات الروحية والإنسانية، والطهر والخلوص، والإخلاص في المحبوب.

وهذا هو المعيار لكل حب، ومودة، ينتج الحنين، ويهب الشعور بالسلام والسعادة.. ولعل قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من أحبهم، فقد أحبني» يشير إلى هذه الحقيقة.

الثالث: إن ذلك يوضح لنا المراد أيضاً من قوله «صلى الله عليه وآله»: «ومن أحبني فقد أحب الله»، فإن الله سبحانه هو الذي صنع ورعى وهدى، وربى الأنبياء والأوصياء، والهداة والقادة الإلهيين للأمم.. على قاعدة: ﴿وَلِتُصْنَعَ

عَلَى عَيْنِي»^(١). وقوله: ﴿وَاضْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾^(٢).

وقوله «صلى الله عليه وآله»: أدبني ربي، فأحسن تأديبي^(٣).

فإن الله سبحانه يتولى تربيتهم، وتعليمهم، وزيادة إمكاناتهم بتوفيقاته لهم.. وبما يمنحهم إياه من العلم، والدين، والسلوك وكل شيء، لأنه يريد لهم أن يكونوا النموذج الكامل للإنسان الإلهي الذي يحقق أهداف الله تعالى في هذا الكون الرحيب.

أنا سلم لمن سالمهم:

عن زيد بن يشيع قال: سمعت أبا بكر الصديق يقول:

رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال - وقد خيم خيمة، وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة علي، وفاطمة، والحسن، والحسين «عليهم السلام»:-

أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد، طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد، رديء

(١) الآية ٣٩ من سورة طه.

(٢) الآية ٤١ من سورة طه.

(٣) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢١٠ وج ٦٨ ص ٣٨٢ وسنن النبي (مع ملحقات) ص ١١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١١ ص ٢٣٣ والجامع الصغير ج ١ ص ٥١ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٧ ص ٢١٤ وج ١١ ص ٤٠٦ وفيض القدير ج ١ ص ٢٩١ وكشف الخفاء ج ١ ص ٧٠ ومجمع البيان (تفسير) ج ١٠ ص ٨٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٩٣ والنهاية لابن الأثير ج ١ ص ٤.

الولادة.

فقال رجل: يا زيد، أنت سمعت من أبي بكر هذا؟!

قال: إي ورب الكعبة^(١).

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما نشير إليه فيما يلي من عناوين:

من هو الصديق؟!

لقد وصف زيد بن يشيع أبا بكر بالصديق، وهو الوصف الذي يصر محبو أبي بكر على إطلاقه عليه.. غير أننا ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»^(٢): أن هذا الوصف خاص بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام».. وأوردنا روايات كثيرة بعضها صحيح على شرط الشيخين حول هذا الأمر..

بل في بعضها: أن علياً «عليه السلام» خطب على منبر البصرة فقال: أنا

(١) راجع: الفصول المئة ج ٣ ص ٢٨٨ عن فرائد السمطين ج ٢ ص ٣٧٣ والأربعون حديثاً لمنتجب الدين بن بابويه ص ١٩ والمناقب للخوارزمي ص ٢٩٦ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ١٧٤ وشرح إحقاق الحق ج ٩ ص ١٦٥ وج ١٨ ص ٤١٥ وج ٢٥ ص ٢٣٨ وج ٢٦ ص ٢٥٩ وج ٢٧ ص ٩٥ وج ٣٣ ص ٨٩ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٥١٥ والغدير ج ١ ص ٣٣٦ وج ٤ ص ٣٢٣ والنص والإجتهد ص ٩٠ عن سمط النجوم ج ٢ ص ٤٨٨ والرياض النضرة (ط مكتبة الخانجي بمصر) ج ٢ ص ١٨٩.

(٢) الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج ٨ ص ٣١١.

الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتري. وسند هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين^(١).

والمراد بكلمة «بعدي»: «غيري»، إلا كذاب.. وليس المراد بالبعدية: البعدية الزمانية، ليقال: إن أبا بكر كان صديقاً في حياته، ثم صار عليّ صديقاً. فهل أقحمت كلمة الصديق في كلام زيد بن يثيع؟! أم ماذا؟!

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٢ وتلخيصه للذهبي (هامش نفسه الصفحة)، والأوائل ج ١ ص ١٩٥ وفرائد السمطين ج ١ ص ٢٤٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٨ وراجع ج ١ ص ٣٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦ والخصائص للنسائي ص ٤٦ بسند رجاله ثقات، وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٤ بسند صحيح، وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٦ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٧ وذخائر العقبى ص ٦٠ عن الخلفي، والآحاد والمثاني (مخطوط في كوبرلي) رقم ٢٣٥ ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (مخطوط في مكتبة طوب قپوسراي رقم ٤٩٧) ج ١ وتذكرة الخواص ص ١٠٨ عن أحمد في المسند وفي الفضائل، وفي هوامش ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٤٤ و ٤٥ عن: مصنف ابن أبي شيبة ج ٦ الورق ١٥٥/أ وكنز العمال (ط ٢) ج ١٥ ص ١٠٧ عن ابن أبي شيبة، والنسائي، وابن أبي عاصم في السنة، والعقيلي والحاكم وأبي نعيم وعن العقيلي في ضعفائه ج ٦ الورق ١٣٩ ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج ١ الورق ٢٢/أ، وتهذيب الكمال للمزي ج ١٤ الورق ١٩٣/ب وعن تفسير الطبري، وعن أحمد في الفضائل الحديث ١١٧ ورواه في ذيل إحقاق الحق ج ٤ ص ٣٦٩ عن ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤١٧ وج ٢ ص ١١ و ٢١٢ والغدير ج ٢ ص ٣١٤ عن كثير ممن تقدم وعن الرياض النضرة ص ١٥٥ و ١٥٨ و ١٢٧ وراجع: اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٢١..

هذا الحديث فاجأ البعض:

رأينا أن الرجل الذي سمع هذا الحديث من ابن شيعة سألته قائلاً: «يا زيد، أنت سمعت من أبي بكر هذا؟! فقال: أي ورب الكعبة».

فلاحظ:

ألف: يبدو: أن هذا الرجل قد فوجئ بما سمعه، وكأنه لم يصدق بأن أبا بكر يمكن أن يروي هذه الرواية.. ربما لأنه يعرف: أن أول المتضررين من هذه الرواية، هو أبو بكر نفسه، ومعه كل فريقه الذي هاجم نفس هؤلاء الأربعة الذين قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنه سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم.. إلى آخر كلامه «صلى الله عليه وآله».

فإن أبا بكر قد انتزع الخلافة من علي بالقوة والقهر، وهاجم بيته، وعمل على إحراقه بمن فيه، وليس فيه سوى هؤلاء الصفوة الأطهار، واعتدى على فاطمة وضربها، وأسقط جنينها، من خلال فريقه الذي أعانه على غضب الخلافة منهم.

ب: الشاهد على هذه المفاجأة: أن ابن شيعة، قد احتاج إلى التوسل بالقسم ليقنع ذلك الرجل: بأنه قد سمع ذلك من أبي بكر مباشرة، ولا ينقل عنه بواسطة أحد، ليظن ذلك الرجل: أن من الجائز أن يكون ذلك مكذوباً على أبي بكر.

ج: يلاحظ: أن الإفراج عن أمثال هذه الحقائق من قبل المعتدين على أهل البيت «عليهم السلام» قد تكرر كثيراً في حياة الذين يتضررون منها،

وعلى السنتهم، ومن خلاهم، فكيف نفسر ذلك؟!

ويجاب:

بأن هذا البوح ربما كان يأتي في الأوقات التي يطمئن فيها هؤلاء إلى أن شبح الخطر قد ابتعد، وتلاشى، أو يكاد.. وظنهم: أن اليأس قد تسرب إلى قلوب أصحاب الحق، أو اعتقادهم: أن علياً «عليه السلام» لن يجازف بتعريض الإسلام للخطر، مهما كانت الظروف..

وقد ساعد على تكوين هذه الفكرة، وبلورة هذا الشعور لديهم: تصريحات أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه، أكثر من مرة بهذا الأمر، حتى لقد قال: «لأسلمن (لأسالمن) ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة»^(١).

القوس العربية لماذا؟!:

ويتبادر إلى الذهن سؤال عن سبب اتكاء النبي «صلى الله عليه وآله» على السلاح، ولماذا على القوس لا على السيف مثلاً، ولماذا اختار «صلى الله عليه وآله» أن تكون القوس عربية؟!..

ونجيب:

أولاً: إنه «عليه السلام» اتكأ على السلاح، ليجسد لهم معنى الحرب

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ١ ص ١٢٤ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦١٢ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص ٧٠٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ١٦٦.

التي هدّدهم بها، وليدل على أنه قاصد على الحقيقة.

ثانياً: اتكأ «صلى الله عليه وآله» على السلاح فعلاً ولم يقتصر على إظهاره أو اشهاره.. ليظهر معنى الاعتماد الفعلي عليه، وأن الأمر لا يقتصر على مجرد البغض القلبي، أو العداء القولي الذي يقتصر على المقاطعة والمنافرة. فالسلاح هو الذي يفصل النزاع، ويحسم الأمور..

ثالثاً: إنه «صلى الله عليه وآله» اختار القوس، دون السيف، أو الرمح، ربما ليدل على أن حربهم لأهل بيته لن تكون معلنة في حياته، وإنما هم سوف يشهرونها بصورة عملية بعد وفاته «صلى الله عليه وآله».

وهذا لا يعني: أن حرب النبي «صلى الله عليه وآله» لهم تصبح غير ممكنة، بل هو يحاربهم بوسائل وأشكال مختلفة ومتعددة.. ولا يلتفتون إلى أكثرها، فهو يحاربهم من خلال تصرّياته، وتوجيهاته في حال حياته، التي تبقى آثارها وتفاعلاتها تتجدد وتتوالى بعد وفاته، في محيط أهل الإيمان، والمخلصين الأتقياء، والأبرار الأوفياء.

ومن مظاهر حربه لهم بعد وفاته: أنه هو الذي سيكون خصمهم يوم القيامة. وويل لمن يكون خصمه النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته الطاهرون المعصومون.

وبذلك يتضح: أن القوس هو الأنسب للتعبير عن هذا المعنى، لأنه يعتمد الرمي من بعيد.. وفيه تسديد، وقصد، وبذل جهد، وتحديد هدف، وما إلى ذلك..

والأهم من ذلك: توفر القدرة على الإطلاق والإصابة دون أن يعرف

مصدره، ولا من رماه..

أما السيف وسواه، كالرمح، فإنما يستفاد منه في الاشتباك المباشر والمعلن، وهذا لا يعطي إمكانية حربهم بعد الوفاة، وفي يوم القيامة أيضاً.

رابعاً: إن اختيار أن تكون القوس عربية، ربما يرمز إلى التناقض القبيح بين شعارات هؤلاء المعتدين، وبين ممارساتهم وسياستهم، وإلى أن عملهم سيكون مرتكزاً إلى الخداع والتزوير، لأن هؤلاء المعتدين، بزعامة قريش، ومن ورائهم أكثر العرب، هم الذين سوف يحاربون أهل هذا البيت الطاهر، ويقصونهم عن مراكزهم، ويقتلونهم ويشردونهم، ويمنعون عنهم وسائل العيش الكريم، وينكلون بهم، ويلاحقونهم تحت كل حجر ومدر، وفي كل سهل وجبل، وبر وبحر، وذلك تحت شعار العروبة، وإظهار العصبية لها، ولأجلها، وعلى أساسها تمنح الامتيازات الظالمة، ويعذبون ويظلمون ويسفكون الدماء بالاستناد إليها.

وفي نفس الوقت يعلمون: أن أشرف الخلق، وأكرمهم على الله والصفوة والقدوة والأسوة، هم أصل العرب، ولكنهم يحاربونهم، ويسعون في استئصالهم وإبادتهم على بكرة أبيهم، في حين أن عروبة زعماء هذه الحرب العربية المزعومة مشوبة بكثير من الأكدار والأقذار.

ردىء الولادة وطيب الولادة:

وهذا الشوب بالأكدار والأقذار في نسب هؤلاء هو الذي أشار إليه «صلى الله عليه وآله» في كلامه الذي نقله عنه أبو بكر نفسه بقوله: «لا يحبهم إلا سعيد الجد، طيب المولد.. ولا يبغضهم إلا شقي الجد، ردىء الولادة»..

فاختيار أن تكون القوس عربية، ربما كان إشارة إلى هذه الحقيقة التي تظهر هذه المفارقة.

لماذا الخيمة والقوس؟!:

إن مما يلفت النظر هنا: هو أن ينصب النبي «صلى الله عليه وآله» خيمة، ثم يتكئ على قوس عربية، فلماذا نصب النبي «صلى الله عليه وآله» الخيمة؟! ألم يكن بإمكانه أن يكلم الناس من منزله، أو من مسجده؟! ولماذا أحضر «صلى الله عليه وآله» علياً وفاطمة، والحسن والحسين «عليهم السلام» إلى الخيمة؟! ألم يكن يكفي أن يقول ما أراد وهو في خيمته، بين أصحابه المتحلقين حوله؟!:

ومن المعلوم: أن الناس كانوا يعرفون من أحضرهم، معرفة تامة.. ألا يغني ذكر أسمائهم لهم عن إحضاره لهم إلى الخيمة؟! ويمكن أن يجاب:

بأن إلقاء الكلام إلى الناس بصورة مباشرة وعابرة، والاعتماد على ذلك في الاحتفاظ به في ذاكرتهم، هو الطريقة المثلى، في مجالات وضع القانون لضبط الحركة، وتوفير النظام، ثم تنتفي ضرورة استحضاره لضالة فرص استثمارها. ولكن الأمر بالنسبة للأمور التي تلامس الاعتقاد، وتدخل في دائرة البنى التأسيسية للكفر والإيمان.. وغيرها من أمور يطلب حضورها الدائم في وعي الناس، في كل زمان، فليس الأمر كذلك، لأن إلقاء الكلام مجرداً قد لا يكفي في تحقيق ذلك، لأن مصير ما يلقيه سيكون هو: أن تحيله القوة المدركة في أول فرصة إلى مخازنها، ثم تأتي التراكمات بعده، فتغيبه عن دائرة الضوء،

وسيصعب العثور عليه بعدها في أعماق الذاكرة عندما ما تمس الحاجة إليه. من أجل ذلك، تمس الحاجة إلى ربط المضمون بحدث معين، أو بأمور عملية عينية، ذات طابع إيجائي، لكي يبقى شاخصاً في وعي الإنسان.. ويصبح تغيبها أبطأ، وأصعب، لأن مقارنتها بالحدث تضخم حجمها، وتخرجها عن كونها مجرد صوت، أو نقش في كتاب تتلقفه القوة المدركة، ثم يبدأ بالابتعاد، والغموض والتلاشي في غمرة الصخب والجلب.

آثار ونتائج:

وقد دلت رواية أبي بكر المتقدمة: على أن حرب أهل الخيمة، ستكون لها آثار ونتائج ودلالات، لا يرضاها مؤمن ولا مسلم، ولا إنسان كريم لنفسه..

وهذه الآثار هي التالية:

أولاً: إن على من يحارب أصحاب الخيمة: أن يضع في حسابه: أنه لا يحاربهم وحدهم، بل سيجد نفسه محارباً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي هو دائماً معهم وإلى جانبهم.. الأمر الذي يجب أن يحمل ذلك الطامح والطامع على مراجعة حساباته.. كرات ومرات قبل أن يقدم على أمر من هذا القبيل.

ثانياً: إن ذلك يعني: أن الحرب سوف تمتد وتستمر من الحياة الدنيا إلى الآخرة.

ثالثاً: إنها ستكون حرباً مصيرية شاملة، لا يمكن تدارك نتائجها، إلا بالتراجع عنها قبل حصولها.

رابعاً: إن من يحارب أصحاب الخيمة، سيجد نفسه في موقع المتلبس بعناوين كريمة ومؤذية، مثل عنوان: المبطل والضال، والظالم، والمعتدي، وغير ذلك من صفات وسماة رديئة.. لأن أهل الخيمة باستمرار في موقع المحق، والمهتدي والمظلوم..

خامساً: إن حربه لهم سوف تخرجه من الإيمان، ومن الدين بصورة حقيقية ونهائية، لأن من يحارب رسول الله «صلى الله عليه وآله» محارب لله، وكافر بلا ريب.

سادساً: إذا كان من يحبهم سعيد الجد، والحظ سرياً، فإن من يبغضهم يكون رديء الحظ شقيماً..

ومن كان كذلك، فإنه سيجد نفسه محاصراً بشقائه، عاجزاً عن التخلص والتملص من برائته، لأنه هو الذي صنعه لنفسه، بسبب سوء اختياره، وإقدامه على حرب أصحاب الخيمة، وبذلك يكون قد جعل مستقبله ومصيره خارج دائرة اختياره، بعد أن فرض هو على نفسه سوء الطالع والشقاء، وجلب لنفسه هذا البلاء والعناء..

سابعاً: إن حرب أهل الخيمة سيكون بمثابة إعلان كرية عن رداءة ولادة ذلك المحارب لهم «عليهم السلام».

والظاهر: أن تعبيره «صلى الله عليه وآله» برداءة الولادة، إنما عنى به: ما روي في كثير من النصوص، من أن علامة خبث الولادة، وأنها عن زنى: بغض علي «عليه السلام»^(١).

(١) راجع: بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٠٠ و ٣٠١ و ٢٦٤ وج ٣٨ ص ١٠٠ و ١٨٩

فقد قال أنس بن مالك: ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه، إلا ببغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(١).

وقال أنس أيضاً في خبر طويل: وكان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه، ثم يقف على طريق علي، فإذا نظر إليه يوجّهه بوجهه تلقاءه، وأوماً بإصبعه: أي بني تحب هذا الرجل المقبل؟!

وج ٣٦ ص ٢٤٦ وج ٢٧ ص ١٤٥ و ١٥١ وج ٦٠ ص ٢٣٧ وج ٨٧ ص ١٠٤ وراجع: الأماي للصدوق ص ١٣٦ و ٣٨٣ وروضة المتقين ج ٨ ص ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٧ والوافي ج ٢٣ ص ١٣٨١ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٥ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٠ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٤٩٣ والثاقب في المناقب ص ١٢٣ و ١٢٤ وشجرة طوبى ج ١ ص ٣٢ وإعلام الورى ج ١ ص ٢٠٢ و ٣١٩ وج ٣ ص ٧٣ وج ٧ ص ١٢٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢ ص ٣١٩ و (الإسلامية) ج ٢ ص ٥٦٨ ومشارك أنوار اليقين ص ٨٥ وغاية المرام ج ١ ص ١٧٧ وج ٣ ص ٧٨ وج ٥ ص ١٦ وج ٦ ص ١٦٢ وج ٧ ص ٤١ وكمال الدين ص ٢٦١ والإحتجاج ج ١ ص ٨٨ والفصول المهمة للحر العاملي ج ٣ ص ٢٩٠ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٩ و ١٦٥ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٤٤٨ وأسنى المطالب ص ٥٧ والغدير ج ٣ ص ٢٦ وج ٤ ص ٣٢٢ ونهج الإيمان ص ٤٥٦ وشرح الأخبار ج ١ ص ١٥٢ و ١٦٨ و ٤٤٧ والمحتضر ص ١٤٢ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص ١٥٩ وبشارة المصطفى ص ٩٦ ونبايع المودة ج ١ ص ٣٩٧.

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٠ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٣٢٩ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٦٣ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ٧٦.

فإن قال الغلام: نعم، قبله.

وإن قال: لا، خرق به الأرض، وقال له: الحق بأمك، ولا تلحق بأبيك بأهلها [كذا]، فلا حاجة لي فيمن لا يحب علي بن أبي طالب «عليه السلام»^(١).
وعن أبي الزبير قال: رأيت جابراً يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة (الصحيح: في سكك الأنصار) ومجالسهم وهو يقول: علي خير البشر، فمن أبى فقد كفر.. معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي، ومن أبى فلينظر في شأن أمه^(٢).

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة..

وبعدما تقدم نقول:

ألف: إن أحداً يحترم نفسه، لا يرضى بأن يوصم بهذا العار، ولا يضع نفسه في موضع الخزاية.

ب: علينا أن نبين أن ثمة فرقاً بين الحالات التي تشي بعدم الانسجام بين بعض الناس، وبين أهل الخيمة، فقد يكون ذلك ناشئاً من التجاذب المسبب عن شبهة تعرض في أمر بعينه، وقد يكون الطمع هو الدافع لهذا التجاذب.

وفي هذه الحالات، إذا لم يصاحب ذلك التجاذب بغض، وعدوان، فلا

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (ط بيروت) ج ٢ ص ٢٢٤ وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج ٤٢ ص ٢٨٨ و (ط مكتبة المرعشي) ج ١٥ ص ٦١١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٥ ص ٦١١ وج ٢١ ص ٣٦٤ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٦٣ و ٢٨٧.

(٢) راجع: رجال الكشي ص ٤٣ و ٤٤.

يوجب ذلك طعناً في طهارة المولد، لأنه تجاذب يزول بزوال أسبابه، ولا يتعدى مورده ليتحول إلى بغض وعداوة.. بل يكون هذا وأشباهه من إفرازات الجهل، والأنانية، والاختلالات الأخلاقية والنفسية وما إلى ذلك..

ج: إن المحارب والمبغض لأهل تلك الخيمة المباركة إذا رضي لنفسه أن يعرف بهذه الخزية، فإنه يكون قد أخرج نفسه عن دائرة الكرامة، وتخلّى عن إنسانيته، بإخراجها من الإيمان والإسلام..

وهذا هو الشقاء والخسران الذي فرضه هو على نفسه، وإنما على نفسها جنت براقش.

حزقة.. عين بقة: معناه ومفراه:

وروى في المناقب، عن مرزد قال: سمعت [أبا هريرة] يقول سمع أذناي هاتان، وبصر عيناي هاتان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو أخذ بيديه جميعاً بكتفي الحسن والحسين، وقدماهما على قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويقول: ترق: عين بقة.

قال: فرقا الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال له: افتح فاك، ثم قبله.. ثم قال: اللهم أحبه، فإني أحبه.

وهذا الحديث رواه آخرون عن أبي هريرة، وقالوا: إن ذلك كان مع الإمام الحسين «عليه السلام»^(١).

(١) ذخائر العقبى ج ٢ ص ٤٣ و (ط مكتبة القدسي) ص ١٢٢ عن مصادر كثيرة ومناقب

وفي كتاب ابن البيع، وابن مهدي، والزنجشري قال: حُرُقَّة، حُرُقَّة، ترق عين بقّة.. اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه.

الحزقة: القصير، الصغير الخطو، وعين بقّة: أصغر الأعين.

وقال: أراد بالبقّة فاطمة^(١)، فقال للحسين: يا قرة عين بقّة ترق^(٢).

آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٥٩ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ وج ٣٦ ص ٣١٣ وج ١٦ ص ٢٩٥ و ٢٩٧ وج ٦١ ص ٣١٧ وكفاية الأثر ص ١١ و ١٢ والاستيعاب (ط دار الجيل) ج ١ ص ٣٩٧ و ٣٩٨ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص ٤٠ وبغية الطلب لابن العديم ج ٦ ص ٢٥٧٢ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص ٥٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١١ ص ٢٩٤ و ٣٠٠ وج ٢٧ ص ٥٧ وج ٣٣ ص ٥٨١ وتنبيه الخواطر ج ٢ ص ٦٠٤ و ٦٠٥ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ١٩٤ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص ٤٠ وينابيع المودة ج ٢ ص ٤٠ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ٦٤٩ وفضائل الصحابة لابن حنبل ج ٢ ص ٧٨٧ والإصابة ج ٢ ص ٧٧ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٦٢ وتهذيب مستمر الأوهام ج ١٤ ص ٦٧ ومعرفة علوم الحديث ج ١ ص ٨٩ وحياة الحيوان ج ١ ص ١٥٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٢٢٢ والجمهرة في لغة العرب لابن دريد ج ١ ص ٢٣٨ ومختصر تذكرة القرطبي ص ٢٢٢ والمختار في مناقب الأخيار، وغير ذلك.

(١) في النسخ المطبوعة: «أراد بالبقّة عين فاطمة»، وما في الصلب هو الصحيح المطابق للمصدر ج ٣ ص ٣٨٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٨٨ و ٣٨٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٥٩ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ والأدب المفرد للبخاري ص ٦٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٩ ص ٢٢٥ وج ٢٦ ص ٤٢ و ٤٤ و ٣٩٧ و ٤٠٧.

وقال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«قال الجزري: فيه: أنه «عليه الصلاة والسلام» كان يرقص الحسن أو الحسين ويقول: حزقة، حزقة، ترق عين بقة.
فترقى الغلام حتى وضع قدميه على صدره.
الحزقة: الضعيف المقارب الخطو من ضعفه، وقيل: القصير العظيم البطن، فذكرها له على سبيل المداعبة والتأنيس له.
وترق بمعنى اصعد.

وعين بقة كناية عن صغر العين.

وحزقة مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: أنت حزقة، وحزقة الثاني كذلك، أو أنه خبر مكرر.

ومن لم ينون حزقة، فحذف حرف النداء. وهي في الشذوذ كقولهم: أطرق كرا، لأن حرف النداء إنما يحذف من العلم المضموم أو المضاف. انتهى.
والحزقة بضم الحاء المهملة، والزاء المعجمة، وفتح القاف المشددة..
والظاهر: أن عين بقة كناية عن صغر الجثة، لا صغر العين.

ويمكن أن يكون مراده ذلك، بأن يكون مراده بالعين النفس، أو أن

وج ٣٣ ص ٤١٢ و ٤٦٦ وشجرة طوبى ج ١ ص ٣٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٦
والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥١٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣
ص ٦٤٩ - ٦٥٠ و ٦٦٦ - ٦٦٧ و ٦٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ١٩٤ و
١٩٥ وحياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٢٢٣ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر
ص ٥٠ و ٥١ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٣٦٨ و ٣٦٩.

وجه التشبيه بعين البقة صغر عينها.

ولكن الزمخشري صرح في الفائق بذلك حيث قال: وعين بقة منادى. ذهب إلى صغر عينيه، تشبيهاً لهما بعين البعوضة». انتهى^(١).

وذكر ابن منظور: أن بقة موضع بالعراق، قريب من الحيرة، كان به جذيمة بن الأبرش. وقيل: إنه على شاطئ الفرات^(٢).

ونقول:

في هذه الرواية مواقع للنظر، نجملها على النحو التالي:

أبو هريرة: عدو لعلي عليه السلام وأهل بيته:

إننا لا نريد أن نناقش في أسانيد هذه الرواية ومتونها المختلفة.. فحسبها أن راويها هو أبو هريرة الدوسي المعروف بجراته على المحظورات الكبرى، ولا سيما إذا كان يريد التزلف لمعاوية، أو لغيره..

ويكفي أن نذكر: أنه حين دخل الكوفة، مع معاوية بعد إبرام ما سمي بـ «الصلح» مع الإمام الحسن «عليه السلام»، فلما بلغ باب مسجد الكوفة جثا على ركبتيه، وضرب على صلعتة مراراً، وقال:

«يا أهل العراق، تزعمون أنني أكذب على رسول الله، وأحرق نفسي بالنار؟! والله لقد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «إن لكل نبي حرماً، وإن حرماً في المدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٨٦ و ٢٨٧.

(٢) راجع: لسان العرب ج ١٠ ص ٢٤ و ٢٥.

فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين». وأشهد: أن علياً أحدث فيها.
فلما بلغ معاوية قوله أجازته، وأكرمه، وولاه إمارة المدينة^(١).

كما أن الإسكافي عدّه في جملة قوم وضعهم معاوية على رواية أخبار
قبيحة في علي «عليه السلام» تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه. فروى أبو هريرة
قصة خطبة بنت أبي جهل إلخ..^(٢).

وزعم أبو هريرة أيضاً: أنه رأى الحسين حين ولد على يد رسول الله «صلى
الله عليه وآله»، وقد خضبها دماً^(٣).. مع أنه إنما قدم إلى المدينة بعد ولادة
الحسين «عليه السلام» بعدة سنوات.. وغير ذلك كثير..

لا يلعب ولا يرقص:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» في أعلى درجات العصمة، وهو الذي

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٦٧ عن الإسكافي، وشجرة طوبى ج ١
ص ٩٦ وتحف العقول ص ١٩٤ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٦٥٩ والإيضاح لابن
شاذان ص ٤٩٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١ ص ٤٥ وكتاب الأربعين للشيرازي
ص ٢٩٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٥٥ والنص والاجتهاد ص ٥١٤
ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٢٩ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٤٣
وأضواء على السنة المحمدية ص ٢١٦ و ٢١٨ ونهج السعادة ج ٨ ص ٤٨٦ ووضوء
النبي للشهرستاني ص ٢٣٢ وشيخ المضيرة ص ٢٣٦ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٧٩
وحياة الإمام الحسين ج ٢ ص ١٥٧ ونهاية الدراية للسيد حسن الصدر ص ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٦٣ و ٦٤.

(٣) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٥٩ وفتح الباري ج ٩ ص ٢٨٦ وشرح نهج البلاغة
ج ٤ ص ٦٣ و ٦٤.

أعلن إمامة الحسن والحسين «عليهما السلام». والإمام لا يكون إلا معصوماً في جميع أموره، وسائر أدوار حياته.

والترقيص: نوع من اللهو واللعب، ولا يمكن أن يلعب المعصوم، نبياً كان أو إماماً، كما تقدم في فصل: «لا يلعب المعصوم».

فمن لا يلهو ولا يلعب - كما تقول الرواية - هل يرقص؟! وهل يدعوه النبي المعصوم إلى الرقص؟!!

فلا معنى للتعبير بالترقيص، كما يقول الجزري، نعم يمكن للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يلاطف أطفاله، بصورة هادفة، وسليمة وقوية، ورصينة، ليس فيها عبث ولا هلو..

ونحن نعلم: أن الإمام علياً «عليه السلام» قد كذب معاوية في نسبته الدعابة إليه، فقال «عليه السلام»: عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابَةٍ، وَأَنِّي امْرُؤٌ تَلْعَابَةٌ، أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ الخ.. (١).

هذه معانٍ رديئة:

ثم إن المعاني التي ذكرت لكلمة: حزقه، وعين بقة ليست في أكثرها ذات

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ١ ص ١٤٧ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٦٩ وشرح مئة كلمة لأمر المؤمنين لابن ميثم ص ١٦٢ وبحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٥ وج ٣٣ ص ٢٢٣ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص ٤٥٥ والأُمالي للطوسي ص ١٣١ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٤١٥ والغارات للثقفني ج ٢ ص ٥١٤ والفايق للزنجشيري ج ٣ ص ٢٠٣ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ١٢٧ و ١٤٥ و ١٥١ والنهاية في غريب الحديث ج ١ ص ١٩٤ و ١٩٦ و ٢٥٢.

مدلول رضي، ولا مؤنس، بل هي مداليل تحمل معها معنى الانتقاص والإهانة. فقد قيل في معنى الحزقة: إنه الشحيح، والديميم، والضيق القدرة، والرأي، والسيء الخلق، والقصير الضخم البطن، والضعيف المتقارب الخطى لضعفه، أو القصير المتقارب الخطى.. كما أنه يشير إلى الخبر الناقص، الذي لا محصل له، أو يشير إلى الشد، والتضييق، أو إلى الضراط - ضراط الحمار - وما إلى ذلك. وقيل: المراد بالبقعة: فاطمة، كما تقدم.

والبقعة: هي البعوض، أو الدارج في حيطان البيوت، أو هي دويذة مثل القملة، حمراء، تنتن الرياح، تكون في السرر والجدر، وهي التي يقال لها: بنات الحصير، إذا قتلته شملت لها رائحة اللوز المر.

والبقعة: كثير الكلام، أخطأ أو أصاب، وقيل: هو كثير الكلام، مغلط.

وقالوا: عين بقعة كناية عن صغر العين، أو كناية عن صغر الجثة.

وهذا كله يشير إلى أن المراد أمران:

أحدهما: الانتقاص من شخصية الإمام الحسن والإمام الحسين أو أحدهما «عليهما السلام»، والتسبب بالتنفير والاشمئزاز، والقرف.

الثاني: الطعن في توازن وفي شخصية وفي عواطف الرسول الأعظم، فإنه «صلى الله عليه وآله» أشار بكلامه هذا إلى وجود معاني منفرة في الإمام، فلماذا أحبه، وكيف يدعو الناس إلى محبة من هذا حاله؟!!

كما أن انطباق هذه الصفات أو بعضها على الحسن «عليه السلام»، يسلب عنه معنى الإمامة الذي لا يكون في من يكون منظره منفراً، وموحشاً.

بل يكون مؤنساً، بريئاً من أي عيب ونقص، كما تقدم في بعض فصول هذا الكتاب..

فلماذا يخلط أبو هريرة لنا الصحيح بالسقيم، ويدس السم في الدسم، والباطل بالحق؟!!

رابعاً: هل صحيح أن المراد بالبقعة هي فاطمة الزهراء «عليها السلام»؟! وهل كانت «عليها السلام» ضئيلة الجسد، صغيرة الحجم، إلى حدٍّ يصحح إطلاق وصف البقعة عليها؟!!

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله»، يحب الإمام الحسن «عليه السلام» إلى هذا الحد، فلماذا لم يقل عنه: إنه قرّة عينه هو، أو قرّة عين علي «عليه السلام»؟!!

وما شأن فاطمة هنا حتى يوجه إليها أبوها هذه الإهانة؟! ليس ذلك لأجل استكمال الجهد الذي يبذل لتصغير شأنها، بسبب موقفها من الذين هاجموها، وضربوها، وأسقطوا جنينها، كرمى لعين الطامعين بالخلافة والسلطة؟!!

خامساً: هل تلك المعاني التي تضمنتها الكلمات المنسوبة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» هي التي يريد الله ورسوله منا: أن نثقف أولادنا بها؟! وأن نطبع إحياءاتها في نفوسهم؟! ونكرس الفشل والخيبة والإحباط، وسائر آثارها الهدامة لشخصيتهم.. نكرسها في عقولهم؟!!

وهل هذه هي اللغة التي يحب الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» أن نخاطب بها هؤلاء الصفوة، وأن تهيمن على أرواحهم ومشاعرهم «عليهم

السلام»، وتكون هي التي تؤنسهم، وتبعث البهجة في نفوسهم، بدلاً من الكلمة الطيبة والصافية، والرضية؟!

وختاماً نقول:

إننا لا نحتاج من أجل إثبات حب النبي «صلى الله عليه وآله» للحسن والحسين «عليهما السلام» إلى هذه الرواية ونظائرها مما يحمله لنا أبو هريرة وأضرابه، فلدينا الكثير الكثير مما يدل على ذلك..

هدية الأعرابي للحسن والحسين عليهما السلام:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: «روي في بعض الأخبار: أن أعرابياً أتى الرسول «صلى الله عليه وآله»، فقال له: يا رسول الله، لقد صدت خشفة غزالة، وأتيت بها إليك هدية لولدك الحسن والحسين، فقبلها النبي «صلى الله عليه وآله» ودعا له بالخير، فإذا الحسن «عليه السلام» واقف عند جده، فرغب إليها، فأعطاه إياها.

فما مضى ساعة إلا والحسين «عليه السلام» قد أقبل، فرأى الخشفة عند أخيه يلعب بها، فقال: يا أخي، من أين لك هذه الخشفة؟!

فقال الحسن «عليه السلام»: أعطانيها جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فسار الحسين «عليه السلام» مسرعاً إلى جده، فقال: يا جداه، أعطيت أخي خشفة يلعب بها، ولم تعطني مثلها.. وجعل يكرر القول على جده، وهو ساكت، لكنه يسلي خاطره، ويلطفه بشيء من الكلام، حتى أفضى أمر

الحسين «عليه السلام» إلى أن همَّ يبكي.

فبينما هو كذلك، إذ نحن بصياح قد ارتفع عند باب المسجد، فنظرنا فإذا ظبية ومعها خشفها، ومن خلفها ذئبة تسوقها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتضربها بأحد أطرافها، حتى أتت بها إلى النبي «صلى الله عليه وآله». ثم نطقت الغزاة بلسان فصيح، وقالت: يا رسول الله، قد كانت لي خشفتان: إحداهما صادها الصياد، وأتى بها إليك. وبقيت لي هذه الأخرى. وأنا بها مسرورة، وإني كنت الآن أضعها، فسمعت قائلاً يقول: أسرعي أسرعي يا غزاة، بخشفك إلى النبي محمد، وأوصله سريعاً، لأن الحسين واقف بين يدي جده، وقد هم أن يبكي، والملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العبادة، ولو بكى الحسين «عليه السلام» لبكت الملائكة المقربون لبكائه.

وسمعت أيضاً قائلاً يقول: أسرعي يا غزاة قبل جريان الدموع على خدِّ الحسين «عليه السلام»، فإن لم تفعلي سلطت عليك هذه الذئبة تأكلك مع خشفك.

فأتيت بخشفي إليك يا رسول الله، وقطعت مسافة بعيدة، ولكن طويت لي الأرض حتى أتيتك سريعة، وأنا أحمد الله ربي على أن جئتك قبل جريان دموع الحسين «عليه السلام» على خده.

فارتفع التهليل والتكبير من الأصحاب، ودعا النبي «صلى الله عليه وآله» للغزاة بالخير والبركة.

وأخذ الحسين «عليه السلام» الخشفة، وأتى بها إلى أمه الزهراء «عليها

السلام»، فَسَّرَتْ بذلك سروراً عظيماً^(١).

ونقول:

إدراك الحيوانات:

لا حاجة إلى التذكير بأن الإدراك لا ينحصر في الإنسان، والجن، والملك، بل للحيوانات، والحشرات، والطير أيضاً درجات من الإدراك، بل لسائر المخلوقات أيضاً من الشجر، والحجر، والجُمادات، والأرض والسموات مثل ذلك، ولها لغاتها، وحديثاتها، وكراماتها، وحقوقها، وطاعاتها، وما إلى ذلك، وقد خاطبها الله تعالى، وكَلَّفَهَا، وأمرها، ونهاها، ولها يوم القيامة شأن وحساب، وعقاب يناسب حالها، فيقتص للجماء من القرناء، ويعاقب من اعتدى عليها..

وحديث النملة وكذلك حديث الهدد، فيما يرتبط ببلقيس، وقومها، مع سليمان.. وسائر ما ذكرناه، قد سجَّله القرآن، أو نطقت به الأحاديث الشريفة في عشرات، بل في مئات النصوص..

بل تضمنت هذه الرواية طي الأرض للغزاة أيضاً، وقد أدركت هي ذلك، وأخبرت به النبي «صلى الله عليه وآله».

ونلاحظ أيضاً: أن الغزاة قد نطقت باللغة العربية، حسب الظاهر، ففهم الناس ذلك، وهللوا، وكَبَرُوا لما سمعوه منها..

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٣١٢ و ٣١٣ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٥٢٨ - ٥٣٠ والعوالم، الإمام الحسين ج ١٧ ص ٤١ و ٤٢ والمنتخب للطريحي ص ١٢٣.

وقد أشرنا إلى بعض من ذلك في كتابنا: حقوق الحيوان في الإسلام، وفي غيره من مؤلفاتنا..

المعصوم لا يلعب ولا يلهو:

وقد تحدثنا في كتابنا هذا في فصل مستقل عن أن المعصوم لا يلهو ولا يلعب، نبياً كان أو إماماً.. ولكن هذه الرواية تقول عن الإمام الحسين «عليه السلام»: «فرأى الخشفة عند أخيه يلعب بها».

ويقول الإمام الحسين «عليه السلام» أيضاً: «يا جداه، أعطيت أخي خشفة يلعب بها، ولم تعطني مثلها»؟! فكيف نفسر ذلك؟!

ونجيب:

بأن الأنبياء والأئمة «عليهم السلام» يتحدثون مع الناس باللغة التي يعرفها الناس، ويتعاملون بها، ويتحاشون الكلام بطريقة تؤدي إلى غلو الناس فيهم، فإذا كان الناس يصفون تصرفات صغار السن باللعب، لأنهم يظنون أن كل طفل صغير، يمارس حركاته من دون هدف، ولا يفرقون بين حركات المعصوم وغيره.. فإن الأئمة والأنبياء أيضاً يستعملون نفس هذه الكلمة، ولكنهم يؤسسون لتصحيح هذه النظرة لدى الناس بالتصريحات، أو بالممارسات التي تعرفهم: أن للقاعدة التي يعتمدونها استثناءات، فيقولون لهم: إن المعصوم لا يلهو ولا يلعب، أو إن المعصوم نفسه حين يكون في مرحلة الطفولة، يثبت لهم بأقواله وأفعاله: أن له مقاصد نبيلة وجميلة من كل تصرف يصدر منه، وكل حركة يمارسها.

وقد تقدم في فصل: «لا يلعب المعصوم» بعض المفردات والشواهد التي

تدخل في هذا السياق، فلا نعيد..

أمور تحتاج إلى تأمل:

لكن الرواية المتقدمة تحتاج إلى المزيد من التدقيق والتحقيق، للإجابة على العديد من الأسئلة، فلاحظ ما يلي:

ألف: يلاحظ: أن الأعرابي قد ذكر للنبي «صلى الله عليه وآله»: أن الخشفة التي جاء بها أراد أن تكون للحسن والحسين «عليهما السلام»، فكيف سلمها النبي «صلى الله عليه وآله» للحسن «عليه السلام».

ب: يلاحظ: أنه حين جاء الحسين «عليه السلام»، وطالب بمساواته بأخيه، لماذا لم يخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه شريك لأخيه بتلك الخشفة، واكتفى بملاطفته بالكلام، بالرغم من أن البعض ظن أن الإمام الحسين «عليه السلام» همّ أن يبكي.

ج: هل المطلوب: هو إظهار قسوة النبي حتى على أطفاله الصغار؟! فكيف يمكن أن تكون معاملته للغرباء الكبار، أو أن المطلوب هو إظهار مدى ولع الإمام الحسين «عليه السلام» باللعب؟! لكي توضع علامة استفهام على إمامته؟!!

وقد يجاب عن ذلك كله: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يطلعه الله تعالى على غيبه كان يشارك في التمهيد لصنع الكرامة للإمام الحسين «عليه السلام»، وكذلك الإمام الحسين «عليه السلام» نفسه كان بكلامه هذا يشارك في ذلك.. فإن المطلوب للنبي «صلى الله عليه وآله» هو استدراج إلحاح الإمام الحسين «عليه السلام» بطلب الخشفة، لكي تأتي المفاجأة بالكرامة

الكبرى بمجيء الغزاة مع خشفها الآخر، يسوقها ذئب، ثم تتكلم الغزاة بلسان فصيح، وتخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما فيه كرامة عظيمة للإمام الحسين «عليه السلام»، من سماع تلك الغزاة للنداء، ومضمونه، بالإضافة إلى ما ذكرته من طي الأرض لها.

ولا بد أن نضيف هنا: أن مشاركة الغزاة والذئب في صنع هذه المعجزة، والكرامة، يشير إلى أن لهذه المخلوقات شأنًا حتى في هداية البشر، وفي تأكيد الحقائق الإيمانية، وترسيخها في وجدان الناس..

الكرامات:

ولا بأس بالإشارة هنا إلى أن الكرامات التي يظهرها الله تعالى للأنبياء، والأئمة، والأولياء لها فوائد كثيرة، نذكر منها هنا ما يلي:

- ١ - إنها تكريم وتعظيم لمن تكون الكرامة من أجله، أو بسببه..
- ٢ - إنها ثقافة ووعي لواقع بالغ الأهمية، وشديد الصلة بالأهداف الربانية، من حيث إنه تعالى يريد أن يترقى بمخلوقاته من حضيض التعامل مع المحسوسات، وما هو قريب من الحس ليصل بهم إلى درجات أعلى، وأعلى، وأسمى، وأنمى، وأبقى.. حيث يعطيهم القدرة على التصرف بالمخلوقات، من خلال وسائل علمية، صحيحة، وبالغة التأثير.. كما أشير إليه في قوله تعالى عن آصف بن برخيا، بخصوص عرش بلقيس: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(١).

(١) الآية ٤٠ من سورة النمل.

٣ - كما أنه يريد من المؤمن: أن تطوى له الأرض، وأن يشفي المرضى بلمسة، أو بدعاء، وأن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين، وأن يأتيه رزقه، ولو لم يطلبه، كما جرى لمريم بنت عمران، وما إلى ذلك.

٤ - إن هذه الكرامات تعمق العلاقة بين الناس، وبين ذوي الكرامة، وترسخ إيمانهم، وتضاعف يقينهم.

٥ - هي وسيلة هداية للناس، تمنحهم السكينة، والطمأنينة، والشعور بالثقة بالنفس، ومن موجبات الثبات على الحق.

٦ - هي ألطاف إلهية بالبشر، وهي جزء من حياة الأنبياء، والأئمة والصالحين «صلوات الله عليهم أجمعين».. ويريد الله تعالى أن تصبح من ركائز ومظاهر الحياة للمؤمنين، وللبشر أجمعين.. فلا يبقى مجال للإنكار، بل لا بد من التفكير والاتعاظ والاعتبار.

الفصل السادس :

الحسنان ﷺ في آية التطهير..

الحسن في آية التطهير وحديث الكساء:

قالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله»: جمع علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين «عليهم السلام» معه تحت كساء خيبري فدكي، في حجرة أم سلمة وفي يومها، فقال:

اللهم هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

فقالت أم سلمة: أدخل معهم يا رسول الله؟!

قال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يرحمك الله، أنت على خير، وإلى خير، وما أرضاني عنك، ولكنها خاصة لي ولهم.

وفي نص آخر: قالت: يا رسول الله، هل أنا من أهل بيتك؟!

فقال: لا، ولكنك إلى خير، أو نحو ذلك.

ثم مكث رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك بقية عمره، حتى قبضه الله إليه، يأتينا في كل يوم عند طلوع الفجر، فيقول: الصلاة يرحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

الحديث^(١). والمصادر التي في الهامش تضمنت تفاصيل وخصوصيات كثيرة

(١) بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٣٨ وراجع هذه الأحاديث الكثيرة جداً على اختلاف ألفاظها في المصادر التالية: جامع البيان ج ٢٢ ص ٥ و ٧ والدر المنثور ج ٥ ص ١٩٨ و ١٩٩ عنه، وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والخطيب، والترمذي، والحاكم، وصحاحه، والبيهقي في سننه، وابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وفتح القدير ج ٤ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ وجوامع الجامع ص ٣٧٢ والتسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٣٧ وتأويل الآيات الظاهرة ج ٢ ص ٤٥٧ - ٤٥٩ والطرائف ص ١٢٢ - ١٣٠ والمناقب لابن المغازلي ص ٣٠١ - ٣٠٧ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ١١ - ٩٢ ومسند الطيالسي ص ٢٧٤ والعمدة لابن بطريق ص ٣١ - ٤٦ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٩١ وج ٩ ص ١٢١ و ١١٩ و ١٤٦ و ١٦٧ - ١٦٩ و ١٧٢ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٩ وج ٢ ص ٩ و ١٢ و ٢٠ وج ٣ ص ٤١٣ وج ٥ ص ٦٦ و ١٧٤ و ٥٢١ و ٥٨٩ وآية التطهير في أحاديث الفريقين، المجلد الأول كله .. وأسباب النزول ص ٢٠٣ ومجمع البيان ج ٩ ص ١٣٨ وج ٨ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٠٦ - ٢٢٣ وج ٤٥ ص ١٩٩ وج ٣٧ ص ٣٥ و ٣٦ ونهج الحق ص ١٧٣ - ١٧٥ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٨٢ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٠ وسعد السعود ص ٢٠٤ و ١٠٦ و ١٠٧ وذخائر العقبى ص ٢١ - ٢٥ و ٨٧ وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ص ٤٠٥ والإيضاح لابن شاذان ص ١٧٠ ومسند أحمد ج ٤ ص ١٠٧ وج ٣ ص ٢٥٩ و ٢٨٥ وج ٦ ص ٢٩٢ و ٢٩٨ و ٣٠٤ وج ١ ص ٣٣١ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٨٣ - ٤٨٦ وكفاية الطالب ص ٥٤ و ٢٤٢ و ٣٧١ و ٣٧٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٨٤ و ١٨٣ والمعجم الصغير ج ١ ص ٦٥ و ١٣٥ والجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٦٣ و ٦٩٩ و ٣٥١ و ٣٥٢ وخصائص الإمام علي للنسائي ص ٤٩ و ٦٣ والمستدرک علی

الصحيحين ج ٢ ص ٤١٦ وج ٣ ص ١٧٢ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٥٨ و ١٣٣ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه)، وتفسير القمي ج ٢ ص ١٩٣ والبيان ج ٨ ص ٣٠٧ - ٣٠٩ والتفسير الحديث ج ٨ ص ٢٦١ و ٢٦٢ ومختصر تاريخ دمشق ج ٧ ص ١٣ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣٠٩ - ٣٢٥ وتفسير فرات ص ٣٣٢ - ٣٤٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٤٥٠ وراجع: نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٢ ومنتخب ذيل المذيل للطبري ص ٨٣ وحبيب السير ج ١ ص ٤٠٧ وج ٢ ص ١١ والشفاء لعياض ج ٢ ص ٤٨ وسير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٣٤٦ و ٣٤٧ وج ٣ ص ٢٧٠ و ٣١٥ و ٣٨٥ و ٢٥٤ والغدير ج ١ ص ٥٠ وج ٣ ص ١٩٦ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٩ ص ١ - ٦٩ وج ٣ ص ٥١٣ - ٥٣١ وج ٢ ص ٥٠٢ - ٥٧٣ وج ١٤ ص ٤٠ - ١٠٥ وج ١٨ ص ٣٥٩ - ٣٨٣ عن مصادر كثيرة جداً، وسليم بن قيس ص ١٠٥ و ٥٢ و ٥٣ وراجع ص ١٠٠ ونزل الأبرار ص ١٠٢ - ١٠٤ و ١٠٨ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٤٦ ونوادر الأصول ص ٦٩ و ٢٦٥ والصراط المستقيم ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٨ وقال في جملة ما قال: «أسند نزولها فيهم صاحب كتاب الآيات المنتزعة. وقد وقفه المستنصر بمدرسته، وشرط أن لا يخرج من خزانته. وهو بخط ابن البواب. وفيه سماع لعلي بن هلال الكاتب. وخطه لا يمكن أحد أن يزوره عليه» ومراقبة الوصول ص ١٠٥ - ١٠٧ وذكر أخبار أصبهان ج ٢ ص ٢٥٣ وج ١ ص ١٠٨ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٧ والرياض النضرة ج ٣ ص ١٥٢ و ١٥٣ ونهج الحق (مطبوع ضمن إحقاق الحق) ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٦٣ ومصابيح السنة ج ٤ ص ١٨٣ والكشاف ج ١ ص ٣٦٩ والإتقان ج ٢ ص ١٩٩ و ٢٠٠ وتذكرة الخواص ص ٢٣٣ وأحكام القرآن لابن عربي ج ٣ ص ١٥٣٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٧ و ٨ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ وج ٤ ص ٣٧٨ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر (بتحقيق المحموي) ص ٦٣ - ٧٠ والصواعق المحرقة ص ١٤١ - ١٤٣ و ١٣٧ ومتشابه القرآن

ومختلفه ج ٢ ص ٥٢ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٧٠ - ٢٧٧ وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) ص ١٠٦ و ١٠٧ ونور الأبصار ص ١١٠ - ١١٢ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٤٣ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٤٦ وج ٣ ص ٣٧ وفرائد السمطين ج ١ ص ٣١٦ و ٣٦٨ وج ٢ ص ١٠ و ١٩ و ٢٢ - ٢٣ وينايع المودة ص ١٠٧ و ١٦٧ و ١٠٨ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٦٠ و ١٥ و ٨ و ١٧٤ و ٢٩٤ و ١٩٣ والعقد الفريد ج ٤ ص ٣١٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦١ - ٦٢ وراجع: التاريخ الكبير للبخاري ج ١ قسم ٢ ص ٦٩ - ٧٠ و ١١٠ وراجع ص ١٩٧ وكتاب الكنى للبخاري ص ٢٥ - ٢٦ ونظم درر السمطين ص ١٣٣ و ٢٣٨ و ٢٣٩ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٤ ص ٢٠٧ - ٢٠٩ والنهاية في اللغة ج ١ ص ٤٤٦ ولباب التأويل ج ٣ ص ٤٦٦ والكلمة الغراء «مطبوع مع الفصول المهمة» ص ٢٠٣ و ٢١٧ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ١٠٤ و ١٠٦ وترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ص ٦٠ - ٧٦ والمعتصر من المختصر ج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٦٧ وراجع أيضاً: المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٢٢ والمحاسن والمساوي ج ١ ص ٤٨١ ونفحات اللاهوت ص ٨٤ و ٨٥ وتيسير الوصول ج ٢ ص ١٦١ والكافي ج ١ ص ٢٨٧ ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج ٥ ص ٩٦ عن ابن أبي شيبه، وكنز العمال (ط الهند) ج ١٦ ص ٢٥٧ والإتحاف ص ١٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ص ٤٤ وأحكام القرآن للجصاص ج ٥ ص ٢٣٠ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٧٨ وج ٩ ص ٢٦ - ٢٧ والمناقب للخوارزمي ص ٢٣ و ٢٢٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣٠٠ ومشكل الآثار ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٩ والسنن الكبرى ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٢ وج ٧ ص ٦٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢١ وج ٨ ص ٣٥ و ٢٠٥ ومنهاج السنة ج ٣ ص ٤ وج ٤

لا مجال للتعرض لها في كتابنا هذا.

ونقول:

متى حصل ذلك؟!

١ - اختلفوا في تحديد وقت حصول هذا الأمر.. فقليل حصل قبل شهر من وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو قبل أربعين يوماً، أو قبل سبعة، أو ثمانية، أو تسعة، أو عشرة أشهر.. أو سبعة عشر، أو تسعة عشر شهراً.. أو غير ذلك.. ثم بقي رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى آخر عمره، يأتي كل يوم عند الفجر، ويدق عليهم الباب (دقاً شديداً) ويظهر من ملاحظة النصوص أن حديث الكساء قد حدث عدة مرات، فربما بهدف التأكيد على مضمونه، والسعي لإشاعته ونشره.

٢ - كما أن تكرار مجيئه «صلى الله عليه وآله» إلى آخر حياته، وقت صلاة الفجر، ودقه الشديد على باب بيتهم، وتلاوة الآية ربما كان يهدف إلى أن يؤكد للأجيال نزول هذه الآية في هؤلاء الخمسة، فلا يتمكن أصحاب الأهواء من الدس، والتحريف، أو التشكيك في هذا الأمر.

كما أن هذه الممارسة تهدف إلى تحديد معنى الآية، وأن المراد بالبيت هو بيت النبوة، لا بيت السكنى.

٣ - ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد جمع أصحاب الكساء، ونزلت آية التطهير، وصار يتردد على باب بيتهم حين طلوع الفجر، ويقرأ

الآية في وقت كانت الوفود تتوالى عليه لتعلن إسلامها في سنة تسع وعشر.. وكان الكثير منهم ينزل في المسجد، الذي كان بيت النبي «صلى الله عليه وآله» وبيت علي «عليه السلام» فيه، فكان ذلك من أسباب شيوع هذا الحديث في مختلف البلاد والعباد في العالم الإسلامي، لأن الوفود كانت حين تعود إلى بلادها تحدث الناس بما رأَت وما سمعت من النبي «صلى الله عليه وآله»..

الاحتجاجات بآية التطهير:

والمراجع لكتب الحديث والتاريخ يجد أن أهل البيت «عليهم السلام»، وشيعتهم رضوان الله تعالى عليهم قد أكثروا من الاستدلال، والاستشهاد بآية التطهير على حقهم، ومقامهم في المناسبات المختلفة، وقد احتج بها علي «عليه السلام» في يوم الشورى.. ثم استدل بها في مسجد المدينة في خلافة عثمان.. وستأتي الرواية في ذلك.

ونذكر هنا مورداً واحداً، من هذه الموارد، فقد روى حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله «عليه السلام» في حديث قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأبي بكر: يا أبا بكر تقرأ الكتاب؟! قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

في من نزلت؟! فينا؟! أم في غيرنا؟!
قال أبو بكر: بل فيكم^(١).

وكانه «عليه السلام» يريد إثبات:

أولاً: أن ما يخالفون فيه ما يقوله، أو يرضاه أهل الكساء ليس فيه طهارة، ولا يمكن أن يوصف بالصحة، ولا يتخذ صفة المشروعية، لأن أهل الكساء مطهرون لا يفعلون غير ما يرضي الله، فكل ما لا يرضونه يكون رجساً لا يرضاه الله لعباده المطهرين.

ثانياً: إن هذا يدل على أن المطهرين معصومون.

ثالثاً: إنه يوحى: بأن غيرهم قد ارتكب ما لا يرضاه بصورة حتمية وبقينية.

وأن يكون أبو بكر قد اعترف على نفسه وغيره - ما عدا أهل البيت -: أنهم يعصون الله تبارك وتعالى.

ما المراد بالبيت؟!

ويواجهنا هنا سؤال عن المراد بالبيت الذي طهر الله تعالى أهله، هو: بيت السكنى، أو العائلة والقبيلة، كالبيت الهاشمي، والبيت الأموي، ونحو ذلك.

(١) البرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣١٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٦ و ٢٧٤ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ١٨٧ وغاية المرام ج ٣ ص ١٩٩ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٢٩ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٢٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٥ ص ١١٧.

أو بيت النبوة، كما قال الإمام الحسين «عليه السلام»، عن بيعة يزيد: «إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم»^(١).

ويجاب:

أولاً: لو صح قولهم: المراد بالبيت القرابة والعشيرة فلا معنى لتخصيص الآية بالخمسة أصحاب الكساء.. بل كانت قد شملت العباس، وابناءه، وغيرهم من بني هاشم.

ثانياً: إن الواقع العملي يؤكد: أن المقصود بالبيت ليس هو العشيرة، لأن سائر بني هاشم، ما عدا أصحاب الكساء كانوا يخطئون، ويذنبون..

ثالثاً: لا معنى لإدخال الزوجات في آية التطهير، لأنهن لسن من الأهل والأقارب.

رابعاً: لو كان المراد بالبيت في الآية: بيت السكنى، وكان ذلك في بيت أم سلمة، لكانت الآية المباركة مختصة بالنبي وحده، ولم تشمل علياً وزوجته وابنيه «عليهم السلام».. لأن بيت أم سلمة هو بيت النبي «صلى الله عليه وآله»، ولعلي بيت آخر يسكن فيه مع زوجته وولديه، فبيت هؤلاء لا يكون

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٥ والعوالم، الإمام الحسين ص ١٧٤ ومثير الأحزان لابن نما الحلي ص ١٤ ولواعج الأشجان ص ٢٥ واللهوف في قتلى الطفوف ص ١٧ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج ١ ص ١٢٠ وج ٢ ص ٢٠٩ و ٢٥٥ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص ١٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٦١٥ و ٦٧٤.

مشمولاً للآية النازلة، لأن أربعة من أصل خمسة من أهل الكساء لم يكونوا من أهل البيت الذي نزلت الآية فيه..

ويشير إلى هذا المعنى: حديث أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسد الأبواب الشارعة في المسجد، إلا باب علي «عليه السلام»، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

خامساً: يظهر: أن المراد بالبيت: هو بيت النبوة الذي قال عنه الإمام الحسين «عليه السلام»: «إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا نختم».

وأهل بيت النبوة هم الصفوة الخالصة، التي تحمل هموم النبوة، وتسعى إلى تحقيق أهدافها، وتمارس أعظم الجهاد، وتقدم أغلى التضحيات في سبيل ذلك.

وهم أفضل الخلق علماً وعملاً، وهم المطهرون المكرمون المعصومون بمقتضى آية التطهير وهم المؤمنون المفلحون والصالحون.. كما وأشار إليه قوله تعالى لنوح «عليه السلام» عن ابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(١).
فدلنا على أن الصلاح هو الذي يجعل الإنسان من أهل النبي، أو من أهل بيت النبوة، ومن هذا المنطلق نفهم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: سلمان منا أهل البيت.

وعن الإمام الرضا «عليه السلام»: «من كان منا لم يطع الله عز وجل،

(١) الآية ٤٦ من سورة هود.

فليس منا»^(١).

نساء النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته:

وقد يقول قائل: إن آية التطهير تشمل زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً، فما يثبت لأهل البيت يثبت لهم أيضاً:
 أولاً: لأنهم من أهل النبي «صلى الله عليه وآله».
 ثانياً: لأن الآية نزلت في بيوتهم التي كن ساكنات فيها..
 ثالثاً: لأن آية التطهير جزء من آية من جملة آيات، كلها توجه الخطاب إليهن.

ونجيب:

أولاً: لقد بين النبي «صلى الله عليه وآله» حين نزول آية التطهير: بأن الزوجات لسن داخلات في معناها، وقد قال «صلى الله عليه وآله» ذلك لأم سلمة، ولعائشة، وزينب بنت جحش - كما ورد في الروايات في المصادر المختلفة.
 فهناك نصوص تقول: حين دعا النبي «صلى الله عليه وآله» الله أن يطهر أهل بيته الذين وضعهم تحت كساء خيبري فدكي، أرادت أم سلمة أن تدخل معهم تحت ذلك الكساء، فمنعها النبي «صلى الله عليه وآله» وجذب طرف الكساء من يدها، وقال: مكانك^(٢). أي الزمي مكانك.

(١) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢٣٢ وبحار الأنوار ج ٤٩ ص ٢١٨.

(٢) جامع البيان ج ٢٢ ص ٧ والدر المنثور ج ٥ ص ١٩٨ عن ابن مردويه، والخطيب، وأسد الغابة ج ٢ ص ١٢ والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٣٥١ و ٦٦٣ والتفسير

أو قال لها: إنك من صالحات أزواجي، ولا يدخل هذا المكان، إلا من هو مني^(١).

ونلاحظ: أن قوله «صلى الله عليه وآله»: إنك من صالحات أزواجي، يشير إلى أن من بين أزواجه من ليست كذلك.. كما دلت عليه أفعال بعضهن في حياته وبعد موته.

وفي نص آخر: إنك من خير أزواجي^(٢).

وفي نص آخر: أنه منع عائشة من الدخول، وقال: تنحي^(٣).

الحديث ج ٨ ص ٢٦١ عن التاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٠٨ و ٣٠٩ ونزل الأبرار ص ١٠٣ و ١٠٤ و ينابيع المودة ص ٢٣٠ و ١٠٧ وشواهد التنزيل للحسكاني ج ٢ ص ٧٠ و ٦٩ وفيها: اجلسي مكانك، فإنك على خير، والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٨٤ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٢٣ و ٢٢٧ ومختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٥١ ودلائل الصدق ج ٤ ص ٣٦٨ ذخائر العقبى ص ٢١ وترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ص ٦٤ و ينابيع المودة ص ٢٢٨ و ١٠٧ عن الدولابي، والترمذي، وفيه: قفي مكانك الخ.. والذرية الطاهرة النبوية ص ١٥٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٤٤ وج ٢٤ ص ٤١.

(١) تفسير فرات الكوفي ص ٣٣٥ وراجع ص ٣٣٧ فثمة حديث آخر، فيه تفصيلات أخرى، ونقله في بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢١٥ مكتفياً بالفقرة الأولى.. وراجع: شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٣٨.

(٢) إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢ ص ٥٦٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٨٥ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٧ و ٣٨ و ٣٩. وفيه: ولم يدخلني معهم. وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٦٨ والصراط المستقيم ج ١ ص ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٥ وكفاية الطالب ص ٣٢٣ والتفسير الحديث ج ٨ ص ٢٦٢

ونص آخر يقول: إنه منع زينب بنت جحش، قائلاً لها: مكانك^(١).
ولعل السبب في هذا التعدد هو تعدد حصول الواقعة، وقد يشهد لذلك:
الاختلاف في تواريخ حصولها - كما تقدم - والأشخاص الذين تعامل معهم.
وحديث الكساء متواتر بلا ريب، بل لقد قال بعضهم: «إنه روي بأسانيد
عن الثلاث مئة صحابي»^(٢).

ثانياً: نضيف إلى ما تقدم:

١ - إنه «صلى الله عليه وآله» - كما في بعض نصوص هذا الحديث
الشريف - لما قالت له أم سلمة: يا رسول الله، هل أنا من أهل بيتك؟!
قال: لا، ولكنك إلى خير^(٣).

٢ - يفهم هذا النفي من الرواية التي تقول: إن أم سلمة قالت له: ألسنت
من أهلك؟!

عن الطبري، وابن كثير، والعمدة لابن البطريق ص ٤٠ ومجمع البيان (تفسير)
ج ٨ ص ٣٥٧ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٢٢ عنه.

(١) بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ والطرائف ص ١٢٨ وفرائد السمطين ج ٢
ص ١٩ ونور الثقلين (تفسير) ج ٤ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٠
ص ٣٨٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٨٥ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٢
والصراط المستقيم ج ١ ص ١٨٧ والعمدة لابن البطريق ص ٤٠ وأشار إليه في
نفحات اللاهوت ص ٨٤ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٩ ص ٥٢.

(٢) ينابيع المودة ص ٢٦٠.

(٣) التبيان ج ٨ ص ٣٠٨ و (نشر مكتب الإعلام الإسلامي) ج ٨ ص ٣٣٩ ومتشابه
القرآن ومختلفه ج ٢ ص ٥٢ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٣١.

فقال: إنك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي^(١).

٣- أو قالت: أنا من أهل البيت؟!

قال: إنك من أهلي خير. وهؤلاء أهل بيتي. وأهل بيتي أحق^(٢).

٤- أو قالت: أدخلني معهم.

قال: إنك من أهلي^(٣).

وكأنه يريد أن يقول لها: إنك لست من أهل البيت، وإنما أنت من أهلي، كما دل عليه النص السابق.

٥- أو قالت: أدخلني معك في الكساء.

فقال لها: يا أم سلمة أنت بخير وإلى خير، وإنما نزلت هذه الآية فيّ وفي هؤلاء^(٤).

٦- وفي نص آخر، قالت: وأنا من أهل بيتك؟! وجئت لأدخل معهم.

فقال: كوني مكانك يا أم سلمة، إنك إلى خير، أنت من أزواج نبي الله^(٥).

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٨٧ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢

ص ٣٣٠ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢١١ وتفسير العياشي ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٤١٦ وتلخيصه للذهبي بهامشه.

(٣) جامع البيان ج ٢٢ ص ٧.

(٤) كتاب سليم بن قيس ص ٥٣.

(٥) أمالي الطوسي ج ١ ص ٣٧٨ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٠٨ وإحقاق الحق

(الملحقات) ج ٢ ص ٥٦٨ وراجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٨ عن ابن مردويه،

٧- وفي بعض النصوص: قالت يا رسول، أدخلني معهم.

قال: يا أم سلمة، إنك من صالحات أزواجي، ولا يدخل هذا المكان إلا مني^(١).

ثالثاً: إن زيد بن أرقم قد نفى مقولة كون الزوجات من أهل البيت، فقد قيل له: أليس نساؤه من أهل بيته؟!.

فقال: نساؤه من أهل بيته!! لكن أهل بيته من حُرِّم الصدقة بعده..^(٢).

ومشكل الآثار ج ١ ص ٣٣٤ وحياة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ص ٧٠ وجامع البيان ج ٢٢ ص ٧ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٥٥ - ٦٠ و ٧١ والعمدة لابن بطريق ص ٤٤ ولباب التأويل ج ٣ ص ٤٦٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٨٥ ونزل الأبرار ص ٣ وتيسير الوصول ج ٢ ص ١٦١ ونفحات اللاهوت ص ٨٤ ومرواة الوصول ص ١٠٦ وبحار الأنوار ج ٣ ص ٢١٧ و ٢٢٨ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٠٣ وج ٢ ص ٣٣٨ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٤٥٩.

(١) تفسير فرات الكوفي ص ٣٣٥ وراجع ص ٣٣٧ فثمة حديث آخر، فيه تفصيلات أخرى، ونقله في بحار الأنوار ج ٣ ص ٢١٥ مكتفياً بالفقرة الأولى. وراجع: شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٣٨.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٩ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٠ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٨٦ وفتح القدير ج ٤ ص ٢٨٠ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٤١ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ١٢٢ والتفسير الحديث ج ٨ ص ٢٦١ والبرهان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٣٢٤ والصواعق المحرقة ص ٢٢٦ وراجع ص ٢٢٧ و ٢٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ١٤٨ وتهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٣٤٧ وكتاب سليم بن قيس ص ١٠٤ ونور الأبصار ص ١١٠ وإسعاف

وفي نص آخر: أن زيدا قال: لا، وأيم الله، إن المرأة لتكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها.

أهل بيته: أصله، وعصبته الذين حرّموا الصدقة بعده^(١).

فزيد ينكر أن يكون نساء النبي «صلى الله عليه وآله» من أهل بيته، ويعيد كلمة: «نساؤه من أهل بيته» على سبيل الإنكار والتعجب.

وهذا يعني: أنه ينفي كون نساؤه «صلى الله عليه وآله» من أهل بيته، بالاستدراك الذي أورده بكلمة «لكن»، ثم يدّعي: أن أهل بيته هم أقرباؤه وعشيرته الذين حرّموا من الصدقة بعده..

الراغبين ص ١٠٨ والإتحاف بحب الأشراف ص ٢٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣٠٠ وراجع: بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٢٩ وكفاية الطالب ص ٥٣ (وليس فيه عبارة: نساؤه من أهل بيته؟!) عن مسلم، وأبي داود، وابن ماجه. وفي هامشه عن: مسند أحمد ج ٤ ص ٣٣٦ وعن كنز العمال ج ١ ص ٤٥ وعن مشكل الآثار ج ٤ ص ٣٦٨ وعن أسد الغابة ج ٢ ص ١٢ وعن المستدرک علی الصحيحين ج ٣ ص ١٠٩.

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٣ والصراط المستقيم ج ١ ص ١٨٥ وتيسير الوصول ج ٢ ص ١٦١ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣٢٤ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٨٦ والطرائف ص ١٢٢ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٣٠ وج ٢٣ ص ١١٧ والعمدة لابن البطريق ص ٣٥ والتفسير الحديث ج ٨ ص ٢٦١ عن التاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٣٠٨ و ٣٠٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٢ ص ٦٤ عن دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب ص ٢٢٧ - ٢٣١ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٩ ص ٣٢٣ عن الجمع بين الصحيحين، والصواعق المحرقة ص ١٤٨ ونقل أيضاً عن جامع الأصول ج ١٠ ص ١٠٣.

والمراد بالصدقة: الزكاة، فإنها تحرم على بني هاشم.

ومن الواضح: أنه لا وجه لتقييد زيد بتحريم الصدقة على بني هاشم بما بعد موت الرسول «صلى الله عليه وآله»، فإنها حرام عليهم في حياته، وبعد مماته. كما أن ما زعمه زيد، من أن آية التطهير تشمل جميع بني هاشم غير صحيح.. بل هي خاصة بأهل بيت النبوة، وهم أصحاب الكساء، لا أهل بيت النبي، ليشمل جميع بني هاشم.

على أن من المعلوم: أنه لا يقال لجميع عشيرة الرجل: إنهم أهل بيته.. ويشهد لذلك: أن الجميع يسلم: بأن أصحاب الكساء هم أهل البيت، لكن هناك من أضاف إليهم أزواجه «صلى الله عليه وآله».. ولعل زيدا أراد أن يستدل على بطلان هذه الإضافة، لأن الصدقة تحرم على أهل البيت، ولا تحرم الصدقة على الزوجات.

ويؤكد هذا المعنى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأم سلمة «رحمها الله»: «إنما نزلت هذه الآية فيّ وفي هؤلاء»^(١).

وتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لأم سلمة: «لا يدخل هذا المكان إلا مني».. والذين هم من رسول الله هم فاطمة وذريتها «عليهم السلام». وليس العباس وأبنائوه، وسائر بني هاشم منه «صلى الله عليه وآله»، مع أنهم قد حرموا الصدقة من بعده أيضاً.

ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» أدخل علياً «عليه السلام» تحت

(١) كتاب سليم بن قيس ص ٥٣.

الكساء، مع أنه ابن عمه.. ومن المعلوم: أن العباس عم النبي «صلى الله عليه وآله»، فكيف ترك العم وأبناءه، وجاء بابن عمه الآخر، كما أن عقيلاً أيضاً كان ابن عمه «صلى الله عليه وآله»، ولم تشمله الآية المباركة.

وفي كتب اللغة دلالات على أن كلمة «أهل البيت» لا تطلق على الزوجة. كما أن كلمة «أهل الرجل» إنما تطلق على الزوجة مجازاً^(١)، أو أنها تكون جملة لا تدل على الزوجة إلا مع القرينة^(٢).

حديث الكساء لا يخالف القرآن:

ادّعى البعض: أن قصر الآية المباركة على علي وفاطمة، والحسن والحسين «عليهم السلام» يخالف نص القرآن^(٣).

وأوضح ذلك، إسماعيل حقي بقوله عن حديث الكساء: لو فرضت دلالة على عدم كون النساء من «أهل البيت»، «لما اعتدّ بها؛ لكونها في مقابلة النص»^(٤).

ونقول:

أولاً: تقدم قول الزبيدي - في تاج العروس -: إن استعمال كلمة الأهل في الزوجة مجاز..

(١) تاج العروس ج ١ ص ٢١٧ ومفردات الراغب ص ٢٩.

(٢) لسان العرب ج ١١ ص ٣٨.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ج ٤ ص ٢٠٨.

(٤) روح البيان ج ١ ص ١٧١.

وقول ابن منظور في تفسير المراد من آل البيت: إن إرادة الزوجة تحتاج إلى قرينة، ونحو ذلك عند الراغب الأصفهاني، والقرينة مفقودة كما سنرى.

ثانياً: يجب عرض الحديث على القرآن.. وليس لأحد حق أن يقدم السنة على القرآن، بزعم: أنها قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السنة^(١).

ولا يصح قول الخطابي، ويحيى بن معين عن الحديث الذي يوجب عرض الحديث على القرآن: «هذا حديث وضعته الزنادقة»^(٢).

وأضاف عبد الرحمان بن مهدي: «الخوارج» إلى الزنادقة أيضاً^(٣).

وقال ابن عبد البر: «كما قال أهل الزيغ»^(٤).

(١) راجع: تأويل مختلف الحديث ص ١٩٩ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١٨٦ والكفاية في علم الرواية ص ١٤ و (ط دار الكتاب العربي) ص ٣٠ و جامع بيان العلم وفضله ج ٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ١٩١ و الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٣٨ و ٣٩ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٣٥ و سنن الدارمي ج ١ ص ١٤٥ ومقالات الاسلاميين ج ٢ ص ٣٢٤ وج ١ ص ٢٥١ وعون المعبود ج ١٢ ص ٣٥٦ وميزان الاعتدال ج ١ ص ١٠٧ ولسان الميزان ج ١ ص ١٩٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ١ ص ٢٦ وراجع: المعتصر من المختصر من مشكل الآثار ج ٢ ص ٢٥١ ونهاية السؤل للأسنوي ج ٢ ص ٥٧٩ و ٥٨٠ وبحوث مع أهل السنة والسلفية ص ٦٧ و ٦٨ عن بعض ما تقدم.

(٢) الخلاصة في أصول الحديث للطبي ص ٨٥ وراجع: إرشاد الفحول ص ٣٣ وسلم الوصول (مطبوع مع نهاية السؤل) ج ٣ ص ٢٧٤.

(٣) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٣٣.

(٤) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٣٣ وإرشاد الفحول ص ٣٣ وراجع هذا النص وغيره،

وقد ناقشنا كلماتهم واستدلالاتهم حول هذا الموضوع في الجزء الأول من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ص ٢٩١ - ٣٠٣ فراجع.

ثالثاً: إن آية التطهير لا تخاطب نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، لأن آيات سورة الأحزاب هي التالية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

ثم قال له - بتقدير: قل لأزواجك - ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ إلى آخر الآية والتي بعدها، إلى قوله: ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

ثم قال له - بتقدير: قل هن -: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾، ثم فرّع على ذلك قوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ

وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى

وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ

وَأَتَيْنَ الزَّكَاةَ

وَأَطِيعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿١٠﴾.

ثم غيّر مجرى الخطاب، والتفت إلى أهل البيت «عليهم السلام»، ليقول لهم: إنما أصدرت هذه الأوامر، والزواج للزوجات صيانة لكم أنتم، وحفظاً لقداستكم، لأنكم أهل بيت النبوة، ولإذهاب الرجس عنكم..

والسبب في ذلك: أن عصمة أهل البيت لا تكفي لحفظ هذه القداسة، ولذلك قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فبيّن بهذه الآية: أن منافيات القداسة قد تأتي من خارج أهل البيت، كالزوجات، كما أوضحناه.

ثم عاد لمخاطبة الزوجات من جديد، فقال لهن: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

رابعاً: لنفترض - جدلاً -: أن هذا الذي ذكرناه لا يصل إلى درجة الظهور التام، فإن احتمال أن يكون هو المراد يسقط الدلالة السياقية المدعاة للآيات عن صلاحية الاعتماد، لاسيما وأن القرينة السياقية أضعف الظهورات، فإن المتكلم قد ينتقل في بياناته من أمر إلى آخر، وربما عاد إلى الأمر الأول.. ووجود الالتفات والجمل الاعتراضية في كلام العرب يشهد على ما نقول.

فالالتفات وارد في كلامه تعالى في أول سورة الحمد، حيث قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فإنه بعد تصريحه بكلمة - الله - يفترض أن يستمر إرجاع الضمائر إليه عز وجل، بصيغة الغائب، كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾.. لكنه غيّر مسار الكلام إلى الخطاب

المباشر للحاضر، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. أما الجمل الاعتراضية، فهي كثيرة في القرآن الكريم، وفي كلام النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»، وكلمات الأئمة الطاهرين «عليهم السلام».. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فإنه من موارد الجمل الاعتراضية..

ويشهد لذلك: تغيير مجرى الكلام في الآية نفسها، فبعد أن كان يأمر النساء وينهاهن بقوله هن: ﴿لَسْتُنَّ﴾، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾، ﴿وَقُلْنَ﴾، ﴿وَقَرْنَ﴾، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾، ﴿وَأَقِمْنَ﴾، ﴿وَاتَيْنَ﴾، ﴿وَأَطِعْنَ﴾، وغير ذلك.. عاد ليخاطب جمع المذكورين، فيقول: ﴿عَنْكُمُ﴾، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾.

ثم عاد بعد ذلك لخطاب جمع النساء من جديد، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ﴾، ﴿بِوَيْتِكُنَّ﴾.

ومن الموارد القرآنية، التي اعتمدت طريقة الاعتراض في الكلام، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ - لَوْ تَعْلَمُونَ - عَظِيمٌ﴾^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ - يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا - وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾^(٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا

(١) الآية ٧٦ من سورة الواقعة.

(٢) الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة يوسف.

ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَمْ فِئْتِ الْيَوْمَ يَنْسِرَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ - الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا - فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ
غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

وفي سورة لقمان قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا
تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * - وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهُنَا عَلَيَّ وَهْنٌ وَفَصَالُهُ فِي عَمَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ
عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا -
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ - ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ - * يَا
بُنَيَّ إِنَّمَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي
الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٢﴾.

فما وضعناه بين خطين أفقيين على هذا النحو (-) هو جملة معترضة.

وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، وغيره.

وفائدة الاعتراض: الإعلام بأهمية المعنى الذي يقطع المتكلم كلامه من

أجله، ثم يعود إلى متابعة كلامه بعد انتهائه منه..

يُذْهِبُ عَنْكُمْ، وَتَطْهَرُ: ثلاث قرآن:

١ - إن من الشواهد الكامنة في آية التطهير، الدالة على عدم شمولها للزوجات،

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) الآية ١٣ - ١٦ من سورة لقمان.

أنها قالت: ﴿لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ﴾ ولم تقل: «يريد أن يذهب».

وسبب ذلك: أن اللام هي لام كي، التي يكون ما بعدها سبباً لما قبلها، أو ناشئاً عنه، ومنه لام العاقبة أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(١).

فكانه تعالى قال: إن سبب إصدار الأوامر والزواج للزوجات هو إذهاب الرجس عن أهل بيت النبوة، وحفظ قداستهم في النفوس.

لأن الزوجات وإن كنَّ لسن من أهل البيت، إلا أن صدور المخالفة منهن يؤثر على موقعية أهل بيت النبوة في القلوب، فهو يأمر هؤلاء لكي لا يلحق ضرر أفعالهم بأولئك الذين هم بمثابة جيرانهم مثلاً، بما يشبه قولهم: «إياك أعني واسمعي يا جارة»..

وهذا نظير ما إذا كان هناك من جمع العلم والفضل، والتقوى، وسائر صفات الخير، وله ولد غير منضبط، فتأمره وتنهاه حفظاً لمقام أبيه.

ولو أنه تعالى قال: «يريد أن يذهب عنكم الرجس»، لفهم منه: أن الإرادة الإلهية منصبّة على إذهاب الرجس مباشرة، لأن كلمة «أن» مصدرية، فيصير معنى الكلام: إن إرادة الله تعلقت بإذهاب الرجس.

وهذا ليس مراداً، لأنهم «عليهم السلام» مطهرون، ولا رجس فيهم يحتاج إلى أن تتوجه الإرادة الإلهية إليه لإزالته، بل الرجس في أمر آخر مجاور لهم، ويريد الله إزالته حفظاً لأهل البيت، وإكراماً لهم.

(١) الآية ٨ من سورة القصص.

وفي آية التيمم: ﴿...مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾^(١)، فالتطهير وإتمام النعمة علة لتشريع التيمم. وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(٢). ويزيلوا عقيدة التوحيد من النفوس، ولم يقل: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ هنا، لأن إرادتهم تعلقت مباشرة بإطفاء نور الله، ولذا قال: ﴿أَنْ يُطْفِئُوا﴾.

ولكنه قال في سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(٣). لأنهم إنما يفترون على الله الكذب، لأجل إطفاء نور الله تعالى، فإرادتهم لم تتعلق بالإطفاء مباشرة، بل تعلقت بما يوصل إليه، وهو: افتراء الكذب على الله تعالى، ولذا قال: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾.

٢ - ومن الشواهد على عدم دخول الزوجات في آية التطهير: أن بعض زوجاته «صلى الله عليه وآله» قد ارتكبت ما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» حذرهما من ارتكابه، فقادت الجيوش في حرب الجمل ضد إمام المسلمين، ووصي النبي، وأخيه بنص القرآن، وهي الحرب التي قتل فيها الألو ف من المسلمين.

٣ - ويشهد لذلك أيضاً: أنه إذا كان الله سبحانه أراد أن لا يلحق أهل البيت رجس، ولو بالعرض والمجاز.. وهو يضاعف العقوبة على نساء النبي في مخالفتهن، حفظاً منه لمقام أهل البيت «عليهم السلام».. فإن إرادته

(١) الآية ٦ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٣٢ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٨ من سورة الصف.

طهارة أهل البيت في ذواتهم، وأنفسهم تكون أقوى وأشد.. وهذا هو مفهوم الأولوية القطعية التي تدل على تحقق طهارتهم وعصمتهم «عليهم السلام»، كأعلى وأجلى ما تكون الطهارة والعصمة.

٤ - إنه تعالى لم يقل: «يذهب رجسكم»، أو «يذهب الرجس منكم»، لأنه ليس في ذواتهم رجس.. لا في النسب، ولا في الخلق والأدب، ولا في السلوك، ولا في العقل والفكر، وما إلى ذلك.

بل قال: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾. أي يصدّه، ويدفعه، ويمنعه من الوصول إليكم.. وهذا يناسب أن يكون أمره ونهيه للزوجات حتى لا يصل إلى أهل بيت النبوة شيء يمكن أن ينسب إليهم، ولو بنحو العرض والمجاز، على النحو الذي أوضحناه في المثال، من أن الإنسان قد ينهى الولد عن سلوكه الشائن رغبة في حفظ مقام أبيه، فلا يتوهم في حق الأب ما هو منه بريء بسبب مخالفات ابنه، حيث قد يكون حاله معه حال نوح «عليه السلام» مع ابنه..

فمن ينهى ابن نوح مثلاً عن مخالفاته، إنما يريد بذلك حفظ قداسة أبيه النبي في نظر الناس الذين قد ينسبون إلى نوح «عليه السلام» ما هو بريء منه، فيما يرتبط بتربية ولده.

٥ - ويتأكد هذا المعنى: إذا لاحظنا قوله: ﴿وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً﴾، أي تطهيراً بعد تطهير.. والتطهير اللاحق، إنما يكون زائداً على ما سبقه، وينضم إليه، لأن ما سبقه ناظر لتطهيره في النسب، والخلق الرضي، والأدب والأخلاق، والفكر والعقل، وطهر النوايا، وسلامة النفس، وصحة السلوك، وما إلى ذلك.. وكل واحد له مراتب.

ثم يضاف إلى هذا التطهير تطهير آخر، ينسب إليه ثانياً وبالعرض، وهو الهادف إلى طهارة المحيط، والجار، والعشير، والمخالط.. وكل رجس يلحق به بأدنى شبهة، ليمنع انتسابها إليه، ولو على سبيل العرض والمجاز.. أي أنه يريد أن يدفع عنهم رجساً يأتيهم من خارج ذاتهم، ولا يخضع لإرادتهم.. فتكون كلمة «تطهيراً» متضمنة لتأسيس معنى جديد، لا لمجرد التشديد والتأكيد..

لماذا الحسنان عليهما السلام في آية التطهير؟!

ويبقى هنا سؤال عن سبب إشراف الحسنين «عليهما السلام»، وهما طفلان صغيران - بنظر الناس - ولم يسبق لهما عمل جهادي، ولا أظهر للناس من العلوم والمعارف ما يكفي لتبرير هذا الإشراف، كما أنهما لم يضطلعاً بعد بأي عمل، ولا قدماً أي إنجاز في مجال العمل الاجتماعي، أو في سياسة البلاد والعباد، أو في أي مجال آخر، كالطب، والهندسة، والزراعة، أو الصناعة، أو التجارة، وما إلى ذلك.. وإذا كانا طفلين، فهما يخطئان ويصيبان، وقد يطيعان ويعصيان..

كما أن من الطبيعي أن يكونا غير عالمين بدقائق الأمور، فضلاً عن الأسرار المودعة في هذا الكون الرحيب.

بل ما هي الحاجة لإشراف أمهما أيضاً، وهي امرأة مخدرة لم تمارس أي نشاط اجتماعي، أو تعليمي إرشادي، أو أي شيء آخر خارج دائرة خدرها وصونها لافت للنظر.

ونجيب:

بأن علينا ملاحظة الأمور التالية:

١ - ليس بالضرورة أن يكون هذا التكريم لأصحاب الكساء معتمداً على ماضي، أو على حاضر حياتهم، أو على حجم إنجازاتهم السياسية، أو الاجتماعية، أو غير ذلك، مما أشير إليه بنحو أو بآخر.. وإنما قد يكون ناظراً للمستقبل ويريد أن يضع الركائز التي من شأنها صيانة الحق، والدين، والإيمان، ومستقبل الأمة بشكل عام.

٢ - كما أن ذلك لا يمنع من أن يكون من جملة مقاصده لفت النظر إلى حقيقة واقعهم «عليهم السلام»، في مرحلتهم تلك، وأنهم ليسوا مجرد أطفال، بظن الناس بهم: أنهم يعلمون، ويجهلون، ويطيعون، ويعصون، وما إلى ذلك. وليس للناس أن يقيسوهم بأنفسهم، أو بأي كان من الناس.. فهم رجال في صورة أطفال، ولكنهم رجال في مستوى أئمة، وهم قادة معصومون، مطهرون من كل نقص، وضعف، وجهل، يظنه الناس بهم.. وهم جوهرة هذا الوجود، ورأس الهرم، وشاهق القمم في بني الإنسان.. في الفضل، والعلم، والدين، والوعى، والتقوى، والكمال، وغير ذلك..

وهم قلب الحق الخافق، ولسان الصدق الناطق، ونمير العلم الرائق، وهم مرآة قدرة وعظمة، وجمال الخالق..

فالتعريف بهم ضروري، وتوطيد العلائق بهم حتمي، والانصهار بحبهم، وترسيخ موقعهم في ضمير ووجدان وقلوب ومشاعر الناس لازم، ليكونوا «عليهم السلام» هم الأسوة والقُدوة، والقادة والذادة..

٣ - ويتأكد هذا المعنى: بملاحظة أنهما «عليهما السلام» الامتداد الطبيعي

للإمامة بعد أبيهما بنص صريح من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا المقام بما له من خصوصيات، من حيث إن للإمام مقام الشاهدية على الخلائق في أعمالهم، ولهما أيضاً موقع المرجعية والمحورية للحق، والإيمان، فإنهما أيضاً هما المعيار الذي يميّز به بين الحق والمبطل، والضال والمهتدي. لأن الموقف السلبي منهما هو الذي يعرف الناس على المبطل والمعتدي، والظالم، إذا كان الموقف سلبياً، والموقف الإيجابي منهما يعرف الناس على الحق والمظلوم. فإذا رأينا: أن ثمة من يسعى لإحراقهما، وإحراق أبيهما وأمهما «عليهم جميعاً الصلاة والسلام»، فإن آية التطهير تدل الناس على أنه معتد ومدان.. إذ لا يستطيع أحد أن يدّعي: أنهما هما السبب في ذلك بأي نحو كان، لأن هذه الدعوى كاذبة بنص آية التطهير.. لأنها تدل على أنهما مطهران معصومان، حتى عن مثل العبوس في وجه إنسان بغير حق، فضلاً عن أن يكونا قد تفوها بكلام لا يليق بهما..

وليس لأي كان أن يتذرع بطفولتهما غير الواعية، أو غير المنضبطة - بنظره - بالمطهر المعصوم لا يتصرف من دون وعي، ولا يتسرع في القول، بل يضبط كل قول منه، وفعل في كل مقام. لأن المطهر يميّز الخطأ من الصواب، واللائق عن غير اللائق، والحق من الباطل.. ولولا ذلك لوقع في المحذور، ولم يكن طاهراً وبرئاً من أي رجس.

٤ - أما علي «عليه السلام»، فهو الوصي، والولي، وحافظ الدين، وقامع المشركين، وباذل نفسه في سبيل الله، وهو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة.. وقد نكثوا بيعتهم له من لحظة وفاة النبي «صلى الله

عليه وآله»، وقبل أن يدفن.

٥ - أما الزهراء «عليها السلام»، فيكفيها عظمة: أن الله يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها^(١).

وأن من أغضبها أغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

(١) راجع: فرائد السمطين ج ٢ ص ٤٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٥٢ وكفاية الطالب ص ٣٦٤ وذخائر العقبى ص ٣٩ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤٢ وينايع المودة ص ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٩ و ١٩٨ و (ط دار الأسوة) ج ٢ ص ٥٦ و ٧٢ ونظم درر السمطين ص ١٧٧ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ و ١٥٨ وتلخيصه للذهبي مطبوع بهامشه، وكنز العمال ج ١٣ ص ٩٦ وج ٦ ص ٢١٩ وج ٧ ص ١١١ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٢ ص ١١١ والغدير ج ٧ ص ٢٣١ - ٢٣٦ وإحقاق الحق ج ١٠ ص ١١٦ ومسند زيد بن علي ص ٤٥٩ والأمالى للصدوق ص ٤٦٧ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج ١ ص ٢٩ و ٥١ ومعاني الأخبار ص ٣٠٣ وروضة الواعظين ص ١٤٩ والأمالى للمفيد ص ٩٥ والأمالى للطوسي ص ٤٢٧ واللمعة البيضاء ص ١٣٢ - ١٣٤ و ٨٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٠٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٧٩ وج ٢٧ ص ٦٢ وج ٢٩ ص ٣٣٦ وج ٤٣ ص ١٩ و ٢٢ و ٢٦ و ٤٤ و ٥٤ و ٢٢٠ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٦٤ والصواعق المحرقة ص ١٨٦ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٣٢.

(٢) البخاري (ط مشكول) ج ٥ ص ٣٦ و (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٢١٠ و ٢١٩ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٧٦ وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ١٩٠ وحلية الأولياء ج ٢ ص ٤٠ وينايع المودة ص ٣٦٠ و ١٧١ و ١٧٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ٢٠١ و ٦٤ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٥٩ وتلخيصه (بهامشه)،

ومن كان كذلك، فلا بد أن يكون مطهراً معصوماً.

وهي التي هوجمت وضربت من قبل الآخرين، وأسقط جينها، وأرادوا إحراق بيتها بما فيه، وكانت هي وعلي، والحسنان «عليهم السلام» في داخله. ثم استلبوا نحلتها (فدكاً)، وسلبوها إرثها، كل ذلك حصل فور وفاة أبيها.. وكل ذلك من أجل تكريس اغتصابهم مقام الخلافة من زوجها علي «عليه السلام».

فهل هناك عاقل يستسيغ أن تعامل البنت الوحيدة، الطاهرة، المعصومة بنص القرآن، وهي بنت أكرم وأفضل وأشرف المخلوقات - بما فيهم الأنبياء والمرسلون - بهذه الطريقة في نفس ساعة دفن أبيها، وهو الذي أخرج الناس

وأعلام النساء ج ٤ ص ١٢٥ وكنز العمال ج ١٣ ص ٩٣ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٢ ص ١٠٨ و ١١٢ والإصابة ج ٤ ص ٣٧٨ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤١ وثمة مصادر أخرى ذكرت ذلك تعقيباً على قصة مكذوبة هي قصة خطبة علي «صلى الله عليه وآله» لبنت أبي جهل، فراجع: ذخائر العقبى ص ٣٧ و ٣٨ وكفاية الطالب ص ٣٦٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٥٣ ونظم درر السمطين ص ١٧٦ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج ٢ ص ١٠ والخصائص للنسائي ص ١٢٠ وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٣ والجامع الصحيح ج ٥ ص ٦٩٨ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٨ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٣٣ والصواعق المحرقة ص ١٨٨. وراجع: فضائل الصحابة للنسائي ص ٧٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٦٣ و ٨٢ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٢٣ و ٢٤٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٢٦ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٦١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٩٧ و ١٤٨ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١٢١ والمعجم الكبير ج ٢٢ ص ٤٠٤ والجامع الصغير ج ٢ ص ٢٠٨ وفيض القدير ج ٤ ص ٥٥٤ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٨٦.

من الظلمات إلى النور، وهداهم بعد الضلالة، وأنقذهم من الجهالة..
ثم يكون من يرتكب هذا الأمر الجلل أناساً، كانوا يظهرون للناس
أنهم المقربون للنبي «صلى الله عليه وآله»، ويزعمون أن لهم حظوة عنده، ثم
يكون ذلك منهم في لحظة دفنه، وعلى شفير قبره؟!!

وأين تبخر ما كانوا يظهرونه من طاعة لأبيها؟! ولم يغب عن أحد منهم
قول الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ
فِي الْقُرْبَى﴾؟! (١) ..

وأي قربي أقرب للنبي «صلى الله عليه وآله» من ابنته الوحيدة، التي هي
- كما يقول هو - روحه التي بين جنبيه، وهي سيدة نساء العالمين، من الأولين
والآخرين؟!!

وقد ماتت «عليها السلام» صديقة شهيدة، كما في الروايات (٢) .. وقضت
وهي واجدة على من فعل هذه الأفاعيل، ودفنت ليلاً، وعفي موضع قبرها،
بوصية منها، لأنها رفضت أن يشهد أحد منهم جنازتها، أو أن يعرف موضع
قبرها.

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٥٨ وروضة المتقين ج ٥ ص ٣٤٢ ومرآة العقول ج ٥ ص ٣١٥
ومنتقى الجمان ج ١ ص ٢٢٤ وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ٢٤٤
عن أخبار الدول (ط بغداد) ص ٨٧ وراجع: عوالم العلوم ج ١١ ص ٢٦٠ وعلل
الشرائع ج ١ ص ٢٩٠ وبحار الأنوار ج ١٢ ص ١٠٧ وج ٤٣ ص ٢٥ وج ٧٨ ص ٨١
ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٤٧٨.

ولم يكن ذلك كله منهم، إلا لأجل تكريس اغتصابهم لمقام الخلافة من أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلولا أنها «عليها السلام» لم ترض بحضورهم جنازتها.. وأصررت على أن لا يعرف موضع قبرها لما عرفت الأمة الحق، ولتمكن وعاظ السلاطين من تشويه الحقائق، وتضليل الخلائق..

ففاطمة «عليها السلام» حفظت معنى الإمامة، ورسخت في ضمير الأمة الصلة بين الإمامة والنبوة.. وهذا فشل ذريع للغاصبين والمعتدين، وإن تمكنوا من التأمر على الأمة بالقوة والقهر..

الفصل السابع:

حديث سد الأبواب..

نصوص وآثار:

نذكر في البداية بعض نصوص حديث سد الأبواب، ثم نعقب ذلك بذكر بعض الأمور التي ترتبط بها، والنصوص هي التالية:

حديث سد الأبواب:

١ - روي في احتجاجات علي «عليه السلام» على جماعة - وذلك في زمن عثمان -: أنه ذكر لهم قول النبي: «إن الله أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً، لا يسكنه غيره وغير هارون وابنيه، وإن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً، لا يسكنه غيري وغير أخي وابنيه»^(١).

(١) راجع: كتاب سليم بن قيس ص ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٩ و (ط الأولى سنة ١٤٢٢هـ) ص ١٩٥ و ٣٢١ و ٤٠٠ وموسوعة الإمام الحسين ج ٢١ ص ٩٤٣ و ٩٤٤ عنه، وراجع: مناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٢٩٩ والنوادر للراوندي ص ١٠٢ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٣ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ١ ص ٣٣٢ والخصائص الكبرى للسيوطي ج ٢ ص ٢٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٢٤ وغاية المرام ج ٢ ص ١٠٠ و ١٠٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٦٠.

٢ - في رواية أخرى: أن حمزة والعبّاس قالا - حين أمر «صلى الله عليه وآله» بسدّ الأبواب الشارعة في المسجد -: يأمرنا بسدّ أبوابنا ويدع باب عليّ!! فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: قد بلغني ما قلتم في سدّ الأبواب، والله ما أنا فعلت ذلك، ولكن الله فعله.

وإنّ الله أوحى إلى موسى أن يتخذ بيتاً طهراً، ولا يُجنب فيه إلّا هو وهارون وابناه، يعني لا يُجامع فيه غيرهم.

وإنّ الله أوحى إليّ أن أتخذ هذا البيت طهراً، لا ينكح فيه إلّا أنا وعليّ، والحسن والحسين..

والله ما أنا أمرت بسدّ أبوابكم، ولا فتحت باب عليّ، بل الله أمرني به^(١).

٣ - عن الإمام الرضا، عن آبائه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد، إلّا أنا وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، ومن كان من أهلي، فإنّهم منّي^(٢).

٤ - عن أم سلمة «رضي الله عنها»، قالت: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ألا إنّ مسجدي حرام على كلّ حائض من النساء، وكلّ جنب

(١) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٦ و ١٧ وموسوعة الإمام الحسين ج ٢١ ص ٩٤٨ عنه.
 (٢) الأمالي للصدوق ص ٣٣٤ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٤١٣ و عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٦٥ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٣٦٤ و (ط جماعة المدرسين) ج ٣ ص ٥٥٧ و ٥٥٨ و وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢ ص ٢٠٨ و ج ٢٠ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ و (الإسلامية) ج ١ ص ٤٨٦ و ٤٨٧ و ج ١٤ ص ١٩٢ و بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٤٥ و ج ٢٥ ص ١٦٩ و ج ٣٩ ص ٢٠ و ج ٧٨ ص ٤٨ و غاية المرام ج ٦ ص ٢٥٩.

من الرجال، إلا على محمد وأهل بيته: علي، وفاطمة، والحسن والحسين «رضي الله عنهم»^(١).

وفي نص آخر عن أم سلمة أنه قال: ألا، لا يحل هذا المسجد لجنب، ولا لحائض، إلا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين. ألا قد بينت لكم الأسماء أن لا تصلوا^(٢).

٥ - عن الإمام الرضا «عليه السلام» في حديث، قال: «وأما الرابعة، فأخراجه «صلى الله عليه وآله» الناس من مسجده، ما خلا العترة، حتى تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس، فقال: يا رسول الله، تركت علياً وأخرجتنا؟! فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٦٥ وفرائد السمطين ج ٢ ص ٢٩ وكنز العمال ج ١٢ ص ١٠١ وتفسير الثعلبي ج ٣ ص ٣١٣ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٢١ ص ٩٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٢٣ وغاية المرام ج ٦ ص ٢٤٢ ودلائل الصدق ج ٦ ص ١١٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٧٨ و ٥٧٩ وج ٩ ص ٢٢٥ وج ٢٣ ص ٩٣ وج ٢٤ ص ٦١٢ وج ٣١ ص ١٢٨.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٧١ و (ط دار الفكر) ج ١٤ ص ١٦٦ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن بدران ج ٤ ص ٣١٧ - ٣١٨ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج ٧ ص ١٢٣ وكنز العمال ج ١٢ ص ١٠١ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج ٢١ ص ٩٥٠ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٢٩١ وإمتاع الأسماع ج ١٠ ص ١٨٣ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ١٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٧٧ وج ٩ ص ٢٢٤ وج ١٨ ص ٤٢٠ وج ٢٣ ص ٩٤ - ٩٥ و ٩٧ وج ٢٤ ص ٦١٣ وج ٢٥ ص ٢٤٤ وج ٢٦ ص ١٢٣ وج ٢٧ ص ٥٣ وج ٣١ ص ١٢٧ و ١٢٨.

الله عز وجل تركه وأخرجكم.

وفي هذا تبيان قوله «صلى الله عليه وآله» لعل «عليه السلام»: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى».

قالت العلماء: وأين هذا من القرآن؟!

قال أبو الحسن: أوجدكم في ذلك قرآناً، واقرؤه عليكم؟!

قالوا: هات.

قال: قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (١).

ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضاً منزلة علي «عليه السلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله». ومع هذا دليل واضح في قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قال: ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد وآله «صلوات الله عليهم» (٢).

٦ - عن أبي رافع: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطب الناس، فقال:

أيها الناس، إن الله عز وجل أمر موسى وهارون أن يبنيا لقومهما بمصر

(١) الآية ٨٧ من سورة يونس.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٠ و ٢١ والأمالى للصدوق ص ٣١٤ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٦١٩ و عيون أخبار الرضا ص ١٢٨ و (ط الأعلمي) ص ٢١٠ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٤٥ ونور الثقلين (تفسير) ج ٢ ص ٣١٤ و ٣١٥ و كنز الدقائق (تفسير) ج ٦ ص ٨٨ وبشارة المصطفى ص ٣٥٢ و ٣٥٣ وتأويل الآيات الظاهرة ج ١ ص ٢٢٠ وغاية المرام ج ٢ ص ٣٢٨.

بيوتاً، وأمرهما ألا يبيت في مسجدهما جنب، ولا يقرب فيه النساء، إلا هارون وذريته..

وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى، فلا يحل لأحد أن يقرب النساء في مسجدي، ولا يبيت فيه جنب، إلا علي وذريته، فمن ساء ذلك فيها هنا.. وضرب بيده نحو الشام^(١).

وذكر نص آخر عن حذيفة بن أسيد الغفاري: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما خطب وقال ما تقدم، لأن المسلمين حين قدموا المدينة لم تكن لهم بيوت، فكانوا يبيتون في المسجد، فقال لهم النبي «صلى الله عليه وآله»: لا تبيتوا في المسجد، فتحتلموا.

ثم إن القوم بنوا بيوتاً حول المسجد، وجعلوا أبوابها إلى المسجد، فبعث إليهم النبي «صلى الله عليه وآله» معاذ بن جبل، فنادى أبا بكر، فقال له: إن رسول الله يأمر أن تخرج من المسجد، وتسد بابك الخ..

ثم ذكر اعتراض حمزة على هذا الإجراء، وغير ذلك من أمور، ثم ذكر

(١) بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٢ و ٣٠ و ٣٢ وج ٧٨ ص ٦٠ و ٦١ وج ٨١ ص ٥ و علل الشرائع ص ٧٨ و (ط أخرى) ص ١٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢٠٢ وتفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٧ وراجع: البرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٩٣ و (ط مؤسسة البعثة) ج ٣ ص ٤٦ ونور الثقلين (تفسير) ج ٢ ص ٣١٥ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٦ ص ٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢ ص ٢٠٨ و (الإسلامية) ج ١ ص ٤٨٧ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٤١٤ و ٤١٥ وغاية المرام ج ٢ ص ١١٤.

خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» المشار إليها آنفاً^(١).

٧- وفي رواية أخرى مطولة عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، جاء فيها قوله: لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جنباً، إلا محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والمتجبون من آلهم، الطيبون من أولادهم^(٢).

ونقول:

وقف مع النصوص المتقدمة:

هنا أمور نحب الإشارة إليها، وهي التالية:

١- هناك أمور في حياة الأئمة والأنبياء لا ينبغي أن يمرّ عليها المرء مرور الكرام، بل ينبغي التوقف عندها، والتأمل في دلالتها، واستكناه أهدافها

(١) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي (انتشارات سبط النبي) ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و (ط طهران) ص ٢٥٣ وبحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣١ و ٣٢ والعمدة لابن البطريق ص ١٧٧ و ١٧٨ والطرائف لابن طاووس ص ٦١ و ٦٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٤٤٦ و ٤٤٧ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٤٦ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص ١٤٤ وكشف الغمة ج ١ ص ٣٣٩ ونهج الإيمان ص ٤٣٧ و ٤٣٨ وكشف اليقين ص ٢٠٩ و ٢١٠ وغاية المرام ج ٦ ص ٢٣٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٦٨ وج ١٦ ص ٣٥٥ و ٣٥٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٣ وج ٧٨ ص ٦٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢ ص ٢١٠ و (الإسلامية) ج ١ ص ٤٨٩ والتفسير المنسوب للإمام العسكري ص ٥ و ٦ و (ط مهر - قم سنة ١٤٠٢ هـ) ص ١٨.

وغاياتها، ومنها حديث سد الأبواب التي كانت شارعاً في المسجد، باستثناء باب علي «عليه السلام»..

ولأن الذين كانوا يسكنون في محيط المسجد النبوي في المدينة هم من الصحابة المعروفين.. وقسم منهم كانوا من الطامحين، أو الطامعين: بأن يكون لهم مقام وشأن، ولا سيما بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. كما أظهرت الأحداث التالية، ولأن تنويه النبي «صلى الله عليه وآله» باسم أمير المؤمنين «عليه السلام» كرات ومرات، وتصريحاته الكثيرة: بأنه هو الوصي والولي من بعده.. وإعلانه المتواصل بعظيم شأنه، وسمو مقامه عند الله، ولا سيما في المواقع الحساسة التي كان يتجلى فيها عظمة وجهاد، وعلم، وفضل، وتدبير، وسياسة علي «عليه السلام»، وفشل أولئك الطامعين والطامحين.

نعم، من أجل ذلك كله يرى الناظر: أن ذلك كان يضايق كثيراً أهل الطمع، والطموح، ويزيد من كرههم، ومن تحاملهم على علي «عليه السلام» وربما ظهرت في تصرفاتهم إشارات، بل تصريحات بما يضمرونه، أو يدبرونه، من فنون الأذى، وصنوف التزوير والتحويل، والتحاييل الهادف لإفراغ هذه البيانات النبوية من مضمونها، ولو بإثارة الشبهات حولها، أو حول دوافعها.. وربما أتت هذه المحاولات على شكل اعتراض مباشر على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بما يقول ويقرر.

وقد ظهرت هذه الاعتراضات، أو التبرم، والإنكار حين أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بسد الأبواب الشارع في المسجد، إلا باب علي، وإلا عترته، يقول النص المتقدم: «حتى تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس، فقال: يا

رسول الله، تركت علياً وأخرجتنا؟!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله عز وجل تركه وأخرجكم».

وفي حديث آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «فمن ساءه ذلك فها هنا .. وضرب بيده نحو الشام».

٢ - ولكن ما زاد في همّ وغم مناوئي أهل البيت وحاسديهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صرّح: بأنه لا يجوز أن يجنب في المسجد سوى النبي وعلي والحسين «عليهم السلام»، وسائر العترة، أو سائر من كان من أهله «صلى الله عليه وآله»، وفي نصوص أخرى أضاف فاطمة «عليها السلام».. وفي بعض النصوص ذكر أن ذلك حق لعلي وذريته.

وفي رواية أخرى قال: إلا محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والمنتجبون من آلهم الطيبون من أولادهم.

٣ - إن ذكر الحسين «عليهما السلام» في جملة من يجوز له أن يجنب في المسجد.. يمكن اعتباره من الإخبار عن الغيب: بأن الحسين «عليهما السلام» معصومان مطهران، وسيقيان كذلك طيلة حياتهما المباركة، التي تمتد إلى أن يكبرا ويتزوجا..

وفي هذا أيضاً تكريس لخصوصية أهل بيت النبوة، وأنهم ليسوا كسائر الناس، حتى في طفولتهم، فإنها طفولة متميزة في جميع شؤونها وحالاتها في الفكر والعلم والوعي، والطهارة، والاطّلاع على الغيوب، واجتراح المعجزات، وظهور الكرامات لهم.. ويعاملهم الله ورسوله بهذا المنطق، وعلى هذا الأساس.

يضاف إلى ذلك: أن تكريس هذا المفهوم يجعل كل ما يدّعيه الطامحون والطامعون من كبار السن، الذين يسعون لأن يكون لهم شأن ومقام في مهب الريح.. لأن هذه الخصوصيات في العترة لا يمكن لأحد من البشر أن يدّعيها لنفسه.. ولو فعل ذلك، فإن الوقائع تكذّبه، والشواهد تنقض دعواه.. وهل يمكن أن يدّعي أحدٌ منهم: أنه يعلم الغيب، أو أنه يجترح المعجزة، والمعرفة بأسرار الخلق، أو رؤية ملكوت السماوات والأرض، أو غير ذلك؟!!

ولأنهم يدركون عجزهم عن ذلك كله، وسواه مما هو أدنى منه، فضلاً عما هو أسمى وأعلى.. فإنك تراهم يسكتون، ولا يجروون حتى على طلب الشاهد العملي على ذلك، ويتظاهرون بالتسليم والتصديق، لأنهم يعلمون أن لدى أولئك الصغار في الظاهر: قدرات، وميزات، وحالات لا تنالها الأوهام، وقد عاينوا الكثير منها في الحالات المختلفة.

بين الشريعة والقانون:

١ - لا حاجة إلى التذكير: بأن رواد المنظرين، والمتصدين لبلورة ووضع القوانين الوضعية يزعمون: أن هدفهم هو انتظام الأمور، وضبط طريقة التعامل بين البشر لحفظ مصالحهم، وتأمين حاجاتهم، وضمان عدم حصول تعديات، واتباع أساليب تفوّت عليهم فرص حصولهم على ملذاتهم الشخصية، أو تحلّ بأمنهم، أو بمعيشتهم، أو تحتزل حقوقهم الإنسانية والاجتماعية، وما إلى ذلك.

ولكننا إذا راجعنا قوانينهم نجد أنها لا تفي حتى بهذا المقدار، بل ربما كانت سبباً في تفويته، وسلب القدرة على الوصول إليه.. ولسنا بصدد البحث

حول هذا الموضوع.

٢ - ولكن التشريع الإلهي يهدف إلى تكامل الإنسان في إنسانيته، وفي علاقته بربه، وبأبناء جنسه، وبكل ما في هذا الكون والحياة.. حتى إنهم مسؤولون عن البقاء والبهاء، فضلاً عن أنهم مسؤولون عن الماء والهواء، والغذاء، والبحار، والأنهار وما فيها، وكل شيء.. حيث لا بد أن يتعاهدوا ذلك كله بالحفظ والصون، والنقاء، والبقاء، والسلامة.

بل هو يريد لكل ما في هذا الوجود: أن يتخذ موقعه، ويأخذ دوره الطبيعي الذي رصده الله تعالى له في النهوض بهذا الكون، أو إعمارهِ وفق الأهداف الإلهية، وما أودعه الله فيه من أسرار، وخصائص، ومؤهلات.

وكذلك الحال بالنسبة للإنسان، فإن المطلوب هو تنمية قدراته، وملكاته، ومؤهلاته، وتصفية، وتزكية، وتطهير، وتوازن روحه وجسده، وعقله، وفكره، ومشاعره، وكل شيء يعنيه، أو يعود إليه، بنحو أو بآخر..

وأن يكون ذلك كله مرتبطاً بالإرادة والاختيار، من منطلق الوعي والوضوح، والإيمان، والإخلاص.

وهذا يعطي: أن الشريعة منسجمة مع حقائق التكوين، لأنها تركز إلى مصالح واقعية يراد الوصول إليها، والحصول عليها بوسائل مشروعة، وقادرة على إيصال الأشياء إلى كمالاتها، وأهدافها.

فلا يوجد في هذا الوجود ما هو عبثي، ولا شيء يمكن إسقاطه من الحساب.. بل لكل شيء هدف صحيح يفترض أن يصل إليه، أو دور ينبغي له أن يؤديه.. ولا يمكن عزل الروحاني عن الجسماني، والسماوي عن الأرضي،

والنفسى عن العقلى، وما إلى ذلك.. فلا بد من اكتشاف حالات الانسجام بين الأشياء، سواء أكانت متجانسة أو متخالفة.

فإن ما نراه متجانساً قد يحمل في داخل هذا الفرد أقصى أنواع التباين مع الفرد الآخر. ولأجل ذلك ورد في الرواية قوله «عليه السلام»: «الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»^(١).

(١) راجع: المؤمن لابن سعيد الكوفي ص ٣٩ والأمالى للصدوق ص ٢٠٩ والإعتقادات في دين الإمامية ص ٤٨ وعلل الشرائع ج ١ ص ٨٤ ومن لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٣٨٠ وروضة الواعظين ص ٤٩٢ ومختصر بصائر الدرجات ص ٢١٥ والاختصاص للشيخ المفيد ص ٣١١ وتصحيح إعتقادات الإمامية ص ٨٠ و ٨١ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ١ ص ١٨٣ وغوالي اللآلى ج ١ ص ٢٨٨ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ١٩٧ وينايع المعاجز ص ١٤٩ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٢٦٥ وج ٥ ص ٢٤١ و ٢٦١ و ٢٦٦ وج ٦ ص ٢٤٩ و ٢٥٢ وج ٢٥ ص ١٤ وج ٤٠ ص ٢٢٢ وج ٤٢ ص ١٩٦ وج ٤٥ ص ٤٠٤ وج ٤٧ ص ٣٥٧ وج ٥٨ ص ٣١ و ٤١ و ٦٣ و ٦٤ و ٧٩ و ٨٠ و ١٠٦ و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٤ وج ٦٤ ص ١٦٦ وج ٦٥ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ وج ٧١ ص ٢٦٧ و ٢٧٤ وج ٧٤ ص ١٦٥ وج ٩٦ ص ٢٢٠ والعوالم، الإمام الحسين ص ٧٢٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ١٠٧ وج ٤ ص ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ وراجع: مسند أحمد ج ٢ ص ٢٩٥ و ٥٢٧ و ٥٣٩ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٠٤ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٤١ و ٤٢ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٤٤٢ و ٤٤٣ والمستدرك للحاكم ج ٤ ص ٤٢٠ وشرح صحيح مسلم للنووي ج ١٦ ص ١٨٥ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٦٢ وج ٢ ص ٣١٤ وج ٨ ص ٨٧ و ٨٨ وج ١٠ ص ٢٧٣ وعمدة القاري ج ١٥ ص ٢١٥ والديباج على مسلم ج ٥ ص ٥٥٢ و ٥٥٣

وقال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (٢).

مع أن الجميع بشر، وسائر بقاع الأرض تراب وحجر وماء.

٣ - ومن هذا يتبين لنا: أن الطهارة الحقيقية للروح والنفس، والمشاعر والقلب، والضمير، والعقل، والفكر، والأخلاق، والجسد، والوجدان، والمحيط، هو المنسجم مع المسجد الطاهر، ومع من طهَّره الله في كتابه تطهيراً بعد تطهير، وأصدر أوامره، وشرع شرائعه لزوجات رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليذهب الرجس عن أهل البيت ومنهم الحسنان «عليهم السلام».

والأدب المفرد ص ١٩٢ والإخوان لابن أبي الدنيا ص ١٤٥ و ١٤٦ ومسند أبي يعلى ج ٧ ص ٣٤٤ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٤٣ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ١٦١ وج ٥ ص ٢٤٨ والمعجم الكبير ج ٦ ص ٢٦٣ و ٢٦٥ وج ٩ ص ١٨٥ وج ١٠ ص ٢٣٠ والأمثال في الحديث النبوي ج ١ ص ٦٢ و ٦٣ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ ومسند الشهاب ج ١ ص ١٨٥ و ١٨٦ وشعب الإيمان ج ٦ ص ٤٩٧ ورياض الصالحين للنووي ص ٢٢٠ وتغليق التعليق ج ٤ ص ٥ و ٧ والجامع الصغير ج ١ ص ٤٧٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٩ ص ٦ و ٢٢ و ٢٣ و ١٧١ و ١٧٢ وج ١٠ ص ١٤٩ وج ١٣ ص ١٦٩ و ٤٢٥ وفيض القدير ج ١ ص ٧٠٦ وكشف الخفاء ج ١ ص ١١١ و ١١٢ و ١١٣ وج ٢ ص ٤.

(١) الآية ٢٦ من سورة النور.

(٢) الآية ٥٨ من سورة الأعراف.

وهذا هو السر في أن يكون أولياء المسجد هم المتقون، الطاهرون، البريئون من المعاصي، والردائل بمختلف أنواعها.

الطهارة والإمامة:

وقد يتوهم بعض الناس: أن إثبات الطهارة للحسين «عليهما السلام» في وقت بعينه لا يعني بقاءها وثبوتها لهما في كل حال وزمان.. فللبشر تبدلات وتحولات..

ويجاب:

أولاً: إن الله تعالى حين أخبر عن طهارة النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته، إنما أخبر عن إرادته تطهيرهم «صلوات الله وسلامه عليهم»، وقد أطلق كلامه ولم يقيده بحال، ولا بزمان..

وقد أنزل في ذلك آية قرآنية ستبقى نهجاً ومرجعاً لجميع الناس إلى يوم القيامة..

فلو صدر منها «عليهما السلام»، ولو بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» أي شيء ينتقص هذه الطهارة لتسرب الشك في صدق القرآن إلى النفوس في كل جيل..

ثانياً: لو صح هذا التوهم، لسرى هذا الاحتمال إلى النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، فيقال: الآية دلت على طهارته في زمان نزولها، فلعل حاله قد تغير وارتكب بعض المخالفات بعد ذلك!! فهل يستسيغ مسلم هذا القول؟!!

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أثبت لنفسه ولعترته وأهل بيته،

ومنهم الحسين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» آثار الطهارة، وهي: جواز الجنابة في المسجد في جميع زمان حياتهما.. وحسب العادة، فإن احتلام الحسين «عليهما السلام»، وجنابتهما إنما تكون بعد البلوغ الذي سيكون بعد استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله» بعدة سنوات.

فالإخبار عن جواز الجنابة لهما في المسجد إخبار عن استمرار صفة الطهارة إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، وإلى آخر حياتهما «عليهما السلام».. لاسيما وأن هذا الحكم قد جعل لهما، من حيث هما من أهل بيت النبوة، لا لمجرد قرابتهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن العصاة لا يكونون من أهل بيت النبوة، ويفترض أن لا يجوز لهم الجنابة في المسجد. وإلا لجاء السؤال عن الفرق بين هذا القريب العاصي، وبين غيره من العصاة.. سواء أكانوا من قرابته، أو من غيرهم..

بل تقدم: أنه يستفاد من الروايات: أن جواز الجنابة في المسجد ثابت لجميع الأئمة الطاهرين من أولاد الحسن والحسين «عليهما السلام».

اعتراض الحمزة والعباس:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: حصول اعتراض من قبل عدد من الصحابة على هذا الإجراء، وذكروا: الحمزة والعباس بن عبد المطلب في جملة المعترضين، وبعض الروايات ذكر الحمزة فقط، وفي بعضها العباس، وبعضها جمع بينهما. ونقول:

١ - أما بالنسبة للحمزة فإننا نقول: إن هذا مكذوب عليه بلا ريب، لسبب

بسيط هو أن الحمزة قد استشهد في واقعة أحد قبل ولادة الحسين «عليهما السلام»، أو قبل ولادة أحدهما على أقل تقدير..

٢ - أما العباس، فإنما قدم المدينة بعد فتح مكة، الذي حصل في سنة ثمان، فالرواية التي ذكرته مع حمزة تكون مشكوكة، بل باطلة لعدم وجود حمزة على قيد الحياة، لأنه استشهد في سنة ثلاث. وحديث سد الأبواب قد حصل بعد السنة الرابعة.. أي بعد ولادة الحسين «عليهما السلام».

٣ - تبقى الرواية التي ذكرت اعتراض العباس وحده، وهي رواية الإمام الرضا «عليه السلام» المتقدمة وقالت: «حتى تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس».. ونحن لا نستبعد صحة هذه الرواية.

وإذا أردنا أن نحسن الظن بالعباس، فإننا نقول: لعله أراد بكلامه: أن يستوضح الأمر من النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يرد أن يعترض عليه..

كما ربما يشير إليه قول الإمام الرضا «عليه السلام»: إن الناس تكلموا في ذلك، ثم أفرد العباس بقوله: «وتكلم العباس»، فلعل سبب إفراده له هو اختلاف الداعي، فهم تكلموا على سبيل الاعتراض، والعباس على سبيل الاستيضاح.

ورواية حذيفة بن أسيد، وكذا رواية أبي رافع المتقدمتان تدلان على أن الذين تكلموا في هذا الأمر، إنما تكلموا فيه عن مساءة، واعتراض، لا للاستيضاح، ففي هذه الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «فمن ساءه ذلك فها هنا.. وضرب بيده نحو الشام»..

وهذه العبارة تدل أيضاً على أن اعتراضهم قد أغاظ النبي «صلى الله عليه وآله» كثيراً، حتى لقد هددهم بالإخراج إلى الشام، التي كانت لا تزال

على الكفر، والمناوأة والعداء للإسلام والمسلمين.

حدثان لا حدث واحد:

هناك رواية مناشدة الإمام الحسين «عليه السلام» الناس قبل موت معاوية في موسم الحج، وفيها: أنه «عليه السلام» «جمع بني هاشم: رجالهم، ونساءهم، ومواليهم، وشيعتهم، ومن حج منهم، ومن الأنصار» ثم قال: «أُنْشِدُكُمْ اللَّهَ! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» اشْتَرَى مَوْضِعَ مَسْجِدِهِ، وَمَنَازِلِهِ، فَأَبْتَنَاهُ. ثُمَّ ابْتَنَى فِيهِ عَشْرَةَ مَنَازِلَ، تِسْعَةٌ لَهُ، وَجَعَلَ عَاشِرَهَا فِي وَسْطِهَا لِأَبِي؟!

ثُمَّ سَدَّ كُلَّ بَابٍ شَارِعٍ إِلَى الْمَسْجِدِ غَيْرَ بَابِهِ، فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ مَنْ تَكَلَّمَ، فَقَالَ «صلى الله عليه وآله»: ما أنا سدّدت أبوابكم وفتحت بابه، ولكن الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه.

ثُمَّ نَهَى النَّاسَ أَنْ يَنَامُوا فِي الْمَسْجِدِ غَيْرَهُ.
وَكَانَ يُجَنَّبُ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَنْزِلُهُ فِي مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»
فَوُلِدَ لِرَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» وَلَهُ فِيهِ أَوْلَادٌ.
قالوا: أَللّهُمَّ نَعَمْ! (١).

(١) كتاب سليم بن قيس ص ٧٧٧ و ٧٨٨ و ٧٩٠ و (ط الأولى سنة ١٤٢٢ هـ) ص ١٩٤ - ١٩٥ و ٣٢١ ومستدرک الوسائل ج ١٤ ص ٣٠١ و ٣٠٢ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ١ ص ٣٣٠ و ٣٣١ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٢٨ وج ٣٣ ص ١٨٢ و ١٨٣.

فقد دلت هذه الرواية التي تحكي ما جرى في أيام الحج، في سنة تسع وخمسين للهجرة. على حصول أمرين:

الأول: أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بسد الأبواب الشارعة في المسجد باستثناء باب علي وأهل بيته.

الثاني: منع الناس من أن يبقوا في المسجد على جنبه إلا علياً وأهل بيته «عليهم السلام».

كما أن ظاهر هذه الرواية عن الإمام الحسين «عليه السلام»: أن الأمر بسد الأبواب قد سبق نفيه إياهم عن النوم في المسجد..

وفهم من حديث حذيفة بن أسيد: أن المنع من المبيت في المسجد خوفاً من حدوث جنابة قد سبق الأمر بسد الأبواب، لأنه كان في أول قدوم المهاجرين إلى المدينة، حيث كانوا يبيتون في المسجد، ثم بنوا لأنفسهم بيوتاً حول المسجد، وجعلوا أبوابها إليه، فأمرهم النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً بسدها.

وظاهر رواية أبي رافع: أنه نهى عن الأمرين في كلام وموقف واحد.. ولعل هذا حصل مرة ثالثة بعد حصول الأمرين معاً..

أضاف بعض الإخوة الأكارم قوله:

ويحتمل: أن يتقدم النهي، فلا يستجيب كل أحد، فينهاهم، وينهى مرة أخرى بسد الأبواب، فيستجيب الكل ويمتنعوا.

السنن الإلهية:

ويبقى هنا سؤال عن ربط الأمر بسد الأبواب الشارعة بالمسجد بموسى

وهارون، وابني هارون: شبر وشبير «عليهما السلام»، حيث ذكرت الروايات: أن الله تعالى أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً، لا يبيت فيه جنب، ولا يقرب فيه النساء إلا موسى وهارون وذريته «عليهم السلام».

وأن الله تعالى قد أجرى هذه السنة في هذه الأمة، فأمر الله النبي أن يبني مسجداً طاهراً لا يبيت فيه جنب، ولا يقرب فيه النساء إلا محمد، وأخوه علي، وابناه الحسن والحسين «عليهم الصلاة والسلام».

فإن من فوائد جريان هذه السنة:

أولاً: التأكيد على تميز هذه الأمة على سائر الخلق..

ثانياً: التأكيد على الانسجام بين منظومة السنن، والخصائص التكوينية والروحية، والتناغم والانسجام بين ما هو روحي، أو معنوي، وبين ما هو مادي، أو جسدي.. فبعد أن طهر الله الخمسة أصحاب الكساء، بقوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أصبح من الممكن تعقل أن يكون لطهارة المسجد صلة بطهارة أرواح ونفوس رواده وأهله، والمنتمين إليه خصوصاً هذه الصفوة من أهل الكساء.

ثالثاً: التأكيد على أن منزلة علي «عليه السلام» من النبي «صلى الله عليه وآله» هي نفس منزلة هارون من موسى، فإنه أخوه ووصيه، وشريكه، وناصره وما إلى هنالك..

ولأجل ذلك جاء في خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» المتقدمة عن أبي رافع، وحذيفة بن أسيد الغفاري: «..وإنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى، فلا يحلّ لأحد أن يقرب النساء في مسجدي، ولا يبيت فيه جنباً، إلّا عليّ

وذريّته»^(١).

ويزيد هذا الأمر وضوحاً، إذا استذكرنا الحديث الذي يقول: إن الله تعالى لم يعط نبياً فضيلة إلا وأعطاهما لنبيه «صلى الله عليه وآله»، وقد أعطى الله موسى هذه الفضيلة، فهي ثابتة لنبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

(١) بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٢ و ٣٠ و ٣٢ و ج ٧٨ ص ٦٠ و ٦١ و ج ٨١ ص ٥ و علل الشرائع ص ٧٨ و (ط أخرى) ص ١٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢٠٢ و تفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٧ و راجع: البرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٩٣ و (ط مؤسسة البعثة) ج ٣ ص ٤٦ و نور الثقلين (تفسير) ج ٢ ص ٣١٥ و كنز الدقائق (تفسير) ج ٦ ص ٨٨ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧١ - ٣٧٢ و وسائل الشيعة (آل البيت) ج ٢ ص ٢٠٨ و (الإسلامية) ج ١ ص ٤٨٧ و التفسير الصافي ج ٢ ص ٤١٤ و ٤١٥ و غاية المرام ج ٢ ص ١١٤.

الفصل الثامن

الحسان عليه السلام في حديث الغدير

الحسين عليه السلام يوم الغدير:

من المعلوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نص على أن علياً «عليه السلام» ولي للمؤمنين في أكثر من مقام. ثم أخذ له البيعة من عشرات الألوف من الناس في يوم غدير خم، في طريق عودته «صلى الله عليه وآله» من حجة الوداع، حيث أوقف الجموع في ذلك الموضع، وأمرهم بالبيعة له «عليه السلام».

وقد احتج أمير المؤمنين «عليه السلام» وناشدهم بحديث الغدير، وما جرى منه، فشهد له سبعون بدرياً، يقول «عليه السلام» في مناشدته: إن النبي قال: أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

وحين سأله سلمان: يا رسول الله، ولاؤه كماذا؟!

قال «صلى الله عليه وآله»: ولاؤه كولايتي، من كنت أولى به من نفسه، فعلي أولى به من نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

تقول الرواية: فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله، أنزلت هذه الآيات في علي خاصة؟!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بل فيه، وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا سلمان، اشهد أنت ومن حضرك بذلك، وليبلغ الشاهد الغائب.

فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله، بينهم لنا.

فقال: «علي أخى، ووزيرى، ووصيى، ووارثى، وخليفتى فى أمتى، وولى كل مؤمن بعدى، وأحد عشر إماماً من ولده.

أولهم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، واحداً بعد واحد. القرآن معهم، وهم مع القرآن، لا يفارقونه حتى يردوا علي الحوض». يقول حديث المناشدة هذا:

فقام اثنا عشر رجلاً من البدرين، فقالوا: نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله كما قلت سواء، لم تزد فيه، ولم تنقص حرفاً، وأشهدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ذلك.

وقال بقية السبعين: قد سمعنا ذلك، ولم نحفظه كله، وهؤلاء الاثنا عشر خيارنا وأفضلنا الخ..

ثم تذكر رواية المناشدة هذه: شهادة عمار، وأبي أيوب الأنصاري، وذى الشهادتين، وأبي الهيثم بن التيهان..

والحديث طويل.. وفيه تصريح: بأن المراد من آية التطهير: علي، وفاطمة،

والحسنان، وبقية الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»..
 وفيه تصريح بأسماء الأئمة «عليهم السلام»، حين أراد «صلى الله عليه وآله» أن يكتب للناس في مرض موته كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فمنعوه.
 ثم سأل عمر بن الخطاب عن مقصوده من أهل بيته في حديث الثقلين، فذكر أنه يقصد علياً، والحسين، والأئمة التسعة من ذرية الحسين «عليه السلام»^(١).
 فليراجع الحديث في مصادره..

ونقول:

لا ينحصر الأمر ببينة الغدير:

ما ذكرناه آنفاً كان موجزاً أو ملخصاً لل فقرات التي تعني موضوعنا، من نص مطوّل، أحببنا أن نتوقف عنده، لأنه ذكر الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام» بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والحسنان «عليهما السلام» هما من هؤلاء الأئمة الذين نصت على طهارتهم، وعصمتهم آية التطهير، وغيرها.
 ومن المعلوم: أن النص على إمامة علي «عليه السلام» للأئمة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا ينحصر بحديث الغدير، بل هناك عشرات النصوص

(١) كتاب سليم بن قيس ص ٧٤٨ - ٧٧٦ و (تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني - ط ١ سنة ١٤٢٢ هـ - ق. ١٣٨٠ هـ ش) ص ٢٩٧ - ٣٠٠ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٤١ - ١٥٩ ونبايع المودة ج ١ ص ٣٤١ - ٣٤٩ والولاية لابن عقدة ص ١٩٨ - ٢٠٢ وغاية المرام ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ و ٢٤٤ - ٢٤٦ و ٣٥٥ - ٣٥٦ وج ٣ ص ٣٣٥ - ٣٣٧.

الأخرى على ذلك، إن لم نقل المئات.

كما أن النصوص والدلائل على الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفيهم الحسن والحسين كثيرة.

وكل ذلك يدل على عدم صحة ما يزعمونه، من أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١). يعمّ جميع المؤمنين.. أو أن المقصود بالولاية: الصحبة، أو المحبة؟!

فساد هذه المزاعم قد دل عليه قول النبي «صلى الله عليه وآله» لسلمان: «ولاؤه كولايتي، من كنت أولى به من نفسه، فعلي أولى به من نفسه». وهذا الأمر يشمل سائر الأئمة الأحد عشر بعد علي «عليه وعليهم السلام».

تحصين نصوص الإمامة:

بالنسبة لقوله «صلى الله عليه وآله» في الرواية المتقدمة في ذكره لولاية علي، وباقي الأئمة «عليهم السلام» من بعده: «علي أخي، ووزير، ووصي، ووارثي، وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، وأحد عشر إماماً من ولده.. أولهم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين الخ..».

نقول:

قد دلّ قوله هذا - بما لا يدع مجالاً للشك - على أنه «صلى الله عليه وآله»، لا يتحدث عن محبة، ولا عن صحبة، أو وصاية على مال، أو أداء دين، أو

(١) الآية ٥٥ و ٥٦ من سورة المائدة.

بحفظ عائلته، أو نحو ذلك، بل الأمر أشمل وأعم من ذلك..

على أن هناك فقرة أخرى في الرواية المتقدمة أيضاً تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قال: «أن أنصب لكم إماماً، يكون وصيي فيكم، وخليفتي في أمتي، وفي أهل بيتي من بعدي»^(١).

ونستخلص من هاتين الفقرتين: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أراد أن يسدّ جميع المنافذ أمام المصطادين في الماء العكر، الذين يسعون لتحريف الكلم عن مواضعه. بادعاء أن مراده «صلى الله عليه وآله» لا يتناول الخلافة والإمامة والحاكمة في الأمة، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» بعد أن ذكر علماً «عليه السلام» بالأخوة له قال عنه:

ألف: إنه وزيره. والوزير هو المشارك في تدبير الأمور، والمعين على إنجازها. وهي لا تختص بشأن دون شأن، بل تشمل جميع الأمور التي يتولاها الأمير، بلا فرق بين شؤون الحرب والسلام، وإنجاز المهمات الاجتماعية العامة، والتربية والتعليم، والقضاء، وما إلى ذلك..

ب: ولو نوقش في شمول ذلك لما بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأصروا على حصر المعونة والتدبير بحال حياته «صلى الله عليه وآله»، فإنه «صلى الله عليه وآله» أضاف فقرة ترتبط بمرحلة ما بعد الوفاة، فقال: «ووصيي».. فإن هذا التعبير يستعمل لمرحلة ما بعد الوفاة.

ج: وحيث إن البعض قد يدعي أن المقصود قد يكون هو الوصاية بالمال

(١) بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٤٨ والمصادر المتقدمة للرواية.

والعيال، أو أداء الديون، أو نحو ذلك.. لا الوصية في مجال الحكم والسلطة على الأمة، فقد أضاف النص الآخر كلمة «فيكم»، فقال: «وصي فيكم» ليدل على أنها وصاية لها ارتباط بالناس، وهي تعني المرجعية لهم، والمحورية بينهم، واعتبارهم إياه ممثلاً للنبي «صلى الله عليه وآله» فيهم، ولو كانت وصية بخصوص المال والعيال، فلا حاجة لكلمة: «فيكم».

د: ولو حاول البعض التشكيك بهذا المعنى أيضاً، فقد أضاف «صلى الله عليه وآله» قوله: «ووارثي» ليدل على أنه يريد خصوص العترة التي تكون بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»، وأنه يريد أن يجعل له مقاماً هو له، تماماً كما يكون الإرث حقاً للوارث.. وأن المقام الذي يريد أن يمنحه إياه صادر عن شخص رسول الله، ويريد أن ينقله «صلى الله عليه وآله» إليه «عليه الصلاة والسلام».

ومن الواضح: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد بهذه الكلمة أن يمنحه وراثته المال، وذلك:

أولاً: لأن الأنبياء والأوصياء لا يهتمون بالمال وجمعه، وتوزيعه.

ثانياً: لأن الوارث للنبي «صلى الله عليه وآله» موجود، والحق بالأرث منحصر به، وهو فاطمة الزهراء «عليها السلام»، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» ليسلب حقاً نص الله تعالى في كتابه على أنه لشخص، ويمنحه لشخص آخر..

ثالثاً: إن وصول أي شيء إلى الزهراء «عليها السلام» لن يكون على «عليه السلام» بعيداً عنه، لأن الزهراء لن تمنعه عنه لو احتاج إليه..

على أن الزهراء وعلياً «عليهما السلام» لن يحتفظا بشيء من حطام الدنيا

لأنفسهما، كما دل عليه ما جرى في إطعام المسكين، واليتيم، والأسير، ونزول سورة «هل أتى» بهذه المناسبة.

وهذا يؤكد أن ما قصده «صلى الله عليه وآله» هو وراثته مقامه وموقعه في إدارة شؤون الأمة، وحفظ الدين.. وهذا هو ما ينتقل إلى خصوص الأئمة الاثني عشر من بعده، من إمام لإمام، ولا يتعداهم إلى أي من شركائهم في الأخوة النسبية.. مثل محمد ابن الحنفية وإخوته، فإنهم لا يشاركون الحسن والحسين في إرث هذا الموقع والمقام.. وكذلك الحال في باقي الأئمة مع إخوانهم.

هـ: ثم أضاف «صلى الله عليه وآله» صفة أخرى تقطع كل عذر، وتزيل كل شبهة، حيث قال: «وخليفتي في أمتي».

و: وقد يخطر ببال البعض أن يتذكى حتى على هذا التعبير الواضح والصريح، فيدعي أن الخلافة في الأمة ربما كانت لإنجاز أمر بعينه، فلا تكون شاملة لمعنى الولاية عليها، والتصرف بشؤونها على حد ولاية النبي وتصرفاته فيها، فجاء قوله «صلى الله عليه وآله»: «وولي كل مؤمن بعدي».. ليدحض هذه المزاعم أيضاً.

ز: وعند هذه الفقرة بالذات أطلق «صلى الله عليه وآله» التعميم ليشمل بقية الأئمة الاثني عشر «صلوات الله وسلامه عليهم»، ويمنحهم نفس هذا الموقع بجميع شؤونه وخصوصياته، بصورة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

ح: وأضاف في النص الآخر بعد قوله: «وخليفتي في أمتي» قوله: «وفي أهل بيتي بعدي» لكي لا يتوهم متوهم أن خلافته «عليه السلام» في الأمة لا

تعني أنه خليفته على أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله»، فضلاً عن أن يتوسع في أهل البيت ليدّعي شموله لسائر بني هاشم، ثم يدّعي أهل الريب والطمع الإمامة للعباس مثلاً أو لغيره من بني الحسن، أو من بني الحسين، أو أبناء جعفر، وغير ذلك..

وهذا ما حاول بنو العباس أن يدّعوه، وأن يسوّقوا له، فكان الأئمة الطاهرون يتصدون لهم، ويبطلون أقوالهم، حفاظاً على الحق، فيعرضون أنفسهم للبطش والتنكيل، ويتعرض شيعتهم لأنواع الملاحقة والأذى، والحرمان والكيد والقتل، والتشريد، وما إلى ذلك..

الأسئلة الذكية:

يلاحظ هنا: أن أسئلة سلمان للنبي «صلى الله عليه وآله» الذكية قد هدفت إلى إفشال خطط الطامعين والطامحين للتشويه والتحريف، والتلاعب بالنصوص الصادرة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خصوص هذا الأمر المصيري والحساس..

وهي تدل على أن سلمان كان على درجة عالية من الوعي، وعلى معرفة تامة بأساليب ونوايا أولئك الناس الذين لا يتورعون عن أي عمل تزويري، أو أي شبهة يرون أنها تخدم مصالحهم، وتقربهم من تحقيق أحلامهم.

الحديث المؤلم:

إن الحديث عن الأئمة الاثني عشر، وأنهم سيكونون هم الامتداد للرسالة، وعلة مبقية لها، من شأنه أن يدخل اليأس إلى قلوب أصحاب الأطماع،

ويضعف من قدرات أصحاب النوايا المبيّنة على تقويض دعائم الدين.. لأن التنصيب على الأئمة في مناسبة نزول آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(١). أفهمهم أن الأمر لا يقتصر على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ليظنوا أن إقصاءه أو اغتياله يحسم الأمر، وينتهي عند هذا الحد، ويخلو الجو لهم من بعده، بل سيكون له حفظة آخرون على مدى الأزمان.

سمات وملحات أخرى:

- إن الحديث تضمن أيضاً بيان نزول آية التطهير في الخمسة أصحاب الكساء.

وتضمن أيضاً: تصريح النبي «صلى الله عليه وآله» بأسماء الأئمة الاثني عشر، في مرض موته، حين طلب أن يأتوه بكتف ودواة، ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فقال أحدهم: إنه يهجر، أو نحو ذلك..

وفيه أيضاً: أن عمر سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن مقصوده من أهل بيته في حديث الثقلين، فذكر «صلى الله عليه وآله» له: أنه يقصد علياً، والحسن والحسين، والأئمة التسعة من ذرية الحسين «عليه السلام».

وكل ذلك يدل على أن حديث الثقلين، وآية إكمال الدين، وآية إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، وإرادة كتابة الكتاب في مرضه «صلى الله عليه وآله»، وآية التطهير، والتصريح بأسماء الأئمة الاثني عشر - إن ذلك كله وسواه - كان ثقيلاً جداً على قلوب فئات من الناس، وقد أوجب لهم همّاً وغمّاً

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

عميقين.

وقد ظهرت منهم بسبب ذلك بوادر تمرد وجرأة غير مسبوقة، خصوصاً في مرض موت النبي «صلى الله عليه وآله».. وقد استمر هذا الانفعال وتعاضم حتى تجلى على شكل عدوان صريح.. أظهر أن ثمة غضباً هائلاً، وغلاً قاتلاً دعاهم للإقدام على ضرب الزهراء، وإسقاط جنينها، ومحاولة إحراق بيتها بما فيه، وكانت هي وعلي والحسنان «عليهم السلام» فيه.. فإننا لله، وإننا إليه راجعون.

الإشهاد على ما جرى والإلزام بنقله:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لسلمان: «يا سلمان، اشهد أنت ومن حضر بك بذلك، وليبلغ الشاهد الغائب».

إلى أن تقول الرواية: «فقام اثنا عشر رجلاً من البدرين، فقالوا: نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله كما قلت سواء.. لم تزد فيه، ولم تنقص حرفاً، وأشهدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ذلك».

وقال بقية السبعين: قد سمعنا ذلك، ولم نحفظه كله، وهؤلاء الاثنا عشر خيارنا وأفضلنا الخ».

وأحب لفت النظر إلى:

١ - أن هذا الكلام إنما قاله أمير المؤمنين «عليه السلام» في خطبة له في عسكره ناقلًا له عن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أرسل إليه معاوية أبا هريرة، وأبا الدرداء. ثم ناشد «عليه السلام» الناس أن يشهدوا على صحة

كلامه، فشهدوا له على النحو الذي ذكرناه^(١).

٢ - إن طلب النبي «صلى الله عليه وآله» الشهادة بما جرى من سلمان، وممن حضر يشير إلى أنه كان يعلم أن ثمة من سينكر هذا الأمر، وستظهر الحاجة إلى الشهادة به.

٣ - أما قوله «صلى الله عليه وآله»: «وليلبلغ الشاهد الغائب» فيدل أيضاً على مدى اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بنشر هذا الأمر، وإشاعته في الناس. كما أنه يدل على أهمية هذا الأمر في نفسه، لأن الإمامة نظام الأمة، وسبب بقاء الدين، وبها يرتبط مصير الأمة، ويحفظ الدين، ويصان من التحريف وغيره. وهي جزء من عقائده، وحقائقه، لا يمكن التخلي عنه، أو العبث به، أو تخطيه..

العبدان الصالحان من هما؟!:

عن بشر، عن جرير بن عبد الله البجلي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخذ يوم الغدير بذراع علي «عليه السلام» وقال:
«من يكن الله ورسوله مولاه، فإن هذا مولاه.
اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

اللهم من أحبه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً.
اللهم إني لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدین الصالحین^(٢)

(١) راجع: بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٤٧ و ١٤٨.

(٢) الغدير ج ١ ص ٢٣ وخلاصة عبات الأنوار ج ٩ ص ١١٣ و ١١٤ وكنز العمال ج ١٣

غيرك^(١)، فاقض له بالحسنى».

قال بشر: قلت: من هذان العبدان الصالحان؟!

قال: لا أدري^(٢).

ص ١٣٨ و ١٣٩.

(١) راجع: الغدير (تحقيق مركز الغدير للدراسات) ج ١ ص ٦٢١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٦ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ٣٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٣٦ والإكمال في أسماء الرجال ص ٣٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٦ ص ٥٦٤ وج ٣٠ ص ٤٢٢ عن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٥٨ وهداية العقول ص ٣١.

وقال في كتاب على ضفاف الغدير: وأخرجه عنه أحمد بن عيسى المقدسي في الجزء الثاني من فضائل جرير بن عبد الله البجلي الموجود في المجموع ٩٣ في المكتبة الظاهرية. أخرجه في الورقة ٢٤٠.

وأخرجه ابن عساكر في تاريخه: رقم ٥٨٧، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ص ١٧ ص ٣٥٨ والقرافي في نفحات العبير الساري: ق ٧٦/ب، والسيوطي في جمع الجوامع ص ١ ص ٨٣١ وفي قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص ٢٧٧ ح ١٠٢ والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص ٢٠٦ والشوكاني في در السحابة ص ٢١٠ والكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر ص ١٩٤ وإسحاق بن يوسف الصنعاني في تفريج الكروب في حرف الميم.

(٢) الغدير ج ١ ص ٢٣ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٦ والمعجم الكبير ج ٢ ص ٣٥٧ و ٣٥٨ والإكمال في أسماء الرجال ص ٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٣٦ وشرح إحقاق الحق ج ١٦ ص ٥٦٤ وج ٣٠ ص ٤٢٣ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٠٨ وقال: أخرجه الثلاثة. يريد: ابن عبد البر، وابن مندة، وأبا نعيم.

وقال العلامة الأميني نقلاً عن تعليق هداية العقول^(١):

لعله أراد بالعبدین الصالحين أبا بكر وعمر.

وقيل: الخضر والياس.

وقيل: حمزة وجعفر «رضي الله عنهما»، لأن علياً «عليه السلام» كان يقول

عند اشتداد الحرب: وا حمزتا ولا حمزة لي! وا جعفرأه ولا جعفر لي! (٢).

أقول: هذا رجم بالغيب، إذ لا مجال للنظر في تفسير العبدین الصالحين

بمن ذكر إلا أن يعثر على نص..

والظاهر عدم ذلك، لما ذكره «سيدي العلامة بدر الدين محمد بن إبراهيم

بن المفضل رحمه الله» لما سأله بعضهم عن تفسير الحديث، فأجاب بما لفظه:

لم أعر عليه في شيء من كتب الحديث، إلا أن في رواية مجمع الزوائد ما

يدل على عدم معرفة الراوي أيضاً بالمراد بالرجلين، لأن فيه قال بشر، أي

الراوي عن جرير: قلت: من هذان العبدان الصالحان؟!

قال: لا أدري.

قال «رحمه الله»: ومثل هذا إن لم يرد به نقل فلا طريق إلى تفسيره بالنظر^(٣).

(١) تعليق هداية العقول ص ٣١.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١١ ص ١١١ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦٢٤

والدرجات الرفيعة ص ٦٥ وأعيان الشيعة ج ٤ ص ١٢٦ وج ٦ ص ٢٤٤ وغاية

المرام ج ٥ ص ٣٤٦ وج ٦ ص ١٩ وسفينة النجاة للتكابني ص ٣٠٧.

(٣) الغدير ج ١ ص ٦٢ عن هداية العقول ص ٣١.

ونقول:

ليس المراد هؤلاء:

لم يوضح حديث جرير بن عبد الله البجلي من هما العبدان الصالحان، وقد اختلفت الأقوال فيهما كما رأينا.

وما قالوه، من أن المراد بهما: أبو بكر وعمر، أو الخضر وإلياس، أو حمزة وجعفر لا مجال للاعتقاد عليه، لأنه يواجه المآخذ التالية:

أولاً: إنها احتمالات اقتراحية، لا تستند إلى نقل، ولا تستأنس بشاهد.. ومثل هذه الأمور لا تدرك بالتظني، إلا من خلال تلمس الدلائل والشواهد المعقولة والمقبولة.

ثانياً: إن إرادة أبي بكر وعمر من العبدین الصالحين لا تستقيم، إذ لا يمكن أن يحفظ هذان الرجلان وديعة لها ارتباط بعلي بن أبي طالب «عليه السلام»، فضلاً عن حفظهما نفس علي «عليه السلام»، كما أثبتته الأحداث التي حصلت يوم وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنهما قد هاجما تلك الوديعة، وأرادا القضاء عليها، حتى بإضرار النار في البيت الذي هي فيه، وإحراقه بكل ما فيه..

كما أن أبا بكر قد حاول مرة أخرى قتل علي «عليه السلام» وهو يصلي من خلال خالد بن الوليد.

يضاف إلى ذلك: أن عمر أمر بقتل علي «عليه السلام» في الشورى، التي أراد منها أن تأتي بعثمان دون سواه.

ثالثاً: إن ظاهر كلامه «صلى الله عليه وآله» أنه يستودع عبيدين صالحين

كانا على قيد الحياة في لحظة كلامه عنهما.. وهما سوف يبقيان حين إلى ما بعد وفاته، فإنه لم يكن يريد أن يستودع الأمانة عند رجلين ميتين، لأن الهدف من جعل أمير المؤمنين «عليه السلام» أمانة عندهما، هو: أن يحفظا تلك الأمانة من أي سوء..

وحمة وجعفر قد استشهدا في حياته «صلى الله عليه وآله»، لأن النبي قال هذا الكلام في يوم الغدير الذي كان قبيل وفاته «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً، وقد استشهد جعفر في غزوة مؤتة في سنة ثمان، واستشهد حمزة في غزوة أحد في سنة ثلاث..

رابعاً: بالنسبة للخضر وإلياس نقول: إنهما كانا غير قادرين على القيام بمهمة الحفظ هذه إذا أوكلت إليهما، لأنهما كانا غائبين عن الأنظار، فلا يتيسر لهما الدفاع عن علي «عليه السلام»، أو حراسته، أو تلبية حاجاته في الشهادة له بالحق والصدق، أو ردّ الأباطيل، وبيان زيف الأضاليل التي تستهدفه..

إرادة الحسنين عليهما السلام أصوب:

١ - وبعدهما تقدم نقول: إن الأقرب إلى الاعتبار، والمؤيد بالواقع العملي هو: أن العبدین الصالحين اللذين يتحملان مسؤولية حفظ هذه الأمانة، والدفاع عنها، وحفظ نهجها، هما: الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقد كانا في يوم الغدير على قيد الحياة.

وهما القادران على ذلك من موقع الإمامة، والعصمة، والعلم والدراية، والإخلاص.. وبسبب ما حباهما الله ورسوله به من كرامات وفضائل،

وشواهد ودلائل، تُظهر مكانتهما عنده..

فآيات القرآنية والبيانات النبوية تشهد، وتؤكد على أنها هما الامتداد لمقام الإمامة، وهما اللذان يحفظان نهج أبيهما وأهدافه، ويضمنان استمرار أطروحته.

٢ - وهذا يدل على بقائهما «عليهما السلام» في خط السلامة والاستقامة، وأعلاماً للأمة في الإمامة.. وهذا ما حصل بالفعل، فالحسنان هما اللذان أسهما ببقاء نهج علي، وحفظاه في إمامته، وطهره، وعلمه.. وأبقياه حياً في ضمير الأمة ووجدانها.. ثم تابع الأئمة «عليهم السلام» من ذريتهما هذه المسيرة المباركة حتى النهاية.

الباب السابع:

إيثار.. وشهامة..

الفصل الأول

الحسنان عليه السلام في سورة هل أتى..

الحدث الرابع:

وقد حفلت الروايات الكثيرة: بأن سبب نزول سورة «هَلْ أَتَى»: هو أن الحسين «عليهما السلام» مرضا، فعادهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبعض من أصحابه.. وجعل علي على نفسه، وكذلك الزهراء، والحسنان «عليهم السلام»، وفضة «رحمها الله»: أن إذا عافهما الله: أن يصوموا ثلاثة أيام شكراً لله تعالى.

فألبسهما الله سبحانه عافيةً، فأصبحوا صياماً، وليس عندهم طعام، فحصل علي «عليه السلام» على ثلاثة أصوع من شعير، جاء بها للزهراء «عليها السلام» مقابل أن تغزل جزة صوف ..

فغزلت ثلث الصوف، وطحنت صاعاً من الشعير، وخبزت منه خمسة أقراص بعددهم..

فصلى علي «عليه السلام» مع النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم أتى منزله، ووضع الطعام، فأول لقمة كسرها علي «عليه السلام» إذا بمسكين قد وقف على الباب، وطلب أن يطعموه، فوضع علي «عليه السلام» اللقمة من يده .. ودفعوا ما على الخوان إلى المسكين، وأصبحوا صياماً، لم يذوقوا إلا الماء القراح.

وفي اليوم التالي تكرّرت القضية برمتها، حيث جاءهم يتيم هذه المرة، بمجرد أن كسر الإمام علي «عليه السلام» اللقمة، فأعطوه ما على الخوان، وباتوا جوعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح.

وهكذا جرى أيضاً في اليوم الثالث، حيث جاءهم أسير من أسراء المشركين، وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسرونا، وتشدوننا، ولا تطعمونا. فوضع علي اللقمة من يده، وأعطوه ما على الخوان، وباتوا جوعاً، وأصبحوا مفطرين، وليس عندهم شيء.

وأقبل علي «عليه السلام» بالحسن والحسين «عليهما السلام» نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فقال «صلى الله عليه وآله»: يا أبا الحسن، أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة.

فانطلقوا، وهي في محرابها، قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع، وغارت عيناها.. فلما رآها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضمها إليه، وقال: وا غوثاه، بالله أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟!

فهبط جبرئيل، فقال: يا محمد، خذ ما هياً الله لك في أهل بيتك.

فقال: وما آخذ يا جبرئيل؟!

قال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾^(١) «(٢)».

(١) الآية ١ من سورة هل أتى.

(٢) راجع: الأماي للصديق (ط مؤسسة البعثة) ص ٣٢٩ - ٣٣٣ وتفسير نور الثقلين

وذكرت بعض النصوص: أن هذه السورة قد نزلت في الخامس والعشرين من ذي الحجة^(١).

ونقول:

لا نريد أن نتوسع في الحديث عن هذا الأمر، الذي ذكرنا شطراً وافراً مما يتعلق به في كتابنا: «تفسير سورة هل أتى» التي نزلت في هذه المناسبة، والجزء الثامن من كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام».. بل نريد أن نقتصر على بعض اللمحات.. ولا سيما ما كان منها مرتبطاً بالإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام»، فنقول:

لماذا بلا طعام ثلاثة أيام؟!

إن أول ما يواجهنا هنا هو السؤال الذي يقول: ما المبرر لبقاء هذا الجمع بلا طعام ثلاثة أيام؟!

ج ٥ ص ٤٧٤ و ٤٧٧ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٤١٢ و ٤١٣ و (ط مؤسسة البعثة) ج ٥ ص ٥٤٩ - ٥٥٢ وروضة الواعظين ص ١٦٠ - ١٦٣ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ١ ص ١٧٧ - ١٨٣ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٦٣ - ٢٦٧ وينابيع المودة ج ١ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ وغاية المرام ج ٤ ص ١٠١ - ١٠٤.

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٤٨ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٧٣ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٤ ص ٥٦ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٤٢ و ٢٥٥ وج ٩٥ ص ١٩٨ وج ٩٧ ص ٢٠٢ و ٢١٠ و ٣٨٤ ومستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٢٦٢ والعدد القوية ص ٣١٥ ومصباح المتعجد ص ٧٦٧ وغنائم الأيام ج ٦ ص ٨١ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٢٦٢.

فإن المفروض: أن علياً «عليه السلام» قد حصل على ثلاثة اصوع من شعير جاء بها للزهراء «عليها السلام» مقابل غزل جزء صوف، فغزلت ثلثها في اليوم الأول، وطحنت وعجنت وخبزت صاعاً، فحصلت على خمسة أقراص بعدد الصائمين. فإذا كانوا قد تصدقوا بأقراصهم على المسكين في اليوم الأول، فلماذا لم تعتمد إلى طحن وخبز صاع آخر من الشعير، ليأكلوا ويطعموا أولادهم تلك الليلة؟!

وبجواب:

أولاً: لعل صاحب الغزل اشترط عليهم أن لا يتصرفوا من الشعير، إلا بما يوازي ما يغزل من الصوف..

ويؤيد ذلك: تصريح الرواية: بأنها «عليها السلام» قد غزلت ثلث الصوف، وطحنت ثلث الشعير..

ثانياً: لعل صاحب الصوف لم يسلمهم من الشعير إلا بمقدار ما تم غزله في ذلك اليوم.. وهذا ما حصل في اليوم الثاني والثالث.

ويمكن مناقشة هذا الاحتمال: بأن النص يقول: إن علياً «عليه السلام» جاء بثلاثة أصوع من شعير..

إلا أن يقال: إن الاتفاق قد تم على ذلك، لكن التسليم كان تدريجياً.

ثالثاً: حتى لو كان الشعير حاضراً عندهم، فمن الذي قال: إن وسائل الاستفادة منه في ذلك الليل كانت متاحة، فلعل الوقود لم يكن متوفراً، ولم يكن بالإمكان تهيئة الحطب في ظلمة هذا الليل، ولعل القيام بنشاط فيه حركات وأصوات كان يؤذي الآخرين من الجيران، أو كان يخرج علياً وأهل

البيت «عليهم السلام».. ولعل آلة الطحن لم تكن بحوزتهم، كما لو كانوا قد استعاروها ثم أرجعوها.. ولعل.. ولعل..

لماذا بذل الصائمون كل ما عندهم؟!

١ - قد يراود ذهن البعض سؤال آخر يقول: ألم يكن يكفي ذلك السائل قرص واحد من أصل خمسة، ليسد به جوعته، وتبقى أربعة أقراص يتقاسمها الخمسة فيما بينهم؟!!

بل قد يرى البعض: أن التصدق بما يوقع المتصدق بالخرج والخطر في نفسه، وفي أهل بيته.. ولا سيما بملاحظة قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾^(١).

والعفو: هو ما زاد عن منفعة العيال..

ويجاب:

أولاً: إن كل واحد من أهل البيت «عليهم السلام» هو الذي تصدق بما يخصه، لينال ثواب ذلك، ولم يكن رب العيال هو الذي تبرع بنصيب هذا الفرد أو ذاك..

والشاهد على ذلك: أن الله تعالى قد أثنى على الجميع في سورة هل أتى، ولم يثن على خصوص رب العائلة..

كما أنه قد قرر المثوبة للجميع.. والمثوبة إنما هي على الفعل المحبوب للشارع، إذا صدر عن إرادة واختيار ممن له الحق بالتصرف.

(١) الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

ثانياً: إن قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١). يدل على جواز البذل بالمقدار الذي يصل الأمر فيه إلى هذا الحد.

وقد روي عن أبي هريرة - والفضل ما شهدت به الأعداء -: أن رجلاً جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء.

فقال «صلى الله عليه وآله»: من لهذا الرجل الليلة؟!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنا له يا رسول الله.

فأتى فاطمة «عليها السلام» وسألها: ما عندك يا بنت رسول الله؟!

ف قالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، لكننا نؤثر ضيفنا به.

فقال علي «عليه السلام»: يا بنت محمد «صلى الله عليه وآله»، نؤمي الصبية

واطفئي المصباح..

وجعلا يمضغان بالسنتهما.

فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج، فوجدت الجفنة مملوءة من فضل

الله.

فلما أصبح صلى مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما سلم النبي من صلاته

نظر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وبكى بكاء شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين،

لقد عجب الرب من فعلكم البارحة، اقرأ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ

بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. أي مجاعة. ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾. يعني: علياً، وفاطمة،

والحسن، والحسين «عليهم السلام» ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وهناك روايات عديدة تدل على جواز الإيثار على النفس إلى هذا الحد.

ثالثاً: إن تحقق الخطر المانع من البذل في مثل هذا المورد غير ظاهر، وإن كان هناك درجة من الحرج في بعض المراتب..

رابعاً: إن الآية التي تقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾^(٢).

تدل على نفي وجوب الإيثار على النفس.. ولا دلالة فيها على نفي استحبابه، أو رجحانه، وحسنه، واستحقاق المثوبة الجزيلة عليه، لأن الآية تريد تحديد أقل المطلوب في الصدقة، وهو الذي يقدر عليه الناس، والذي دل عليه سؤال عامة المسلمين عن مقدار الإنفاق، فذكر لهم المقدار الذي لا حرج فيه على أحد.

قال بعض الإخوة الأكارم:

ولو سلم دلالة الآية أو غيرها على نفي مشروعية الإيثار في مثل المورد لأمكن الالتزام بجوازه ورجحانه، بل قد يتعنون بعنوان يستلزم وجوبه في حق الأئمة المعصومين «عليهم السلام»، على قاعدة - قول أمير المؤمنين «عليه السلام» -: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أُمَّةِ الْعَدْلِ: أَنْ يَقْدَرُوا أَنْفُسَهُمْ

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٨ و ص ٣٤ وج ٣٦ ص ٥٩ ومناقب آل أبي طالب (ط دار

الأضواء) ج ٢ ص ٨٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٤٧ والأُمالي للطوسي

ص ١١٦ وعن كثر جامع الفوائد، وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٤٦ ومجمع البيان ج ٩

ص ٢٦٠ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٣١٧.

(٢) الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

بِضَعْفَةِ النَّاسِ، كَيْلًا يَتَّبِعَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ»^(١).

خامساً: إن صدور الإنفاق إلى هذا الحد عن أهل بيت النبوة، وهم المعصومون المطهرون يدل على جواز الإنفاق، ولو بلغ إلى هذا الحد، لأن الشريعة تؤخذ منهم.

٢ - لعل السبب في هذا البذل وعدم الاقتصار على ما يسد جوعة الطالب: أولاً: هو احتمال أن يكون للمسكين عيال، ومع الأسير أسرى، ولليتيم أخوة أو أخوات، وأم، يحتاجون لهذا الزائد.

ثانياً: مع غض النظر عن ذلك، فإن المسكين واليتيم، والأسير الذين لا مصدر رزق لهم، يحتاجون إلى السكينة والطمأنينة، والإحساس بالأمان، وبعث الأمل في نفوسهم من جديد، لكي يجدوا فرصة للتفكير والحركة في طلب الرزق من أبواب أخرى، تمنح الواحد منهم الشعور بالكرامة، وتصون ماء وجهه، وتعيد له الثقة بنفسه، والأمل بحياة أفضل.

هذا هو محور كلامنا:

ثم إن في حديث إطعام المسكين والأسير مواضيع عديدة يمكن أن تكون منطلقاً للبحث الغني، والمفيد للعظات والعبر، ويمكن أن نجد فيه من الحقائق والدقائق، ما نحن بأمس الحاجة إليه، لكن التوسع في البحث إلى هذا الحد ربما لا يكون مستساغاً في كتاب حُدِّدَ هدفه، وموضوعه في نطاق خاص وهو تاريخ وسيرة الإمام الحسن «عليه السلام»، الأمر الذي لا يسمح بالاستطراد إلى

(١) نهج البلاغة (شرح عبده) ج ٢ ص ١٨٨.

بحوث موسعة تُخرج الكتاب عن سياقه..

ولكننا لا نبالغ إذا قلنا: إن شراكة الحسين «عليهما السلام» في هذا الحدث، أعطته مزيداً من الفرادة، والأهمية، وأثرته بالدلالات، وجعلته حدثاً مميزاً وغنياً، بل لا نظير له في تاريخ البشرية، فيما نعلم..

من أجل ذلك، سيكون محور كلامنا هو هذه الشراكة الفريدة والمجيدة للحسين «عليهما السلام» وما لها من دلالات، وما اكتنفها من حالات..

وقد جعلنا مرتكز كلامنا: هما الآيتان اللتان وردتا في سورة هل أتى، وهو قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(١).

فنقول، ونتوكل على خير مسؤول ومأمول:

إطعام المسكين:

١ - قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾، ولم يقل: يبذلون، أو يعطون، أو يتصدقون بالطعام، فهل السبب في ذلك: أنها أطعماه الطعام، فأكله آخذه أمام أعينها بصورة فعلية، كما هو ظاهر كلمة ﴿يُطْعَمُونَ﴾، ثم اصطحب ما بقي منه، وذهب؟!!

فإن كان هذا قد حصل، فهو منتهى الإيثار، وهو يدل على مزايا فريدة، وملكات راسخة، جعلتهما - أعني الحسن والحسين «عليهما السلام» - يتصدقان بالطعام وهما بأمس الحاجة إليه بعد يوم طويل أمضياه صائمين،

(١) الآية ٨ و ٩ من سورة الإنسان.

ثم إنهما تصدقا به في لحظة إفطارهما، وقد كادا أن يمددا أيديهما إلى ذلك الطعام..

فإذا كان قد أكل طعامهما أمام أعينهما، وهما يعلمان: أنه ليس عندهما سواه، ولا يمكنهما الحصول على بديل له إلى ما بعد ليلة ويوم من تلك اللحظة.. فإن ذلك يعطيها المزيد من الكرامة، ويضاعف لهما المثوبة.

وقد جاء بذلها طعامهما في لحظة إفطارهما، لا في لحظة الصيام التي لا يرغبان فيها بالطعام، والتي قد يتوقعان فيها حصول بديل عما بذلاه في اللحظات التالية، إلى أن يحين وقت الإفطار.

٢ - يلاحظ: أنهم لم يبذلوا له مالا يمكن أن يشتري ما يشاء من طعام أو غيره، فإن بذل القيمة أسهل من بذل طعام حاضر، له شكل ولون وطعم، ورائحة، يشعرون بالحاجة إليه، ويثير جوع الصوم المزيد من الرغبة بتناوله.

٣ - إنه تعالى لم يقل: «أطعموا الطعام»، لأن صيغة الماضي تفيد مجرد حصول الحدث في وقته وانتهى الأمر.. وربما يكون قد نشأ عن ارتجال، أو نخوة، أو فورة عاطفية، أو أريحية فرضت نفسها..

أما صيغة المضارع في قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ﴾، فهي تشير إلى الدوام والاستمرار، وأن الإطعام استغرق زماناً.. أو لأن تكرار الإطعام في الأيام الثلاثة تكشف عن خلق وسجية في المطعمين، كما أشار إليه بعض الإخوة الأكارم. كما أن هذه الصيغة قد يفهم منها: أن الإطعام هو طريقتهم المستمرة، وديدهم الثابت.. وأن تواصله يأتي عن التفات، واختيار، وإرادة تجدد فيه، ويتجدد معها المراد.

الجملة الاعتراضية:

ثم قال تعالى: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ لتكون جملة اعتراضية بين قوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾.. وقوله تعالى: ﴿مُسْكِينًا وَيتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

والضمير في كلمة ﴿حُبِّهِ﴾ يعود للطعام - أي بالرغم من حب الطعام - ولا يعود إلى لفظ الجلالة، المفهوم ضمناً..

أولاً: لأنه لو عاد إلى لفظ الجلالة لصار قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ تكراراً لنفس المعنى.

ثانياً: لو كان الضمير راجعاً إلى الله لكان المناسب أن يقول: «لحب الله». أي لأجل الحب.. ولا يقول: «على حب الله».. التي تفيد: أنهم يبذلون الطعام، بالرغم من حبهم له.

٢ - وهنا سؤال يقول: هل كان أهل البيت «عليهم السلام» يحبون الطعام؟! وهل ينسجم هذا مع زهدهم وإيثارهم، ومع معرفتهم بالله، وبما يحب الله؟!
وبجواب:

بأن أهل البيت لا يحبون الطعام لذاته، وبما هو طعام، أو لكونه لذيذاً.. وهو مما يتنزه عنه الأبرار الأخيار، والأطهار المعصومون المكرمون.. بل هم يحبونه ليحفظ لهم حياتهم، وقدرتهم على طاعة الله عز وجل، وأداء فرائضه، وتحقيق غاياته.. ولكي يفوا بنذرهم، ويقوموا بواجب الشكر والعبادة في الليل، وطلب رضا الله بالصوم في النهار.

وربما يؤكد هذا المعنى: أن الطعام الذي يحبونه ليحفظ لهم حياتهم وقوتهم ليس من الأطعمة اللذيذة والشهية التي تتهافت النفوس عليها، وتحن إليها،

بل هو قرص من طحين الشعير، الذي كانت أجسادهم تحتاجه لحفظ خيط الحياة بعد يوم صوم طويل.

لماذا تنوين التنكير؟!

وقد قال تعالى: ﴿مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ فجاءت الكلمات الثلاث منكّرة، حيث لم يقل: يطعمون المسكين، واليتيم، والأسير..

ولعل سبب ذلك: أن إضافة لام التعريف، قد توهم: أنها لام العهد، فالقصد: هو المسكين واليتيم، والأسير المعروف والمعهود..

مما يعني: أن المعرفة باليتيم والمسكين والأسير قد تكون هي التي تدعو للإعطاء والبذل، فهو إعطاء لمن لا يستطيع المعطي رد طلبه لكونه يعرفه، إذا كان من قومه، أو من ذويه، أو كان جاره، أو من بلده.. وربما تمازجت هذه الدواعي مع المشاعر الإنسانية أيضاً..

ولكن إذا جردت الكلمات الثلاث من اللام التي يحتمل أن تكون عهدية، وصارت نكرات.. فإن السامع يفهم: أن سبب الإطعام هو نفس حالته الظاهرة، وهو مسكنته، أو يتمه أو أسيريته.

وبذلك يفسح المجال، وتبلور الرغبة، لمعرفة الدافع للإطعام.. هل هو بداعي الحصول على الجزاء، أو استجلاب الشكر، أو الحمد، أو المدح من الناس، أو من طالبه، أو تقرباً لله تعالى؟! فيأتي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ ليحسم الأمر، وتكون النتيجة هي: أن المحرك هو الشعور الإنساني الذي تثيره الحالة الماثلة، وهي المسكينية

واليتيمية، والأسيريّة، والهدف إيماني، وهو نيل رضا الله تعالى، وما عداه باطل، وغير واقعي، كما دل عليه قوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

النتجج أظهر الكوامن:

والناظر فيما جرى يدرك: أن ما جرى في الأيام الثلاثة، من مجيء المسكين في اليوم الأول، ثم اليتيم في اليوم الثاني، ثم الأسير في الثالث، هو الذي أسهم في إظهار كوامن المعاني، ونوادير الصفات في الباذلين..

وقد وصفت الآية، وكذلك الرواية هذا الذي جرى، بدقة، وقد توافقت وتطابقت بصورة تدفع أي توهم للتصرف بالتقديم والتأخير، لدواعي بيانية أو غيرها.

وكان وجود الحسين «عليهما السلام» في متن الحدث هو العنصر الأكثر حساسية، والأشد إثارة، ولا سيما مع تضائل المحفزات في سيرها التنازلي في الطرف الآخر، المبذول له،، حيث انتقلت من المسكين إلى اليتيم، ثم منه إلى الأسير..

ولكن حالة الباذلين، وخصوصاً في الحسين «عليهما السلام»، اللذين كانا طفلين، لا يزيد عمرهما على ست، أو سبع سنوات - كانت هذه الحالة في جانب هؤلاء - تزداد تأزماً وحِدَّةً في مستوى الجهد والمشقة التي يتحملونها، كل يوم بالنسبة إلى سابقه، حيث كانت الشدائد تتراكم عليهم بصورة هائلة.. وقد أثر ذلك في أجسادهم بصورة ظاهرة، إلى الحد الذي دعا النبي «صلى الله عليه وآله» إلى القول مستغيثاً: «واغوثةاه، بالله أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟!»!

فأنزل الله تعالى سورة هل أتى بهذه المناسبة..

المسكين أولاً:

١ - تقدم: أن الذي جاء يطلب المعونة في الليلة الأولى هو المسكين، وقد قيل له ذلك، لأن الفقر أسكنه عن الحركة، وأصبح يرى نفسه عاجزاً عنها، أو أنه أصبح يرى أنها غير ذات جدوى.. فلم يعد يفكر بالسعي لتحصيل المال من طريق العمل، في تجارة، أو إجارة، أو نحوها.. ففقد حيويته، وذهبت ربحه، وتضاءلت لديه نفسه..

وهذه حالة تؤثر في نفوس الناس عادة، وتستثير المشاعر الإنسانية.. فتتلور الرغبة لديهم في معونته، والتخفيف عنه، وتتضاعف هذه الرغبة بتوقع الثوبات الإلهية، والتوفيقات الربانية لمن يفعل ذلك.

٢ - وفي حالات الصيام، وما ينتج عنه من شعور الصائم بالحاجة الطبيعية إلى الطعام، فإن بذل هذا الصائم، الطعام للمسكين سيكون صعباً، ولكنه حين يواجه بمشاعر الشفقة، والرغبة بالثوبات الإلهية.. سوف يهون. وهذا ما حصل بالفعل، فقد شارك كل فرد فرد من أهل البيت «عليهم السلام» في البذل، لأن المحرك للبذل كان حاضراً وفاعلاً لدى الجميع.. وأعطوه كل ما عندهم، لأنهم يريدون أن تدب الحركة في قناعة ومشاعر، وكل وجود هذا المسكين، ويصبح أكثر حيوية ونشاطاً، ويتحرك، ويبادر..

مع أنه كان يمكنهم الاكتفاء بمساواة المسكين بأنفسهم.. فيعطونه نصيب واحد منهم، ثم يقتسمون الباقي.

اليتيم في اليوم الثاني:

١ - ويطوي الصائمون ليلتهم الأولى من دون طعام، ويكتفون بشرب

الماء، ويأتي اليوم الثاني.. فيصومون، ويصوم الحسان أيضاً، وتغزل سيدة نساء العالمين الثلث الثاني من الصوف، وتطحن الثلث الثاني من الشعير، وتخبز لهم أقراصاً بعددهم، وجاء وقت الإفطار، ووضعت الأقراص أمام الصائمين، الذين أنهكهم الجوع نتيجة يومين متوالين من الصوم.. لم يذوقوا فيها طعاماً.. الأمر الذي من شأنه أن يضاعف درجة الحرص على هذا الطعام، ويؤكد الرغبة بالاستفادة منه.. ولا سيما بالنسبة للحسين «عليهما السلام» اللذين كانا في سن الأطفال، ولم يذوقا طعاماً طيلة يومين كاملين.

٢ - فجاء اليتيم طالباً وراغباً.. واليتيم يكون عادة موضع شفقة وعطف من الناس، لا لفقره، فلعله يملك ما يكفيه، ويريد الحصول على المزيد، بل يعطفون على اليتيم ليطمه، بسبب حاجته للرعاية، والكفيل، والمدير، والضامن لمستقبله.. وإن كانت الشفقة تزداد إذا علم أنه محتاج إلى الطعام أيضاً.

٣ - لكن مسألته لا تثبت حاجته بصورة يقينية، وليس في ظاهر حاله ما يدل على وجودها، بخلاف المسكين الذي هدم الفقر تماسكه، وربما أصبح في سن لا يقدر معه على العمل.. في حين أن اليتيم يكون - عادة - في مقتبل عمره، وبكل طاقته.. فالفقر والحاجة ليس هو المحرك الأقوى لبذل الطعام لليتيم، بل احتمال ذلك فقط هو المحرك.. وهذا أضعف من المحرك لبذل الطعام للمسكين.

٤ - ويزداد ضعف تأثير هذا الاحتمال في البذل لليتيم: أن اليتيم قد جاء بعد مرور يومين على الباذلين، وفيهم من هو في سن السادسة، أو السابعة،

لم يذوقوا فيها طعاماً أصلاً.

٥ - ويتأكد ضعف تأثير احتمال فقر اليتيم في البذل إذا كان الطعام قد وضع أمام أصحابه في لحظة إفطارهم، وربما امتدت أيديهم إليه، أو كادت أن تمتد إليه.

وهكذا تزداد المثبطات عن بذل بعض ذلك الطعام، فضلاً عن إعطائه كله، وتتضاعف الرغبة في الاحتفاظ به.

٦ - على أن حظوظ اليتيم في الحصول على أكثر من حاجته، أكبر من حظوظ المسكين، لأن الناس يتسابقون لمعونة اليتيم، وتلبية حاجاته، ولا نراهم يظهرن مثل هذا الاهتمام بالفقراء والمساكين..

٧ - ومما يناسب ذكره هنا: أن الله تعالى لم يأمر ببذل المال لليتيم في أكثر السور القرآنية، إلا في الحالات الاستثنائية، وأمر في أكثر من سورة بإعطاء المسكين، فنجد أنه في سورة الفجر مثلاً قال سبحانه: ﴿كَأَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾^(١).

وفي سورة الماعون يقول تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾^(٢).

وقال عز وجل في سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾^(٣).

(١) الآية ١٧ و ١٨ من سورة الفجر.

(٢) الآية ٢ و ٣ من سورة الماعون.

(٣) الآيات ٦ - ٩ من سورة الضحى.

وهناك آيات وردت في سياق منع العدوان على اليتامى في أموالهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾^(١).

وقال سبحانه في سورة النساء: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾^(٢).

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾^(٣).. وهذا يشير إلى ما قلناه، من قيام احتمال أن يكون لليتم مال.. بخلاف المسكين.

وفي سورة البلد الآية ١٤ و ١٥ ذكر حالة استثنائية طارئة ذكر فيها إطعام الأيتام، ولكنه خصص ذلك: بأن يكون الإطعام في حالة طارئة، وهو: أن يكون اليوم من أيام المسغبة، فقال سبحانه: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾^(٤).

٨ - وأما لماذا عبّر الله تعالى في كتابه بـ «الإطعام» تارة، وبـ «الطعام» أخرى، وبـ «يطعمون» ثالثة.. فربما كان لأجل أن الطعام كان حقاً للمسكين.. فالمطلوب إيصال حقه إليه.. ولذا قال عز وجل: ﴿طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾.

وحين لا يكون للمسكين ولا لغيره حق بالمال، أو بالطعام، بل يكون المال لمن هو في يده، وهو حق له، ويريد الله منه أن يؤثر به غيره على نفسه، ويتخلى عنه له تكرماً، وتقرباً إلى الله، فإنه تعالى يقول: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي

(١) الآية ١٥٢ من سورة الأنعام والاية ٣٤ من سورة الأسراء.

(٢) الآية ٢ من سورة النساء.

(٣) الآية ١٠ من سورة النساء.

(٤) الآية ١٤ و ١٥ من سورة البلد.

مَسْغِبَةٍ ﴿١﴾.

ويقول تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١).

٩- وفي جميع الأحوال نقول: إن أمر اليتيم يدور بين ثلاثة احتمالات هي:

ألف: أن يكون في غنى عن المال، لأنه يملك مالاً، أو له كافل لا

يحوجه إلى شيء.

ب: أن يكون بحاجة إلى المال.. ولكن لا يصل الأمر فيه إلى حد البؤس

والشدة، بل هو بدرجة فقير لا يملك قوت سنته..

ج: أن يكون بحاجة ماسة إلى المال. وإن لم يظهر ذلك عليه.

وقد تعامل أهل البيت «عليهم السلام» معه استناداً إلى الاحتمال الثالث.

ولعلمهم أخذوا بنظر الاعتبار أيضاً: احتمال أن يكون وراءه أم أو أخوة

يحتاجون إلى الطعام أيضاً، أو أنهم أرادوا بعث السكينة والطمأنينة في نفسه،

فإن النفس الإنسانية إذا وجدت رزقها اطمأنت وسكنت..

إلا أن الدافع الأهم والأعظم: هو طلب رضا الله تبارك وتعالى..

وبذلك يظهر: أن هذا البذل قد أصبح أعظم قيمة، وأجل وأسمى من

عطائهم في اليوم الأول.. بالرغم من ظهور شدة حاجة المسكين، وحاجة حاله.

الأسير في اليوم الثالث:

وبعد أن قضى أهل البيت «عليهم السلام» ليلتهم على شرب الماء، صاموا

(١) الآية ٨ من سورة الإنسان.

يومهم الثالث بجهد بالغ، ومكابدة مريرة للجوع، ومعاناة شديدة للضعف، ولا سيما الحسان «عليهما السلام».. اللذان كانا في سن الطفولة، ما بين ست وسبع سنوات.

وفي وقت الإفطار في اليوم الثالث غزلت الزهراء «عليها السلام» الثلث الأخير من الصوف، الأمر الذي خوّلها أن تطحن الثلث المتبقي من الشعير، وتخبزه، وتضع تلك الأقراص على المائدة أمام الصائمين الذين أرهاقهم الجوع، وتكاد أيديهم تمتد إلى تلك الأقراص، وإذا بالبواب يطرق، ويقتحم عليهم صوت أسير يطلب طعاماً..

وها هو الطعام أمامهم، وقد اشتدت رغبتهم فيه، بعد أن حل لهم تناوله، وقد أضمحلّت القوى، وغارت الأعين، وارتعش الحسان من شدة الضعف، ووطأة الجوع..

فهل تسخو أنفسهم بخصوص طعامهم هذا، لهذا الوافد الجديد، أم أن الأمر يحتاج إلى تأمل وتدبر، فإن مخايل الخطر أصبحت تتراعى لهم، وأثار الجوع قد أضرت بهم.

ولكن اللافت: هو أنهم بادروا جميعاً لإجابة طلب ذلك الأسير، تماماً بنفس الطريقة التي أجابوا بها طلب المسكين واليتيم.. مع أنهم يدركون:

١ - أن هذا الأسير الذي يدّعي الحاجة قد لا يكون صادقاً في دعواه، وهؤلاء الأسرى هم من الكفار والمشركين، الذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين، وأوصلوا إليهم ما قدروا عليه من الأذى والبلايا، حتى سقط من المسلمين شهداء أبرار، أتقياء أخيار، مثل ياسر وزوجته «رضوان الله

عليها».

ثم أخرجوا المسلمين من ديارهم، واستولوا على بيوتهم وأموالهم، لا لشيء، إلا لأنهم آمنوا، وصدقوا بما جاءهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أسر من فراعنة وطغاة هؤلاء سبعين رجلاً، قال للمسلمين الذين كان الأسرى في أيديهم: «استوصوا بالأسرى خيراً».. فأطاعوا الأمر، وشاركوهم في أموالهم حتى كان أحدهم يؤثّر أسيره بطعامه^(١)..

والحديث عن إيثار الأسرى على أنفسهم بالطعام قد تجلّى بأدق وأجلى معانيه التي لا مرأى فيها، ولا يتخيلها عقل بشر في هذه الحادثة التي نحن بصدد الحديث عنها.

٢ - إن هذا الأسير الطالب من الصائمين طعامهم، لم يقدم ما يدل على أنه تراجع عن نظرتة تجاه أسريه، أو أنه لم يعد حاقداً عليهم.. علماً بأن حقه الأعظم إنما هو على نفس هؤلاء الذين جاء يطلب منهم طعامهم الذي لا يملكون غيره، وقد أعدّوه لفطرم بعد ثلاثة أيام من الصيام الشاق، لم يذوقوا فيها طعاماً، لا في ليل، ولا في نهار.

٣ - إن هذا الأسير ربما يكون قد قتل أو جرح، أو آذى أخاً، أو أباً، أو

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج ٢ ص ١٥٩ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٩٩ و ٣٠٠ والمغازي للواقدي ج ١ ص ١١٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨٨.

ابناً، أو قريباً، أو حبيباً، أو رجلاً براً تقياً، عزيزاً على هؤلاء الذين جاء إليهم الأسير طالباً رفدهم.. ولا شيء يضمن غائلة هذا الأسير، فربما لو أمكته الفرصة، يبادر إلى قتل من يقدر على قتله منهم، غدرًا، أو بأي نحو اتفق.

بل هو لو تمكن من قتل النبي، فلعله لا يتردد في الإقدام على ذلك..

وحتى لو لم يفعل، فإنه لو رجع إلى قومه، فلا شيء يضمن عدم عودته لحرب المسلمين، وقتل من يقدر على قتله منهم.

٤ - وليس في ظاهر حال الأسير - لو كان صادقاً في دعواه الحاجة - ما يدل على أن حاجته توازي حاجة المسكين، أو اليتيم.. بل ليس في ظاهر حاله، ما يدل على أنه محتاج أصلاً.. وإن كان ذلك محتملاً.

على أن هذا الأسير الذي يُحتمل في حقه كل ما تقدم، لا يمكن أن يقاس حاله بحال ولدين بعمر ست، أو سبع سنوات، لم يذوقا طعاماً ثلاثة أيام بلياليها، وهم أشرف وأعظم، وأطهر، وأزكى، وأعلم، وأتقى مَنْ خلقه الله، وأحب المخلوقات إليه.. ولا يمكن تقديم أحد من المخلوقات عليهما، وعلى أبيهما وأمهما، فما بالك بأسير، ربما كان مجرمًا وقاتلاً، وكافراً، وحاقدًا، وربما عاد في يوم ما لقتال المؤمنين؟!!

٥ - غير أن للبازلين حسابات أخرى، أرقى وأبقى من حسابات عامة الناس، حيث يبدو أنهم حين وجدوا أن ثمة احتمالات:

أحدها: أن يكون حال الأسير في الحاجة تشبه حال المسكين.

الثاني: أن يكون محتاجاً بدرجة عادية.

الثالث: أن يكون كاذباً فيما يدّعيه..

فأخذوا «عليهم السلام» بالاحتمال الأول، وآثروا اعتياده، والعمل بما يقتضيه، بالرغم من أنه احتمال ضعيف..

٦ - وقد آثروا أيضاً: أن يمنحوه كل ما عندهم ليشعر بالطمأنينة، ولو بالقدر الذي يمنحه إياه هذا العطاء، وربما كان له رفقاء يحتاجون إلى أن يشاركهم بطعامه..

هذا بالإضافة إلى رغبة كل واحد منهم بالحصول على الثواب ببذل طعامه لمن يحتمل أن يكون بحاجة إليه.. حتى مع احتمال أن يكون عدواً، أو مجرمًا.

الفصل الثاني

الحسنان عليه السلام في إشار آخر..

مثالان فقط:

إننا نضيف إلى ما تقدم، بعض موارد الإيثار التي شارك فيها الإمام الحسن «عليه السلام» أخاه وأبويه، فنقول:

ما عندنا إلا قوت الصبية:

قال ابن شهر آشوب «رحمه الله»:

تفسير أبي يوسف: يعقوب بن سفيان، وعلي بن حرب الطائي، ومجاهد بأسانيدهم، عن ابن عباس وأبي هريرة، وروى جماعة عن عاصم بن كليب عن أبيه - واللفظ له - عن أبي هريرة: أنه جاء رجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فشكا إليه الجوع..

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا

الماء..

فقال «صلى الله عليه وآله»: من لهذا الرجل الليلة؟!!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنا يا رسول الله.

فأتى فاطمة وسألها: ما عندك يا بنت رسول الله؟!!

ف قالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، لكننا نؤثر ضيفنا به.

فقال علي «عليه السلام»: يا بنت محمد «صلى الله عليه وآله»، نوّمي الصبية

واطفئي المصباح.

وجعلا يعضغان بالسنتهما.

فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة «عليها السلام» بسراج، فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله.

فلما أصبح صلى مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما سلم النبي «صلى الله عليه وآله» من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام».. وبكى بكاء شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين، لقد عجب الرب من فعلكم البارحة، اقرأ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.. أي مجاعة. ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾.. يعني: علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين «عليهم السلام» ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١) (٢).

قال الحميري:

جائع قد أتيتكم مستجيراً	قائل للنبي إني غريب
لا يكن للغريب عندي ذكورا	فبكى المصطفى وقال: غريب
أنا للضيف فانطلق مأجورا	من يضيف الغريب قال علي:
فأجابت أراه شيئاً يسيراً	ابنة العم هل من الزاد شيء

(١) الآية ٩ من سورة الحشر.

(٢) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٨ وص ٣٤ وج ٣٦ ص ٥٩ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٨٧ والأمالى للطوسي ص ١١٦ وعن كثر جامع الفوائد، وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٤٦ ومجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٠.

كف برّ قال: اصنعيه فإن
 الله قد يجعل القليل كثيراً
 ثم أظفي المصباح كي لا يراني
 فأخلي طعامه موفوراً
 جاهد يلمظ الأصابع والضيف
 يراه إلى الطعام مشيراً
 ولهم قال: يؤثرون على
 أنفسهم، قال: ذاك فضلاً كبيراً^(١)

شأن نزول آية الإيثار:

هنا سؤال يقول: هل نزلت آية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ في قصة علي وضيفه التي ذكرت آنفاً؟! أم نزلت في قصة الدينار بين علي «عليه السلام» والمقداد؟! أو في القصة التي تقول: إنها نزلت في إيثار علي «عليه السلام» بحلة أعطاه إياها رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!
 ويجاب:

بأنه لا مانع من تكرار نزول الآية في عدة مناسبات لتأكيد موضوعها، أو لحضور مناسبتها.. فراجع ما يقال حول تكرار نزول آية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٨٧ و ٨٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٤٧ و ٣٤٨.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ١ ص ٧ وج ٣ ص ٢٠٨ عن أبي داود، والبزار، والدارقطني في الأفراد، والطبراني، والحاكم، وصححه، والبيهقي في المعرفة، وفي شعب الإيمان، وفي السنن الكبرى، وعن أبي عبيد، والواحدي، وفتح الباري ج ٩ ص ٣٩ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٦ ونيل الأوطار ج ٢ ص ٢٢٨ والمستدرک علی الصحیحین

وما يقال أيضاً حول نزول سورة الفاتحة وغيرها من السور عدة مرات^(١).

للكاظم ج ١ ص ٢٣١ و ٢٣٢ وصححه على شرط الشيخين، وتلخيص المستدرك للذهبي (بهامشه)، وأسباب النزول للواحدي ص ٩ و ١٠ والسنن الكبرى ج ٢ ص ٤٢ و ٤٣ ومحاضرات الأدباء، المجلد الثاني، الجزء ٤ ص ٤٣٣ والإتقان ج ١ ص ٧٨ وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص ٥٦ و ٥٧ وراجع ص ٥٥ عن بعض من تقدم، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٩٥ وعمدة القاري ج ٥ ص ٢٩٢ ونصب الراية ج ١ ص ٣٢٧ والمستصفى للغزالي ج ١ ص ١٠٣ وفواتح الرحموت (بهامشه) ج ٢ ص ١٤ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٤ والتفسير الكبير ج ١ ص ٢٠٨ وغرائب القرآن (بهامش الطبري) ج ١ ص ٧٧ والمصنف للصنعاني ج ٢ ص ٩٢ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٣١٠ وج ٢ ص ١٠٩ عن أبي داود، والبزار، وكنز العمال ج ٢ ص ٣٦٨ عن الدارقطني في الأفراد، والتمهيد في علوم القرآن ج ١ ص ٢١٢ عن الحاكم واليعقوبي، وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٠٩ والمنتقى ج ١ ص ٣٨٠ وتبيين الحقائق ج ١ ص ١١٣ وكشف الأستار عن مسند البزار ج ٣ ص ٤٠ ومشكل الآثار للطحاوي ج ٢ ص ٥٣ والمراسيل لأبي داود السجستاني ص ٩٠ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٥ وذكر أخبار إصبهان لأبي نعيم ج ٢ ص ٣٥٦ والمستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٦١١ والكامل لابن عدي ج ٦ ص ٣٠٣٩ وج ٣ ص ١٠٣٩ والضعفاء الكبير للعقيلي ج ٢ ص ٣٥ والمعجم الكبير ج ١٢ ص ٨٢ والبيان في تفسير القرآن ص ٤٤٢ وعن فتح الباري ج ٩ ص ٣٥ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ١٠٦.

(١) راجع: الإتقان ج ١ ص ٣٥ والدر المنثور ج ١ في تفسير سورة الفاتحة وج ٦ في تفسير سورة الإخلاص، فإنه قد روى ذلك عن مصادر كثيرة. وراجع أيضاً: شرح أصول الكافي ج ١ ص ٤٦٣ وفتح الباري ج ٨ ص ١٢١ وتحفة الأحوذ ج ٨ ص ٢٢٨ ومجمع البيان ج ١ ص ٤٧ والبيان للسيد الخوئي ص ٤١٨.

آية الإيثار تحدثت عن أشخاص:

١ - إن الناظر في آية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يجد أنها تحدثت عن أفراد أشبه بعضهم بعضاً في أمر بعينه، فذكرتهم الآية بصيغة الجمع، لتبين أن كل فرد فرد منهم يحمل في داخله، وفي شخصيته الإنسانية صفة اسمها الإيثار على النفس، حتى في الحاجة الماسة إلى الشيء المبذول..

وقد قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ بصيغة الفعل المضارع، ولم يقل: «آثروا» بصيغة الماضي.. لأن صيغة الماضي تدل على وقوع هذا الأمر في الماضي، ولو مرة واحدة.. لكن صيغة المضارع تدل على فعلية وجود هذه الصفة في هؤلاء الأشخاص، واستمرارها فيهم.. وهذا يستبطن إمكانية تكرار حصول الإيثار منهم مرة بعد أخرى، استجابة لما تقتضيه الصفة الكامنة.

٢ - قد يدور بخلد البعض أن يدّعي: أن الذي آثر هو علي وفاطمة «عليهما السلام»، وفضة، أما الحسنان «عليهما السلام»، فكانا صغيرين، فيكون أبواهما هما اللذان آثرا المسكين، أو الفقير بنصيبيهما.. فشمول آية الإيثار للحسين «عليهما السلام» غير ظاهر الوجه.

ويجاب:

بأن هذا الكلام غير سليم، إذ إن آثار هذا البذل قد تجلت بصورة أكيدة، وشديدة في الحسين «عليهما السلام»، أكثر من أي واحد من بقية المؤثرين.. فكيف جاز لأبويهما بذل نصبيهما من الطعام، وتعريض ولدين بعمر الست أو السبع سنوات للأذى، والمشقات الكبيرة والخطيرة؟!!

ألا يدل ذلك على أن البذل لم يكن قراراً من أبويهما، بل كان قراراً لهما، وربما حصل بإصرار منهما، حمل والديهما على القبول به..

ويؤكد ذلك: أن من واجب أبويهما حفظ حياتهما، وعدم حرمانهما من حقوقهما، وتصرفهما بنصيب ولديهما سيكون من موجبات ملامة الناس لهما، لأنه لا يتلاءم مع الرأفة بهما، والرحمة لهما، ومع الرفق والحفظ.

على أن آية الثناء على المطعمين في سورة هل أتى، وآية الثناء على المؤثرين قد ذكرت المؤثرين، والمطعمين بصيغ تشمل بظاهرها جميع من بذلت أموالهم، وأطعموا الفقير، ولم تستثن أي واحد من الباذلين.

ألا يشير هذا إلى أن الحسنين «عليهما السلام» كانا راضيين بهذا البذل مسرورين به، لأنه يقربهما إلى الله، ولأنه منسجم مع صفة الإيثار فيهما؟!!

أرسل إلى بيوت أزواجه:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، أرسل إلى بيوت أزواجه من يسألن عن وجود طعام في حوزتهن، فقلن: ما عندنا إلا الماء..

فلماذا لم يسألن النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه؟!!

وقد يجاب:

أولاً: أنه قد يكون هناك ما يمنع النبي «صلى الله عليه وآله» من مغادرة مجلسه، ربما لوجود آخرين لهم حاجات يفترض فيه أن يسمعها، ويعالج ما يمكن معالجته منها، أو لأنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف أنه لا يوجد شيء، فأراد أن لا يكون هو الحامل لهذا الخبر لذلك الرجل الذي يكون مرتاحاً إليه، أو لغير ذلك من أسباب.

ثانياً: قد يحاول أهل الريب إثارة بلبلة، تسيء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بادّعاء: أن نفس النبي قد شحت عن بذل ما عنده، وأنه أخبر عن عدم وجود شيء، لأنه أراد أن يكون البذل من أموال الآخرين..

الضيف.. والإيثار:

١ - يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يطلب من أحد من الناس لا بالمباشرة، ولا بالصيغ العامة المجملة، فلم يقل: «يا فلان أطعمه»، أو «أيها الناس أطعموا هذا الرجل».. بل طلب منهم متبرعاً مختاراً، أو راغباً بالبذل عن طيب خاطر.. قاصداً بذلك التقرب إلى الله، ولا يريد أن يكون البذل عن حياء، أو أن تشوبه شائبة التزلف إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو نحو ذلك.

مع ملاحظة: أنهم لو كانت نفوسهم تطيب بالبذل لبادروا إلى عرض خدماتهم، أو لتبرعوا لذلك الفقير بما يحل مشكلته..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يرسل إلى القريب، أو الصديق، أو الجار.. ربما لأنه لا يريد أن يخذش عزة وكرامة ذلك المحتاج، ولا يريد أن يشعره بالذل والمهانة..

٢ - وحول إيثار علي وأهل بيته «عليهم السلام» لذلك الرجل على أنفسهم، نلاحظ ما يلي:

أولاً: لقد جاء وصف هذا الرجل الجائع بالضيف على لسان سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء «عليها السلام»، وإن كان قول النبي «صلى الله عليه وآله» «من لهذا الرجل الليلة؟! قد ألمح إلى ذلك، فإنه أراد أن يقول: «من

يرغب باستضافته؟!!

وهذه لفظة مهمة، أن يعتبر هذا الرجل الذي جاء يطلب ما يسد به الجوع ضيفاً عزيزاً، له كرامته، وموقعه، واحترامه، فلا يعامل معاملة المستجدي، ولا تُرتَّب عليه أحكامه، فلا يتردد في قبول شهادته حين تجتمع شرائطها، ولا تقتحمه العيون، ولا.. ولا..

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» قال: «من لهذا الرجل الليلة»، ولم يقل: «من يطعم هذا الرجل»، لأنه يريد له أن يشعر بالتكريم، وبأنهم يعاملونه معاملة الضيف.. فتتetch نفسه بالأمل والرجاء، ويشعر بالعزة..

ولو قال: «من يطعم هذا الرجل»، لفهم منه: أنهم يعاملونه معاملة المستجدي، فتتضاءل نفسه، ويشعر بالضعة والمهانة..

ولعل هذا الرجل كان غريباً، لا يملك موضعاً يبيت فيه، فإذا أكل، أو أخذ طعامه وخرج، فسيخرج متحيراً متسكعاً.

المؤثرون على أنفسهم:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الزهراء «عليها السلام» هي التي اقترحت إيثار الضيف الجائع بطعام ولديها..

ونلاحظ:

أولاً: إن اقتراح بذل طعام الحسنين «عليهما السلام» للفقير، قد جاء من الزهراء «عليها السلام»، وهو أمر فريد ومثير، لأنه يأتي من أم هي سيدة النساء في الدنيا وفي الآخرة في حق ولديها، وما أحرص الأم على راحة وسلامة أولادها مهما كانت صفاتهم وسماتهم، فكيف إذا كانوا هم درّة هذا الوجود،

وصفوة الخلق وخيرته.. وأفضل، وأعلم، وأبر، وأتقى، وأرقى نموذج إلهي رباني للكلمات الإنسانية، والمزايا الأخلاقية في أعلى وأجل، وأرقى حالاتها.

ثانياً: إن اقترحها «عليها السلام» بذل قوت ولديها للضيف الفقير، لا يعني أنها كانت امرأة قاسية القلب، وتعاني من الجفاف العاطفي، وضعف المشاعر الإنسانية، بل هي القمة في عاطفتها ورقتها، وعطفها، وفي مشاعرها.. بل هي تبذل طعام ولديها، لأنها تعلم: أن ولديها حين يعرفان بما جرى سيكونان في غاية البهجة والسرور، ولو علما أن والديهما قد ضنّا على ذلك الفقير الضيف بطعامهما، فسيتكدر عيشهما، وسيريان أن ذلك لسوء طالعهما، وأنها لا يستحقان الكرامة الإلهية..

ثالثاً: ويشهد لما نقول: أن الحديث المتقدم يصرح: بأن الحسن والحسين «عليهما السلام» مشمولان لآية الإيثار، مما يعني: أنهما «عليهما السلام».. إما كانا على علم بما يجري فعلاً، فيكونان هما اللذان اختارا إيثار الفقير بطعامهما، أو أنهما لا يرضيان بغير هذا البذل، ويتكدر عيشهما، إن لم يحصل.

على أننا نحتمل: أن طلب علي من الزهراء «عليهما السلام»: أن تنوم الصبية، قد كان بعد إعلانها الموافقة على هذا الإيثار، ورغبتها فيه..

ولعل الهدف من تنويمها: هو التخفيف عنها، أو رغبة أبويها: بأن لا يتناول ذلك الرجل طعامها الذي آثراه به أمام أعينها..

أو ليشعر الضيف: بأن هذين الطفلين قد أكلا وناما، وأنه لم يجرمهما من طعامهما.

وقد يشهد لذلك: إطفاء المصباح حين تناول الطعام، لكي يمكن إيهام

الضيف: بأن صاحب البيت يأكل معه.

رابعاً: لقد ظهرت الكرامة الإلهية لهؤلاء المؤثرين، حيث وجدوا الحفنة التي قدموها لضيفهم، وقد أكل ما فيها - وجدوها - مملوءة طعاماً..
وكان بكاء النبي «صلى الله عليه وآله» حين لقي علياً «عليه السلام» تلك الليلة بكاء الفرح، والشكر، والغبطة، والرقّة، والمحبة، والابتهاج بالكرامة الإلهية..

عجب الرب:

وتقول الرواية المتقدمة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»:

«يا أمير المؤمنين، لقد عجب الرب من فعلكم البارحة»..

ونسجل هنا:

أولاً: أن مخاطبة النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بقوله:
«يا أمير المؤمنين» قد يفهم منه أمران:

الأول: أن إمارته «عليه السلام» للمؤمنين، ثابتة وفعلية في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

الثاني: لعله «صلى الله عليه وآله» أراد تكريس هذا اللقب، وتسهيل تداوله، من خلال إطلاقه على صاحبه من قبل نفس النبي.. وليبعد احتمالات أن يكون مجرد ثناء، أو إطلاق وصف فضفاض على شخصٍ ما، على سبيل المبالغة، بهدف إدخال السرور على قلبه.

ثانياً: قد يناقش البعض في صحة نسبة التعجب إلى الذات الإلهية، لأنها إنما تناسب المخلوقين..

ويجاب:

بأن إطلاق هذه الصفة على الذات الإلهية، كإطلاق صفة الغضب والرضا، والرحمة، والحب، والبغض، والرأفة، والمكر، وغير ذلك.. إنما تطلق عليه عز وجل بالمعنى الذي يناسب مقام ألوهيته، وينسجم مع صفاته تبارك وتعالى، لا بما لها من خصوصيات وحالات بشرية..

يمضغان بألستهما:

وتقول الرواية المتقدمة: إنها جعلتا يمضغان بألستهما.

وهنا نلفت النظر إلى أمور:

أحدها: أن السيد الحميري قد ذكر في شعره في هذه الحادثة: أن علياً «عليه السلام» فقط هو الذي صار يلمظ أصابعه، ويشير إلى الطعام، ولم يذكر معه شخصاً آخر.

الثاني: إن الحميري ذكر لمظ الأصابع، ولم يذكر مضغ اللسان.

الثالث: إنه أضاف: أنه «عليه السلام» كان يشير بيده إلى الطعام، ليوهم الضيف: أنه يأكل معه.

الرابع: قد يقال: إن ظاهر كلام الرواية المذكورة آنفاً: أن علياً والزهراء «عليهما السلام» جعلتا يمضغان بألستهما.. لأن المفروض: أن الزهراء قد نومت الحسينين بأمر علي «عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام».

ومضغهما «عليهما السلام» بألسنتهما يهدف إلى إيهام الضيف: بأنهما يأكلان معه.. ولأن المصباح قد أطفئ، ولم يعد الضيف يرى الشخص، فلا محذور في سماع الأجني صوت مضغ المرأة للطعام، أو لغيره.. لاسيما وأن صوت مضغ المرأة قد اختلط بصوت مضغ رجل، فلم يعد بالإمكان تمييز أحدهما عن الآخر.

وقد يناقش في هذا: بأن مضغ الزهراء «عليها السلام» للسانها لا ضرورة له، إذا كان صوت مضغ علي «عليه السلام» يكفي لطمأنة ذلك الضيف إلى أن الطعام وافر، وأنه لم يأكل نصيب غيره، من الصبية، أو من غيرهم. غير أن ثمة رأياً آخر يقول: إن اللذين صاروا يمضغان الطعام هما الحسنان «عليهما السلام».. ليزول بذلك خوف الضيف، من أن يكون قد أكل زاد الصبية، وتركهم بلا طعام.

علي يعطي الدينار للمقداد:

قال المازندراني: روت الخاصة والعامة، منهم: ابن شاهين المروي، وابن شيويه الديلمي، عن الخدري وأبي هريرة: أن علياً أصبح ساغباً، فسأل فاطمة طعاماً.

فقالت: ما كانت إلا ما أطعمتك منذ يومين، أثرت به على نفسي، وعلى الحسن، والحسين.

فقال: ألا أعلمتني، فأتيتكم بشيء؟!!

فقالت: يا أبا الحسين، إني لأستحي من إلهي أن أكلفك ما لا تقدر عليه. فخرج واستقرض من النبي ديناراً، فخرج يشتري به شيئاً.

(وفي بعض المصادر: أن فاطمة «عليها السلام» هي التي اقترحت عليه مراجعة أبيها.

وفي مصادر أخرى: فلقيه المقداد بن الأسود «رحمه الله»، وقاما ما شاء الله أن يقوما، وذكر له حاجته، فأعطاه الدينار^(١).

فاستقبله المقداد قائلاً ما شاء الله.

فناوله علي الدينار، ثم دخل المسجد، فوضع رأسه، فنام، فخرج النبي، فإذا هو به، فحركه وقال: ما صنعت؟!!

فأخبره، فقام وصلى معه، فلما قضى النبي صلاته قال: يا أبا الحسن، هل عندك شيء نفطر عليه، فنميل معك؟!!

فأطرق لا يجيب جواباً حياء منه. وكان الله أوحى إليه أن يتعشى تلك الليلة عند علي.

فانطلقا حتى دخلا على فاطمة، وهي في مصلاها، وخلفها جفنة تفور دخاناً، فأخرجت فاطمة الجفنة، فوضعتها بين أيديهما.

فسأل علي «عليه السلام»: أنى لك هذا؟!!

قالت: هو من فضل الله ورزقه، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

قال: فوضع النبي كفه المبارك بين كتفي علي، ثم قال: يا علي، هذا بدل دينارك. ثم استعبر النبي باكياً وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت في

(١) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٥٩ و ٦٠ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٦٥ والبرهان (تفسير) ج ٥ ص ٣٤١ وكنز الدقائق (تفسير) ج ١٣ ص ١٨٣ وتأويل الآيات الظاهرة ص ٦٧٩.

ابنتي ما رأى زكريا لمريم^(١).

وفي رواية الصادق «عليه السلام»: أنه أنزل الله فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢).

قال الحميري:

وحدثنا عن حارث الأعور الذي	تصدقه في القول منه وما يروي
بأن رسول الله نفسي فداؤه	وأهلي ومالي طاوي الحشا يطوي
لجوع أصاب المصطفى فاغتنى إلى	كريمته والناس لاهون في سهو
فصادفها وابني علي وبعلمها	وقد أطارقوا من شدة الجوع كالنضو
فقال لها: يا فطم قومي تناولي	ولم يك فيما قال ينطق بالهزو
هدية ربى إنه مترحم	فقامت إلى ما قال تسرع بالخطو
فجاءت عليها الله صلى بجفنة	مكرمة باللحم جزواً على جزو

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ١٩٠ و ١٩١ و (ط المكتبة
الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٠ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٣٠ و ٣١ وراجع: ج ٣٦
ص ٥٩ - ٦١ وج ٣٧ ص ١٠٣ - ١٠٥ وج ٤٣ ص ٢٩ وج ٩٣ ص ١٤٧ وراجع:
الخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٣٢ والأمالى للطوسي ص ٦١٧ و ٦١٨ ومناقب
الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٤ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٦٩ -
٢٧٢ ومدينة المعاجز ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣١ وتفسير فرات الكوفي ص ٨٣ - ٨٥
وكشف الغمة ج ٢ ص ٩٧ - ٩٩ وغاية المرام ج ٢ ص ٢٣٥ و ٢٣٦.

(٢) الآية ٩ من سورة الحشر.

فسموا وظلوا يطعمون جميعهم فَبَخَّ بَخْ لَهم نفسي الفداء وما أحوي
 فقال لها: ذاك الطعام هدية من الله جبريل أتاني به يهوي
 ولم يك منه طاعماً غير مرسل وغير وصي خصه الله بالصفو^(١)
 ونقول:

في هذا الحديث اشارات إلى أمور عديدة، نذكر منها ما يلي:

المواساة لمن بالحجاز واليامة:

ذكر النص المتقدم: أن علياً «عليه السلام» أصبح ساغباً.. والسغب: هو الجوع.

وقيل: لا يكون إلا مع تعب^(٢).

وقد ذكرت الزهراء «عليها السلام»: أن آخر مرة أكل علي «عليه السلام» فيها كانت قبل يومين من ذلك التاريخ، وأنها حين أطعمته إنما أثرته بالطعام على نفسها، وعلى الحسن والحسين، فقال لها «عليه السلام»: «ألا أعلمتني فأتيتكم بشيء؟!»!

وهذا الزهد بالدنيا هو حال النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام»، مع أن الناس كانوا يقدسونهم، وقد أمر الله تعالى بحبهم، وبمودة

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ١٩٠ و ١٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٠.

(٢) أقرب الموارد، مادة «سغب».

رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهم..

وكانت لهم الرياسة والسيادة والتقدم على العرب وغيرهم.

وقد قال «صلى الله عليه وآله»: «علي سيد العرب»^(١).

- (١) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٤ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ١٧٨ - ١٧٩ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٦ و ١٣١ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ١٢٧ والمعجم الكبير ج ٣ ص ٨٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١٧٠ وج ١١ ص ٦٦ والرياض النضرة ج ٣ ص ١٣٧ والمواقف للإيجي ج ٣ ص ٦٢٥ و ٦٣٣ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٦١٨ و ٦١٩ وج ١٣ ص ١٤٣ و ١٤٥ وفيض القدير ج ٣ ص ٦٠ وكشف الخفاء ج ١ ص ٤٦٢ وج ٢ ص ٧١ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٣٠٨ ومطالب السؤول ص ١٢٦ وإرشاد القلوب ج ٢ ص ٢٦١ وجواهر المطالب ج ١ ص ١٠٥ وينايع المودة ج ١ ص ٢٦٧ وج ٢ ص ٧٤ و ١٦١ و ٢٨١ و ٤٠٤ و ٤٤٨ وذخائر العقبى (نشر مكتبة القدسي - القاهرة) ص ٧٠ والتوحيد للصدوق ص ٢٠٧ والخصال ص ٥٦١ ومعاني الأخبار ص ١٠٣ وكشف الغمة ج ١ ص ١٠٨ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ١ ص ٣٣٣ وكتاب سليم بن قيس ص ١٩٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ١ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وج ٢ ص ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ والأمالى للمفيد ص ٤٤ والأمالى للطوسي ص ٣٦٥ و ٥١٠ و ٥٤٩ و ٦٠٨ والطرائف لابن طاووس ص ٧٩ وروضة الواعظين ص ١٠١ وعدة الداعي ص ٣٠٥ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٢٣٣ وشرح الأخبار ج ١ ص ١٩٥ وج ٣ ص ٥٦ وغوالي اللآلي ج ٤ ص ١٢١ والمصباح للكفعمي ص ٣٣٥ وبحار الأنوار ج ٤ ص ١٩٨ وج ٢٢ ص ٥٠٣ وج ٣١ ص ٣٢٦ و ٣٧٨ و ٤٣٠ وج ٣٣ ص ١٨٤ وج ٣٨ ص ١٥ و ١٧ و ٩٣ و ٩٤ و ١٥٠ وج ٤٠ ص ٣٢ و ٦٧ و ٦٨ و ٨٢ ونور البراهين ج ١ ص ٤٩٨ وشجرة طوبى ج ١ ص ٥٩ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٩٤ والدر

فحالمهم في رياستهم تناقض أحوال سائر من يترأسون على الناس من أهل الدنيا، فإن أهل الدنيا إذا ترأسوا يمتصون دماء شعوبهم، ويسلبونهم حقوقهم، ويلقون بهم في أتون الفقر والحاجة، تماماً كما وصف الكميت حال بني أمية مع الناس، فقال:

رأيه فيهم كـ رأي ذوي
الثلة في الثائجات جنح الظلام
جزّ ذي الصوف وانتقاء لذي
المخة، نعقاً ودعدعاً بالبهام^(١)

وقد قال عنهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: «اتخذوا مال الله دولا، وعباده

النظيم ص ٢٨٤ و ٣٢٦ والمقام الأسنى للكفعمي ص ٦٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٤٢ و ٣٤٨ وج ١٥ ص ٢٥ وج ٢٠ ص ٣٩٩ وج ٢٢ ص ١٣٥ و ١٣٨ وج ٢٣ ص ٥٥٧ وج ٣١ ص ١٦٤ ومائة منقبة لابن شاذان ص ١٧٠ وتفضيل أمير المؤمنين للمفيد ص ٣٤ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٢١٧ والعمدة لابن البطريق ص ٣٥٨ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٢٩ .

(١) الهاشميات ص ٢٦ و ٢٧ .

والثلة: القطعة الكثيرة من الضان.

والثائجات: الصائحات.

وانتقاء: اختيار.

وأراد بذئ المخة: السمينة.

ونعقاً: أي صياحاً.

والدعدعة: زجر البهائم.

يقول: رأي الواحد من هؤلاء الخلفاء في رعيته، ومعاملته لها كرأي أصحاب الغنم في غنمهم، فلا يراعون العدل، ولا الإنصاف فيهم.

خولاً»^(١).

وقال في الخطبة الشقشقية عن عثمان: «وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ، يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ»^(٢).

أما علي وأهل بيته «عليهم السلام»، فحالهم في رئاستهم على عكس ذلك تماماً.. فإنهم يتعاملون مع الناس وفق القاعدة التي أطلقها أمير المؤمنين «عليه السلام» حين قال في كتابه إلى عثمان بن حنيف:

«أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهِ بِطَمَرِيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ..

إِلَى أَنْ قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا كَنْزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرَأً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرَأً، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طَمْرَأً، وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شَبْرَأً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبْرَةٍ..

إِلَى أَنْ قَالَ: وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقُرْزِ.. وَلَكِنْ هِيَهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعِمَةِ..

وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالسَّبْعِ.
أَوْ أَيْتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتِي، وَأَكْبَادُ حَرَّى، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:
وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبِيتَ بِبُطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَحْنُ إِلَى الْقَدِّ

(١) نهج البلاغة (شرح عبده) ج ٣ ص ١٢٠ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ١ ص ٢٨٤ وج ٤ ص ٩٢ و ١٨١ وشرح نهج البلاغة لابن میثم ج ٥ ص ٢٠١.
(٢) نهج البلاغة (شرح عبده) ج ١ ص ٣٠ وراجع: نهج البلاغة الخطبة الشقشقية رقم ٣.

أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ.. فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلْفُهَا، أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَغْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا»^(١).

ألا أعلمتني فأتيتكم بشيء؟!

قد يتوهم البعض: أن ثمة تناقضاً بين ما تقوله الزهراء، وما يقوله علي «عليه السلام»، فعلي يقول: «ألا أعلمتني فأتيتكم بشيء؟! فهذا يدل على أنه يرى أنه يستطيع الحصول على شيء من الطعام.

لكن الزهراء «عليها السلام» تقول: «إني لأستحي من إلهي أن أكلفك ما لا تقدر عليه». وهذا يدل على يقينها: بأنه «عليه السلام» لا يستطيع الحصول على شيء.. فكيف نفسر ذلك؟!

ويمكن أن يجاب بما يلي:

أولاً: لعلها «عليها السلام» أرادت أنه لا يقدر على ذلك، لعدم توفر المال في يده فعلاً.. وهو يقول لها: إنه قادر على السعي في تحصيل المال، ولو

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٣ ص ٧٠ ومختصر بصائر الدرجات ص ١٥٤ ومستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٥٤ وج ١٦ ص ٣٠٠ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٤٢ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٤٧٤ وج ٤٠ ص ٣١٨ و ٣٤٠ وج ٦٧ ص ٣٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٣٤ وج ٢٣ ص ٢٧٢ ونهج السعادة ج ٤ ص ٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٠٥ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ١٣٩ وينايع المودة ج ١ ص ٤٣٩.

بالاستدانة، أو بيع سيف، أو درع، أو السعي لإيجاد عمل - كما كان الحال في قصة نزول سورة «هل أتى»، حيث وجد «عليه السلام» من يعطيه ثلاثة أصوع من شعير مقابل غزل جزء صوف، فيكون كل منهما قد تكلم، وفق ما تقتضيه ظواهر الأمور.. لكن كل واحد نظر إلى جانب من القضية.

ثانياً: لعله «عليه السلام» تحدّث وفق ظواهر الأمور التي يجب عليه مراعاتها، حسبما ذكرناه.. لكن الزهراء «عليها السلام» أوردت كلامها وفق علمها بالواقع والنتيجة، حيث يحتمل أنها كانت تعلم بأنه «عليه السلام» حتى لو سعى، فسوف لن يحصل على ما يريد.. وهذا علم لم تستند فيه إلى ظواهر الأحوال، بل تجاوزتها إلى الاطلاع ما وراء الحجب الظاهرية.. وهذا مقام شريف وجليل.

هل كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يملك أموالاً؟!

١ - وهنا سؤال آخر يقول: صرحت الرواية المتقدمة: بأن علياً «عليه السلام» قد استقرض الدينار من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فهل كان النبي «صلى الله عليه وآله» يملك أموالاً يقرضها لهذا أو ذاك؟! وإذا كان الأمر كذلك.. فلماذا لا يعين أخاه وابن عمه، وأبا سبطيه، وزوج ابنته؟! أم يمكن أن يكون «صلى الله عليه وآله» لا يعلم بحاجتهم، ولم يطلع على خصائصهم؟! على خصائصهم؟!

وحين علم بذلك لماذا لم يسوغه ذلك الدينار؟! بل أقرضه إياه؟!

ويجاب:

أولاً: إن وجود دينار في حوزة النبي «صلى الله عليه وآله» لا يدل على

أنه «صلى الله عليه وآله» كان قد ادّخره أو ادّخر غيره من الأموال، فلعله وصل إليه قبل ساعة، أو أقل، أو أكثر من مجيء علي «عليه السلام» إليه.

ثانياً: لعل هذا المال كان مخصصاً لنساء النبي «صلى الله عليه وآله»، فإن نفقتهن واجبة عليه «صلى الله عليه وآله»، أو لعله كان من الودائع عنده «صلى الله عليه وآله»، وقد أجاز له أصحابها الإقراض منها لمن شاء، ولعله، ولعله..

ثالثاً: لقد ورد أن الصدقة بعشر حسنات، والقرض بثمانية عشر^(١). فلعل النبي «صلى الله عليه وآله» أراد أن ينيل علماً «عليه السلام» ثواب القرض. كما أنه يريد أن ينيل علماً ثواب المجاهد في سبيل الله، فإن الكاذب على عياله كالمجاهد في سبيل الله^(٢).

رابعاً: لعله يريد أن يعرف الناس: بأنه إذا دار الأمر بين إعطاء المال للمحتاج القادر على العمل قرضاً يعيده إليه في الوقت المناسب، ليصرف في المورد الذي يعجز فيه أخذه عن العمل، وعن إعادة المال، فإن توفير المال لهذا العاجز هو الأولى والأصوب..

(١) الكافي ج ٤ ص ٣٤ وبحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٣٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ٩ ص ٣٠٠ و (الإسلامية) ج ٦ ص ٢٠٩ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣٦٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ١٢٢ وج ١٨ ص ٢٨٦ و ٢٨٩ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٠١ وألف حديث في المؤمن للنجفي ص ١٠٧ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٩ و ٣٥٠ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ١٩٠ وج ٥ ص ٢٣٩.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٨٨ وراجع: تحف العقول ص ٤٤٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج ١٧ ص ٦٧ و (الإسلامية) ج ١٢ ص ٤٢ وبحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٣٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٧ ص ١٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج ٧ ص ٣٨١.

ولعله لأجل ذلك تصدَّق علي «عليه السلام» بالدينار على المقداد، ولم يقرضه إياه، إذ كان يعلم أن المقداد «رحمه الله» سيكون محرجاً لو كلفه بإعادة الدينار إليه، لصعوبة حصوله على هذا المقدار، بحيث يكون مستغنياً عنه.

٢ - ولعلك تقول: لماذا أعطى علي «عليه السلام» المقداد الدينار كله،

ولم يتقاسمه معه؟!

ويجاب:

أولاً: بأن سبب عدم المقاسمة هو أنه «عليه السلام» أراد الإيثار على نفسه، حتى مع وجود الخصاصة، وهو أمر يحبه الله تعالى.

ثانياً: لعل المقداد كان معيلاً، ويحتاج للدينار لسد جوعة عائلته..

ويلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» سأل علياً «عليه السلام» عما صنع، فأخبره بأمر المقداد، وأنه أعطاه الدينار، فلم يعترض النبي «صلى الله عليه وآله» عليه، ولم يظهر انزعاجاً من فعله هذا.. ولعل ما ذكرناه هو السبب في ذلك، وربما كان هناك سبب آخر، واحداً أو أكثر.

هل عندك شيء نفطر به؟!:

والسؤال الأهم هنا: هو أننا وجدنا النبي «صلى الله عليه وآله» بالرغم من إخبار علي «عليه السلام» إياه بمصير الدينار، وأنه أصبح من نصيب المقداد «رحمه الله»، فإنه «صلى الله عليه وآله» صلى وصلى علي «عليه السلام» معه، فلما قضى صلاته قال: يا أبا الحسن هل عندك شيء نفطر عليه، فنمیل معك؟!

فأطرق عليُّ «عليه السلام» حياءً.. ثم مال معه ليتعشى عنده، فكيف يقرر

النبي «صلى الله عليه وآله» أن ينزل ضيفاً على علي ليتعشى عنده، بعد أن أخبره بمصير الدينار؟!!

وكيف نفسر سؤال النبي إياه: هل عندك شيء نفطر عليه.. والحال، أنه يعلم بأنه ليس عنده شيء؟!!

وبحسب:

بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه، وعلي يعلم: بأنه «صلى الله عليه وآله» ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(١).

وقد صرحت الرواية نفسها: بأن الله عز وجل هو الذي أمر نبيه «صلى الله عليه وآله»: بأن يتعشى تلك الليلة عند علي «عليه السلام».

ومعنى هذا: أن الله تعالى سوف يهيئ لعلي «عليه السلام» ما يقدمه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه تعالى لا يخذل أهل طاعته.. بل هو يسددهم ويحفظهم، ويرفع من شأنهم.

وتصدق علي «عليه السلام» بالدينار، بالرغم من شدة حاجته، وحاجة أهل بيته إليه.. والحسنان «عليهما السلام» منهم - إن تصدّقه هذا - يزيد من كرامته على الله، ومحبته له، وهذا هو حال أهل بيته وأولاده، فإنهم يشاركونه في هذا البذل، ويأنسون به.

من أجل ذلك استحق أهل البيت الكرامة، والتأييد، ووجدوا الزهراء

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

«عليها السلام» في مصلاًها، والجفنة خلفها تفور.

وقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي: «هذا بدل دينارك».

التصدق بفراش الحسنين عليهما السلام:

هناك رواية مطوّلة، سوف نختصرها، ونحاول لفت الأنظار إلى ما يرتبط منها بالحسين «عليها السلام»، وملخص الرواية هو التالي:

عن الصادق «عليه السلام»، عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال ما ملخصه:

إن شيخاً من مهاجرة العرب جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخبره أنه جائع الكبد، وعاري الجسد، وفقير..

فأرسله النبي «صلى الله عليه وآله» إلى منزل من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وهي فاطمة «عليها السلام»، وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه.

فذهب إليها، فأخبرها بحاله، وكان لفاطمة وعلي في تلك الحال، وكذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث ليال ما طعموا فيها طعاماً.. وقد علم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك من شأنها أيضاً..

فأعطته «عليها السلام» جلد كبش مدبوغ بالقرظ (القرظ: شجر يدبغ به. وقيل: هو ورق السلم يدبغ به الأدم) كان ينام عليه الحسن والحسين «عليهما السلام».

فقال لها: ناولتيني جلد كبش، ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب. فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة

بنت عمها حمزة بن عبد المطلب «عليه السلام»، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي لبيعه، فعسى الله أن يعوضه به ما هو خير منه.

فأخذ الأعرابي العقد.. وانطلق به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخبره بما جرى له.

فاشترى عمار بن ياسر هذا العقد من الرجل.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: إن الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك: أنا أبوها، وما أحد من العالمين مثلي، وعلي بعلها، ولولا علي ما كان لفاطمة كفو أبداً، وأعطاهما الحسن والحسين، وما للعالمين مثلها، سيدا شباب أسباط الأنبياء، وسيدا شباب أهل الجنة.

وتستمر الرواية في ذكر ما لفاطمة «عليها السلام» من كرامة وفضل.. ثم تذكر الرواية: أن عماراً أرسل العقد مع مملوك له إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأرسلهما إلى فاطمة، فأعتقت «عليها السلام» ذلك المملوك الخ..^(١).

ونقول:

إننا نشير هنا إلى ما يلي:

أليس الرفق بالحسنين عليهما السلام أولى؟!:

قد يقول قائل: إن الرفق بالحسنين «عليهما السلام» كان أولى من التصديق

(١) بشارة المصطفى ص ٢١٧ - ٢٢١ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٥٦ - ٥٩ عنه، وشرح

إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٩ ص ١١٥.

بفراشهما.. فإن هذا قد يعدُّ تفريطاً بحقهما، من قِبَلِ أبيهما المسؤولين عن رعايتهما وحفظهما. وصغر سنهما يفرض أن يعاملا بالرفق، والرحمة، وتوفير أسباب الراحة لهما.

ويجاب:

أولاً: بأن الأمر يتوقف على تقدير مدى حاجة الفقير، فإن كانت حالته صعبة للغاية، فإن التخلي عن درجة من الرفق لبعض من يعز على الباذل يكون هو الأولى، والأحب إلى الله، إن لم نقل: إنه يتجاوز حدود الاستحباب أيضاً.

ثانياً: لعل الحسين «عليهما السلام» هما اللذان اقترحا على أمهما أن تعطي جلد الكبش للفقير، أو أنها فعلت ذلك لعلمها بأن ولديها سيكونان مسرورين جداً بهذا الفعل، وتكون رغبتهما بالبذل أكثر بكثير من رغبتهما بالاستفادة من جلد الكبش..

وقد ذكرنا فيما سبق: أن الحسين «عليهما السلام» قد بذلا طعامهما للأسير حتى بعد مضي ثلاثة أيام بلياليها، لم يذوقا فيها طعاماً، لا في ليل، ولا في نهار.. وقد أنزل الله تعالى سورة «هل أتى» في الثناء عليهما وعلى والديهما بسبب فعلهما هذا، مع أن حال الحسين «عليهما السلام» في تلك الواقعة قد تكون أشد، وأدعى للشفقة والرحمة.

ثالثاً: يلاحظ: أن الفقير، وإن كان لم يأخذ جلد الكبش، لأنه رأى أنه لا يحل مشكلته.. ولكن ذلك قد أظهر: حرص الزهراء «عليها السلام» التي بذلت فراشاً لولدين صغيري السن، ليس لهما نظير.. على تحصيل رضا الله

تعالى، وكان رضاه سبحانه عندها أولى من الانسياق مع عاطفة الأمومة.
وأثبتت: أن على المرأة - كما الرجل -: أن تلجأ إلى عقلها، ووجدانها،
وما يرضي ربها، فتتخذ قرارها بالإعطاء والمنع من خلال هذه الأمور.. لا
أن تنساق مع عاطفتها، وعصبيتها، وميلها للقريب والحبيب.. فإن مصالح
العباد لها منطلقات، أو غايات يعود أمر تحديدها لرب العباد..

رابعاً: لو أن ذلك الفقير رضي بجلد الكبش، فمن الذي قال: إن الزهراء
«عليها السلام»، إذا رأت أن ثمة خطراً يهدد الحسين «عليهما السلام»
سوف تحجم عن بيع العقد، وتنفق ثمنه في معونتهما ومؤونتهما، ولا سيما إذا
لم يذوقا شيئاً منذ ثلاثة أيام.

النبي صلى الله عليه وآله كان يعلم:

واللافت هنا: أن الرواية تصرح: بأن علياً وفاطمة «عليهما السلام» كان
قد مضى عليهما ثلاثة أيام لم يذوقا فيها طعاماً.
وقد صرحت الرواية: بأن النبي «صلى الله عليه وآله»، كان يعلم ذلك
من حالهما «عليهما السلام».

وهذا يدعو إلى التساؤل الذي يقول: إذا كان «صلى الله عليه وآله»
يعلم بأنه قد مضت على علي والزهراء «عليهما السلام» ثلاثة أيام لم يذوقا
فيها طعاماً.. فلماذا أرسل إليهما هذا الفقير الجائع يا ترى؟! ولماذا لم تبع عقدها
لتأكل هي وزوجها؟!

وسؤال آخر يقول: لماذا أرسله إلى ابنته، لا إلى بيوت أزواجه؟!

ونجيب:

أولاً: بالنسبة للسؤال الثاني نقول:

لعله «صلى الله عليه وآله» علم أنه لو أرسله إلى بيوت الأزواج، فسيعود خائباً، ولن يجد استجابة من أي منهن.. إذ لم يكن على استعداد لبيع فراش، أو قلادة، أو أي شيء مما بحوزتهن من أجل فقير..

والزهراء «عليها السلام» فقط هي التي تبذل وتضحى في سبيل الله، وتجهد في تلبية طلب رسول الله، ولا تخيب سائلاً جاء من قبله.

ثانياً: بالنسبة للسؤال الأول نقول: لم تكن الزهراء «عليها السلام» تريد أن تبيع عقدها لتنفق ثمنه على نفسها، وزوجها.. بل كانت تريد أن تنفقه على الآخرين، ربما لأنها ترى: أن عليها حفظهم، وإنعاش الأمل في نفوسهم، ورسم البسمة والبشر على شفاههم، وفي وجوههم.

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل ذلك الفقير الجائع إلى ابنته، مع أنه كان يعلم: أنها لم تذق هي وزوجها طعاماً منذ ثلاثة أيام، كما أنه يعلم: أنها «عليها السلام» ادّخرت عقدها لمثل هذا الإيثار.. فأراد أن ينيلها ثواب هذا الإيثار، ويدخل السرور على قلبها، وقلوب من هم على مثل رأيها، ويترقبون ما تترقب، ويرغبون بما ترغب..

الحسان عليها السلام عطية إلهية لفاطمة عليها السلام:

وتقدم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الحسنين «عليهما السلام»: إنها عطية إلهية للزهراء «عليها السلام»، «وما للعالمين مثلها»، وأنها سيدا شباب أسباط الأنبياء، وسيدا شباب أهل الجنة.

وهذا يعطي:

١ - أنهما «عليهما السلام» لم يكن لهما نظير في الفضل، والعلم، والخلق، والدين، والاستقامة، وسائر المزايا.. فقد جعل إعطاء الحسين للزهراء «عليهم السلام» بموازاة إعطائها أبوته، وليس في العالمين أب مثله.. وإعطائها علياً «عليه السلام» زوجاً، وهو أخو الرسول، بل هو نفسه، كما في آية المباهلة..

فهذه الفريدة، والامتياز الظاهر لهما، قد ثبتتا لهما «عليهما السلام»، حتى وهما في ذلك السن..

٢ - إن الله تعالى لا يمتن بالعصاة له، ولا بالجهلة، والطائشين، بل هو يمقت هؤلاء، ويطردهم من يعصي الله، ومن يشاغب، ويؤذي، ولا يسجل ثناء على من سوف يصبح كذلك ولو بعد حين.

ولذا لم يمتن على نوح بابنه، ولا على آدم بقايل، ولا على نوح ولوط بزوجتيهما، ولا على النبي «صلى الله عليه وآله» بأبي لهب، مع أن ما عاناه آدم ونوح ولوط يستحق التقدير والمكافأة..

ولكنه تعالى يمتن على إبراهيم بإسماعيل، وعلى يعقوب بيوسف، ويمتن على الزهراء بالحسن والحسين «عليهم السلام»، لأنهما إمامان معصومان في غاية الكمال الأخلاقي، والإنساني، والعلمي، والإيماني والسلوكي. ولأنهما سيدا أسباط الأنبياء، وسيدا شباب أهل الجنة.

٣ - يلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يشر إلى عطايا لمزايا ذاتية لشخص السيدة الزهراء «عليها السلام»، مثل العقل الكبير، والعلم الغزير، وعمق الإيمان، والعصمة، وغير ذلك من مزايا وكمالات إنسانية وأخلاقية،

لأن ذلك متحقق فيها بأجل وأتم مظاهره، وهذه المزايا هي التي تجلت في استضافتها لذلك الرجل الجائع، وما جرى مع المسكين واليتيم والأسير، وفي كثير من المواقف في عهد الرسول، وبعد وفاته..

ولأجل ذلك اقتصر «صلى الله عليه وآله» على ذكر العطايا الإلهية لها، مما يكون من خارج ذاتها، ولا يكون من ميزات الشخصية التي اختارتها هي لنفسها، وسعت لها، وحصلت عليها، فتفضل الله تعالى عليها بها بناء على ذلك.

٤ - والهدف من بيان هذه المزايا والعطايا للزهراء «عليها السلام»: هو ترغيب الناس بالاعتداء بها، والاستفادة من علومها ومعارفها، واستخلاص الدروس والعبر من مواقفها.

٥ - لكن الأمر المؤسف هو أن الناس لم ينصفوها، ولم يحفظوا فيها وصية رسول الله «صلى الله عليه وآله» بل جهلوا حقها، واعتدوا عليها، وارتكبوا منها ما زاد في خزيهم، وأظهر سفاهة أحلامهم، وعقم تفكيرهم، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

الفصل الثالث

جبرئيل باعك الناقة، واشتراها ميكائيل..

الحسين عليه السلام والأعرابي:

عن خالد بن ربيعي قال: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» دخل مكة في بعض حوائجه، فوجد أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا صاحب البيت، البيت بيتك، والضيف ضيفك، ولكل ضيف من ضيفه قرى، فاجعل قراري منك الليلة المغفرة.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأصحابه: «أما تسمعون كلام الأعرابي؟! قالوا: نعم.

فقال: الله أكرم من أن يرد ضيفه.

فلما كانت الليلة الثانية وجده متعلقاً بذلك الركن وهو يقول: يا عزيزاً في عزك، فلا أعز منك في عزك، أعزني بعز عزك، في عز لا يعلم أحد كيف هو، أتوجه وأتوسل إليك، بحق محمد وآل محمد عليك، أعطني ما لا يعطيني أحد غيرك، واصرف عني ما لا يصرفه أحد غيرك.

قال: فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأصحابه: هذا والله الاسم الأكبر بالسريانية، أخبرني به حبيبي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، سأله الجنة فأعطاه،

وسأله صرف النار وقد صرفها عنه.

قال: فلما كانت الليلة الثالثة وجدته وهو متعلق بذلك الركن، وهو يقول: يا من لا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان، بلا كيفية كان، ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم.

قال: فتقدم إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: يا أعرابي سألت ربك القرى فقراك، وسألته الجنة فأعطاك، وسألته أن يصرف عنك النار وقد صرفها عنك، وفي هذه الليلة تسأله أربعة آلاف درهم؟!!

قال الأعرابي: من أنت؟!!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال الأعرابي: أنت والله بغيتي، وبك أنزلت حاجتي.

قال: سل يا أعرابي.

قال: أريد ألف درهم للصدّاق، وألف درهم أقضي به ديني، وألف درهم أشتري به داراً، وألف درهم أتعيش منه.

قال: أنصفت يا أعرابي، فإذا خرجت من مكة، فاسأل عن داري بمدينة الرسول.

فأقام الأعرابي بمكة أسبوعاً، وخرج في طلب أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى مدينة الرسول، ونادى: من يدلني على دار أمير المؤمنين علي؟!!

فقال الحسين بن علي من بين الصبيان: أنا أدلك على دار أمير المؤمنين، وأنا ابنه الحسين بن علي.

فقال الأعرابي: من أبوك؟!

قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قال: من أمك؟!

قال: فاطمة الزهراء، سيدة نساء العالمين.

قال: من جدك؟!

قال: رسول الله، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

قال: من جدتك؟!

قال: خديجة بنت خويلد.

قال: من أخوك.

قال: أبو محمد الحسن بن علي.

قال: لقد أخذت الدنيا بطرفيها، امش إلى أمير المؤمنين وقل له: إن

الأعرابي صاحب الضمان بمكة على الباب.

قال: فدخل الحسين بن علي «عليه السلام»، فقال: يا أبة، أعرابي بالباب،

يزعم أنه صاحب الضمان بمكة.

قال: فقال: يا فاطمة، عندك شيء يأكله الأعرابي؟!

قالت: اللهم لا.

قال: فتلبس أمير المؤمنين «عليه السلام» وخرج، وقال: ادعوا لي أبا

عبد الله سلمان الفارسي..

قال: فدخل إليه سلمان الفارسي، فقال: يا أبا عبد الله، أعرض الحديقة

التي غرسها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لي على التجار.
قال: فدخل سلمان إلى السوق وعرض الحديقة، فباعها باثني عشر ألف درهم. وأحضر المال، وأحضر الأعرابي، فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهماً نفقه.

ووقع الخبر إلى سؤال المدينة، فاجتمعوا، ومضى رجل من الأنصار إلى فاطمة «عليها السلام» فأخبرها بذلك.

فقلت: أجرك الله في ممشاك.

فجلس علي «عليه السلام» والدراهم مصبوبة بين يديه حتى اجتمع إليه أصحابه، فقبض قبضة قبضة، وجعل يعطي رجلاً رجلاً، حتى لم يبق معه درهم واحد.

فلما أتى المنزل قالت له فاطمة «عليها السلام»: يا ابن عم، بعت الحائط الذي غرسه لك والدي؟!!

قال: نعم، بخير منه عاجلاً وآجلاً.

قالت: فأين الثمن؟!!

قال: دفعته إلى أعين استحيت أن أذها بذل المسألة قبل أن تسألني.

قالت فاطمة: أنا جائعة، وابنائي جائعان، ولا أشك إلا وأنتك مثلنا في الجوع، لم يكن لنا منه درهم؟!!

وأخذت بطرف ثوب علي «عليه السلام»، فقال علي «عليه السلام»: يا فاطمة، خليني.

فقلت: لا والله، أو يحكم بيني وبينك أبي.

فهبط جبرئيل «عليه السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال:
يا محمد، السلام يقرؤك السلام، ويقول: اقرأ علياً مني السلام، وقل لفاطمة:
ليس لك أن تضربي على يديه.

فلما أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منزل علي وجد فاطمة ملازمة
لعلي «عليه السلام»، فقال لها: يا بنية ما لك ملازمة لعلي؟!

قالت: يا أبة، باع الحائط الذي غرسته له باثني عشر ألف درهم، لم
يجبس لنا منه درهماً نشترى به طعاماً.

فقال: يا بنية، إن جبرئيل يقرؤني من ربي السلام، ويقول: اقرأ علياً من
ربه السلام، وأمرني أن أقول لك: ليس لك أن تضربي على يديه.

قالت فاطمة «عليها السلام»: فإني أستغفر الله، ولا أعود أبداً.

قالت فاطمة «عليها السلام»: فخرج أبي «صلى الله عليه وآله» في ناحية،
وزوجي في ناحية، فما لبث أن أتى أبي ومعه سبعة دراهم سود هجرية،
فقال: يا فاطمة، أين ابن عمي؟!

فقلت له: خرج.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هاك هذه الدراهم، فإذا جاء ابن
عمي فقولي له يبتاع لكم بها طعاماً.

فما لبثت إلا يسيراً حتى جاء علي «عليه السلام»، فقال: رجع ابن
عمي، فإني أجد رائحة طيبة؟!

قالت: نعم، وقد دفع إليّ شيئاً تبتاع به لنا طعاماً.

قال علي «عليه السلام»: هاتيه، فدفعت إليه سبعة دراهم سوداً هجرية،

فقال: بسم الله، والحمد لله كثيراً طيباً، وهذا من رزق الله عز وجل، ثم قال:
يا حسن قم معي.

فأتيا السوق، فإذا هما برجل واقف وهو يقول: من يقرض المليّ الوفي؟!
قال: يا بني نعطيه؟!

قال: إي والله يا أبه.

فأعطاه علي «عليه السلام» الدراهم.

فقال الحسن: يا أبتاه، أعطيته الدراهم كلها؟!

قال: نعم يا بني، إن الذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير.

قال: فمضى علي بباب رجل يستقرض منه شيئاً، فلقيه أعرابي ومعه
ناقة، فقال: يا علي اشتر مني هذه الناقة.

قال: ليس معي ثمنها.

قال: فإني أنظرك به إلى القبض.

قال: بكم يا أعرابي؟!

قال: بمائة درهم.

قال علي: خذها يا حسن.

فأخذها، فمضى علي «عليه السلام»، فلقيه أعرابي آخر، المثال واحد،

والثياب مختلفة، فقال: يا علي تبيع الناقة؟!

قال علي: وما تصنع بها؟!

قال: أغزو عليها أول غزوة يغزوها ابن عمك.

قال: إن قبلتها فهي لك بلا ثمن.

قال: معي ثمنها، وبالثمن أشتريها، فبكم اشتريتها؟!!

قال: بمائة درهم.

قال الأعرابي: فلك سبعون ومائة درهم.

قال علي «عليه السلام»: خُذ السبعين والمائة، وسلّم الناقة والمائة للأعرابي، الذي باعنا الناقة، والسبعين (!!) لنا نبتاع بها شيئاً^(١).

فأخذ الحسن «عليه السلام» الدراهم، وسلم الناقة.

قال علي «عليه السلام»: فمضيت أطلب الأعرابي الذي ابتعت منه الناقة لأعطيه ثمنها.

فرايت رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالساً في مكان لم أراه فيه قبل ذلك ولا بعده، على قارعة الطريق، فلما نظر النبي «صلى الله عليه وآله» إليّ تبسم ضاحكاً حتى بدت نواجذه.

قال علي «عليه السلام»: أضحكك الله سنك، وبشرك بيومك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: يا أبا الحسن، إنك تطلب الأعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه الثمن؟!!

فقلت: إي والله فذاك أبي وأمي.

فقال: يا أبا الحسن، الذي باعك الناقة جبرئيل، والذي اشتراها منك ميكائيل، والناقة من نوق الجنة، والدراهم من عند رب العالمين عز وجل،

(١) لعل تقدير الكلام هنا: ودع السبعين لنا نبتاع بها شيئاً.

فأنفقها في خير، ولا تخف إقتاراً^(١).

ونقول:

هذا الحدث بدأ في مكة:

صرحت الرواية المتقدمة: بأن بدايات ما جرى كان في مكة، وصرحت أيضاً: بأن الحسن والحسين «عليهما السلام» كانا لا يزالان طفلين، وبأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد شارك فيما جرى..

وهذا يدلنا على أن ما جرى كان في أواخر حياة النبي حين أصبح الحسان «عليهما السلام» بعمر أربع إلى ست سنوات.. لاسيما، وأن دخول مكة لم يكن متيسراً لعلّي وأصحابه قبل الفتح.

فهل كان دخول علي «عليه السلام» وأصحابه إلى مكة حين نزول سورة براءة مثلاً، التي حملها أمير المؤمنين «عليه السلام» بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المشركين من أهلها؟!

أم أن ذلك كان في سفرة أخرى إليها بعد فتحها في سنة ثمان للهجرة؟! أو أن ذلك كان في نفس فتح مكة، حيث كان علي «عليه السلام» يتواجد مع سائر ذلك الجيش خارجها، ليكون قريباً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يدخل إلى مكة لقضاء بعض الحوائج؟!

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٤ - ٤٧ والأمالى للصدوق المجلس ٧٧ (ط مؤسسة البعثة) ص ٥٥٣ - ٥٥٧ وروضة الواعظين ص ١٢٤ - ١٢٦ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٧ ومدينة المعاجز ج ١ ص ١١٣ - ١١٩ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٦٧ - ٢٧٠.

كل ذلك محتمل، ولعل الاحتمال الأخير أولى بالاعتماد، وإن كان ما لدينا من النصوص لا ينهض بتأكيد أو تفنيد أي من هذه الاحتمالات.

ويتأكد ترجيح الاحتمال الأخير، بملاحظة: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن وحده، بل كان معه أصحاب، كما صرحت به الرواية نفسها.

الاسم الأكبر بالسريانية:

وتقول الرواية المتقدمة: إن علياً «عليه السلام» وصف ما دعا به الأعرابي في اليوم الثاني بقوله: «هذا والله الاسم الأكبر بالسريانية».. مع أن الأعرابي لم يتكلم بالسريانية، بل تكلم بلسان عربي فصيح وصریح لا لبس فيه، فكيف نفسر ذلك؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن ثمة روايات تقول:

١ - عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال: إِنَّا أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى، وأمثاله العليا، وآياته الكبرى^(١).

٢ - وهناك روايات أخرى عن الأئمة «عليهم السلام» تقول: إنهم «عليهم السلام» أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى^(٢)..

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٦ و ٤٧ عن منتخب بصائر الدرجات.

(٢) البرهان (تفسير) (ط قم سنة ١٣٩٣ هـ) ج ٢ ص ٥٢ و (ط مؤسسة البعثة) ج ٢ ص ٦١٧ و ج ٣ ص ٦٧٨ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٤٢ والكافي ج ١ ص ١٤٣ والمختصر ص ١٣٦ و ٢٢٨ ومدينة المعاجز ج ١ ص ٥٥٦ وبحار الأنوار ج ٩١ ص ٦ و ج ٢٥

وإن أسماءهم أحب الأسماء إلى الله تعالى^(١).

٣ - عن الإمام الكاظم «عليه السلام»: أنه دعا في يوم السابع والعشرين من شهر رجب، فقال: «فنسألك به، وباسمك الأعظم الأعظم، الأعظم، الأجل الأكرم، الذي خلقته فاستقر في ظلك، فلا يخرج منك إلى غيرك»^(٢).

٤ - في رواية: أن خيرياً سأل باسم الله الأعظم، فعبر على الماء، فرأى علياً «عليه السلام» دعا بالاسم الأعظم، فجمد الماء، وسار عليه.. فلما تساءلا، قال الخيري: دعوت باسم الله الأعظم.

فقال له «عليه السلام»: ما هو؟!.

قال: سألت باسم وصي محمد.

فقال «عليه السلام»: سألت باسم وصي محمد، وأنا وصي محمد^(٣).

ص ٥ وج ٢٧ ص ٣٨ ومستدرك الوسائل ج ٥ ص ٢٣٠ ومرآة العقول ج ٢ ص ١١٦

ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٣٩٠ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج ١

ص ٣٣٥ ونور الثقلين (تفسير) ج ٢ ص ١٠٣ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٥ ص ٢٥١.

(١) البرهان (تفسير) (ط قم سنة ١٣٩٣ هـ) ج ٢ ص ٥٢ و (ط مؤسسة البعثة) ج ٢

ص ٦١٨ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٤٨ وج ٣٧ ص ٧٧ وج ٩١ ص ٢١ ومستدرك

الوسائل ج ٥ ص ٢٢٨ والإختصاص ص ٢٢٣ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٣٩٠

وج ٥ ص ١٧٢.

(٢) مصباح المتعبد ص ٨١٥ والمزار لابن المشهدي ص ١٩٨ والمصباح للكفعمي ص ٥٣٦

ومفاتيح الجنان ص ٢٥٤ والبلد الأمين ص ١٨٤ و ١٨٥ وإقبال الأعمال لابن طاووس

ج ٣ ص ٢٧٧.

(٣) مستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ١٦٩ عن كتاب السلسيل ص ١٣٧ مع بعض التصرف

وبعد ما تقدم نقول:

صرح الخبر الثالث المتقدم: بأن الاسم الأعظم مخلوق لله سبحانه، وأن الله خلقه فاستقر في ظله تعالى، فلا يفارقه إلى غيره، والنبى «صلى الله عليه وآله» وعلي هما اسم الله الأعظم، وأهل بيته الطاهرون هم أسماء الله الحسنى، وكذلك علي «عليه السلام».

فهؤلاء المخلوقات العظيمة هي دلائل عظمة الله تعالى، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وهم يشيرون إلى صفات الله تعالى، ويعرّفون المخلوقات به تعالى خير وأدل تعريف، تماماً كما يدل الاسم على المسمى، والصفة على الموصوف. وهذا بالذات ما خضعت له الملائكة، وسلّمت به في قصة السجود لآدم، حين علّمه الله تعالى الأسماء كلها، فإنها أسماء تدل على عظمته تعالى، وقدرته وحكمته وسائر صفاته.. وهي أسماء أهل البيت «صلوات الله وسلامه عليهم». وقد رأينا: أن الإمام علياً «عليه السلام» قد وصف الدعاء الذي دعا به الأعرابي: بأنه تضمن الاسم الأعظم، وهو إنما تضمن سؤال الله تعالى بمحمد وآل محمد مما يعني: أن هؤلاء هم الاسم الأعظم في السريانية.

لا حق لأحد على الله سبحانه:

وهناك من يحاول التشكيك في هذا الدعاء ونظائره، بزعم: أنه قد سأل الله تعالى بحق محمد وأهل بيته «عليهم السلام»، مع أن الله تعالى هو المتفضل على جميع العباد، وله الحق عليهم، وهو حق الخالقية، والنعمة، والرزق، والتدبير،

والرعاية، وما إلى ذلك، وليس لأحد حق عليه تعالى.

وهذا كلام غير سديد، ولا رشيد..

وقد يأتي في موضع آخر من هذا الكتاب ذكر طائفة من الشواهد، والنصوص عن المعصومين «عليهم السلام» حول الحقوق المختلفة للمخلوقات على الله تعالى، الأمر الذي يدحض هذا الكلام.

ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما يلي:

الأول: أن هذا القائل ربما كان يتدأى على الناس بهذا النوع من الاستدلالات الباطلة، باعتبار: أن هدفه هو المنع من التوسل بأهل البيت «عليهم السلام»، لأنه لا يرى لهم من المقام عند الله، ما يدعو إلى قبول التوسل بهم، أو لأنه متأثر بأقوال من يرى أن هذا التوسل بهم «صلوات الله عليهم» من مفردات الشرك المخرج من الدين..

الثاني: لو أردنا أن نحسن الظن بمقاصد هذا القائل، فلا بد من أن يحمل كلامه على أنه لم يفهم معنى السؤال بحق النبي، أو الوصي الولي، فتوهم: أن المراد بالحق، ما يكون من قبيل حق الوالد على ولده، أو حق الرب على المربوب. مع أن هذا من الخطأ الفاحش.. فإن المراد هو عكس ذلك تماماً، وهو حق الولد على والده، وحق المربوب على ربه، والمخلوق على خالقه، من الرعاية والحفظ، والتسديد، والتأييد، والعون، والنصرة، وما إلى ذلك..

وقد صرحت الروايات أيضاً: بأن من حق الولد على والده: أن يسميه بالاسم الحسن، وأن يعلمه القرآن، ويفقهه في الدين، ويربيه تربية صالحة، والنصيحة، وغير ذلك..

ومن حق المخلوق على خالقه: أن يستجيب دعاءه إذا توفرت الشرائط، وأن يهيئ له أسباب الهداية، وأن يقبل توبته، وما إلى ذلك..

وتختلف حالات الناس مع خالقهم، من حيث الطاعة والمعصية، والقرب والبعد، والعلم والجهل، وغير ذلك..

ومن حق النبي والوصي: أن يشفعه الله تعالى في من يشفع بهم من العصاة، وأن يستجيب دعاءه فيما يرتبط بحاجات العباد إلى الهداية والرعاية، وأن يشفي المرضى بدعائه، وغير ذلك..

الإمام لا يلهو ولا يلعب:

تقول الرواية المتقدمة: إن الحسين «عليه السلام» أجاب الأعرابي من بين الصبيان، وعرفه بنفسه، ومضى معه ليدله على دار علي «عليه السلام».. فقد يتوهم متوهم: أنه «عليه السلام» كان يلعب مع أترابه..

ونجيب:

أولاً: بأن الحضور بين الصبيان، لا يعني أنه حضور هو ولعب.. فلعله حضور تعليم، وتوعية، وتهذيب، كحضور المعلم بين الصبيان، وحضور الأب والأم بين أولادهما.

ثانياً: تقدم في فصل: «لا يلعب المعصوم»: أن الإمام «عليه السلام» لا يلهو ولا يلعب..

وذكرنا أيضاً: أن المعصوم قد يتصرف بنحو قد يظنه بعض الناس لعباً، وهو إنما يفعل ذلك في سياق تفكره في بديع صنع الله، والتدبر في أسرار الخلق، واستخلاص العبر والعظات..

إخبارات عن الغيب:

وقد رأينا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد أخبر أصحابه، ثم أخبر الأعرابي بعد ذلك: بأن الله تعالى قد غفر له ذنوبه، وأعطاه الجنة، وصرف عنه النار، وسأله المال فأعطاه إياه.

فكيف عرف علي «عليه السلام» هذه الأمور الغائبة عنه؟!!

هل سمع ذلك من النبي «صلى الله عليه وآله»؟!!

أو أنه اطلع على ذلك من حديث الملائكة، الذين يطلعون على لوح المحو

والإثبات؟!!

أو أنه هو نفسه يطلع على اللوح مباشرة؟!!

أو بغير ذلك من أسباب؟!!

هذا ما لا نملك جواباً محدداً عليه، إلا أننا نعلم أن الروايات صرحت:

بأن الأئمة «عليهم السلام» يحصلون على خصائصهم في الإمامة منذ ولادتهم

«صلوات الله عليهم»، بل قبلها.. مثل: العلم، والعصمة، ورؤية أعمال الخلائق،

والشهادة على الخلق، وغير ذلك من خصائص له في ذاته، وما يحتاجه في

إشرافه وتديره لشؤون الأمة..

وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في الجزئين المتقدمين من هذا الكتاب.

اللقاب وأوصاف في عهد الرسول:

١ - وقد لاحظنا: تكرار ذكر علي «عليه السلام» بوصف أمير المؤمنين،

فقد ذكر بهذا الوصف أو اللقب عدة مرات على لسان الأعرابي والإمام الحسين

«عليه السلام».. وهذا يدل على شيوع هذا اللقب بين الناس في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى على لسان الأعراب، الذين لم يروا أمير المؤمنين «عليه السلام» في حياتهم..

وهذا يشير إلى أن الآخرين الذين جاؤوا إلى الحكم بالقوة والقهر، وتسموا بإمرة المؤمنين قد سرقوا هذا اللقب من صاحبه الحقيقي، وأطلقوه على أنفسهم.

٢ - وفي هذا السياق نلاحظ: اهتمام الإمام الحسين «عليه السلام» بتعريف نفسه لذلك الأعرابي باسمه، وبأنه ابن أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، فهل أراد أن يقنعه بأنه جاد في تبرّعه بإيصال الأعرابي إلى مقصده، وأنه لا يتلعب به، كما ربما يفعله بعض الأطفال بالرجل الغريب؟!..

أو ليؤكد له: أنه يعرف بيت أمير المؤمنين «عليه السلام» بلا ريب.

٣ - يلاحظ: أن الأعرابي استطرد في أسئلته للإمام الحسين «عليه السلام»، فسأله عن أمه، وجدده وجدته، وأخيه..

ويلاحظ: أن أجوبة الإمام «عليه السلام» قد تضمنت أموراً لافتة، فقد:

ألف: وصف أباه: بأنه أمير المؤمنين.

ب: وصف أمه: بأنها سيدة نساء العالمين.

ج: وصف جدده بأنه رسول الله.

د: ذكر أخاه مكنياً له بأبي محمد.

كما أنه قد ذكر الأسماء منسوبة إلى الآباء بصورة تامة وواضحة، ومن دون أي إخلال، أو إنقاص يحتاج ذلك الأعرابي معه إلى الاستفسار عنه..

وبذلك يكون قد أعطى ذلك الأعرابي درساً في الوعي، والدقة، ورعاية

الأدب في التعريف بالأشخاص، بإعطاء كل ذي حق حقه.

كما أنه يكرس في وجدان ذلك الأعرابي: فضل وامتياز أهل البيت، وموقعهم من هذا الدين، فحسب علي أنه أمير المؤمنين، وحسب فاطمة أنها سيدة نساء العالمين، وحسب جده أنه خاتم رسل الله.. كما أن أخاه ليس كسائر الأطفال، بل يجب احترامه وإجلاله، ولو بأن يذكره بكنيته قبل ذكر اسمه.

٤ - غير أننا وجدنا في الرواية: أن علياً «عليه السلام» قد كنى سلمان، ثم سماه باسمه، ثم وصفه بالفارسي المحمدي.. مع أننا نجد في بعض الروايات عنهم «عليهم السلام» قولهم: لا تقولوا: سلمان الفارسي، ولكن قولوا: سلمان المحمدي^(١).

فهل قال «عليه السلام» ذلك قبل صدور هذا التوجيه من النبي «صلى الله عليه وآله»، وقبل أن تظهر العصبية في العرب ضد غير العرب؟! أو لأن المقصود هو النهي عن إطلاق كلمة الفارسي على سلمان على سبيل الإنتقاص.. فإذا لم يكن كذلك، فلا مانع من وصفه بالفارسي أيضاً..

أنصت يا أعرابي:

١ - إن التأمل في مضمون الرواية المتقدمة يعطي: أن ذلك الأعرابي لم

(١) روضة الواعظين ص ٢٨٣ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٢٧ و ٣٤٩ واختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ١ ص ٥٤ ونهج الإيمان ص ٥٨٩ ونفس الرحمن ص ١٢٣ و ١٧٢ والأمالى للطوسي ص ١٣٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ١٣١ والدرجات الرفیعة ص ٢٠٩ وبشارة المصطفى للطبري ص ٤١١ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٥.

يكن رجلاً عادياً.. فأدعيته تدل على أنه رجل عالم، عارف باسم الله الأعظم بالسرانية..

كما أن أسئلته للإمام الحسين «عليه السلام» قد يفهم منها: أنه يبحث عن أمر جليل يجول في خاطره، ويريد تأييده، وتأكيد، وتشيد دعائمه، وترسيخ أركانه، فإن أحداً لا يخطر على باله أن يسأل عن الجد والجدة، والأخ، والأب، والأم، وما إلى ذلك.. إن لم يقصد بذلك التدقيق والمراجعة للانطباع الذي تكون لديه..

وقد أظهر قوله لأمير المؤمنين: من أنت؟! أنه لم يكن يعرف شخصه قبل ذلك الوقت. ولكنه يعرف عنه ما حوّله أن يقول له: «أنت والله بغيتي، وبك أنزلت حاجتي».. فلعل أسئلته هذه تهدف إلى تحصيل الطمأنينة لصحة ما توصل إليه، وعوّل عليه..

٢ - كما أن هذا الأعرابي كان متوازناً ومنصفاً في مطالبه، فقد طلب أربعة أمور، كلها معقولة، ومقبولة، فطلب:

أولاً: ما يرتبط بمعنى العفة، وكبح جماح الشهوة، وتهيئة عوامل السكينة النفسية، ووضع الأسس الصحيحة لبناء الأسرة في خط الاستقامة والصلاح، فطلب من أجل ذلك كله وسواه: ألف درهم لصداق المرأة التي يتزوجها..

وقد يقول قائل: لقد كان يكفيه أن يتزوج امرأة بمئة أو بضع مئات من الدراهم، فلماذا طلب ألف درهم؟!

ويجاب:

بأن هذا أيضاً من دلائل حكمته، وعلو همته، وأنه لا يريد الزواج من

أي امرأة عرضت له، بل يريد أن يتزوج من أهل البيوتات المحموده، وذوي الهمم العاليه، والرشيده، التي تعنى بتربية أبنائها، وتهتم بصون كراماتها، وتمتاز بأصالتها، وتفاخر بعفتها، وطهارتها..

ثانياً: لقد طلب ما يصون به ماء وجهه، ويحفظ كرامته، ويؤكد المعنى الإنساني فيه، ويجسد معنى الوفاء، وحفظ الجميل، وأنه يريد أن يعيش مرفوع الرأس، عزيزاً مرضياً، وشهماً سرياً.. فطلب ألفاً يقضي بها دينه.

ثالثاً: ثم طلب ألفاً مثلها.. يدفع بها غائلة العجز عن مواجهة حاجات ومتطلبات، وضرورات الحياة، فإن الزواج، وإنشاء الأسرة يحتاج إلى استقرار، وثبات، وإلى دار تجمع وتصون، وتدفع غائلة الوقوع في المديونية من جديد، مع ما يستبطن ذلك من احتمالات العجز عن الوفاء.. والإنسان العاقل يأبى ذلك لنفسه أشد الإباء، لأن المديونية تسلب منه راحته، وتقوِّض سعادته، وتضعه في مواجهة الأخطار التي تهدم سؤدده، أو تطيح بكرامته وعزته، وتلقي به إلى متاهات الفقر والعوز، وتفرض عليه المذلة، وتؤدي به إلى المهانة.

رابعاً: ثم كان الألف الرابع ضرورياً له أيضاً ليتخذ منه مصدراً للعيش بكرامة، ووسيلة لصون ماء الوجه، وتحاشي ابتذاله بالسؤال..

فكل ذلك يدل على أن ذلك الأعرابي كان حكيماً، صحيح الفكر، ومتوازناً إلى حد بعيد، ويكفيه قول أمير المؤمنين «عليه السلام» له: أنصفت يا أعرابي.

٣ - ولا بأس بلفت النظر أيضاً إلى أن استدراج أمير المؤمنين «عليه السلام» لذلك الرجل ليذكر خطته في الأربعة آلاف ربما كان هدفه أن يتعلم الناس منه درساً في المسؤولية، والحكمة والإنصاف، وعدم الجنوح إلى الطمع،

وضرورة تدبير المعيشة.. وأن تكون الأهداف مقبولة ومعقولة، وصحيحة، حتى لو كان الطلب من الله تبارك وتعالى.

لماذا يعيد الأعرابي السؤال؟!:

ويلاحظ: أن الحسين «عليه السلام» كان قد أخبر الأعرابي باسمه، واسم أبيه، ولكن الأعرابي عاد، فقال له: من أبوك؟! ثم تمادى في أسئلته، حسبما تقدم بيانه، فلِمَا فعل الأعرابي ذلك يا ترى؟!:

ويمكن أن يجاب بما يلي:

١ - لعل سبب ذلك: أنه أراد أن يتأكد من أن هذا الطفل هو ابن أمير المؤمنين بالمباشرة، وليس من ذريته: بأن يكون ابن ابنه مثلاً، كما أنه ليس ابنه بالرعاية، والمحبة، والتربية.. فأخبره «عليه السلام»: أنه ابنه على الحقيقة، وبالمباشرة.

٢ - إنه قد يكون ابن علي على الحقيقة، ولكنه ليس من نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسأله عن أمه، من هي؟!:

٣ - ثم يتابع ذلك الأعرابي أسئلته لكي يتوثق من الأمر، ويحاصر جميع الاحتمالات الأخرى، فسأله عن جده، وجدته وأخيه.

يزعم الأعرابي:

وتقول الرواية: إن الحسين «عليه السلام» قال لأبيه: أعرابي بالباب، يزعم: أنه صاحب الضمان بمكة الخ..

والسؤال هو: لماذا قال: يزعم أنه صاحب الضمان؟!:

ويجاب:

بأن الحسين «عليه السلام» لم يكن حاضراً في مكة حين إعطاء الضمان للأعرابي، فيحتمل أن يكون هذا أعرابياً آخر قد سمع ما جرى، فبادر إلى ادّعاء أنه هو صاحب الضمان.. فكان لا بد للحسين «عليه السلام» من أن يتكلم بطريقة لا تفيد الحتم والجزم، فلو ظهر أنه ليس هو الشخص المطلوب، فإن ذلك قد يفتح باب التجني على الإمام «عليه السلام»، بادّعاء: أن الحسين «عليه السلام» شهد للرجل بالأمر، وهو إمام معصوم.. وأنكر ذلك أبوه، بادّعاء: أنه ليس هو الشخص التي حصل الاتفاق معه.

الزهراء عليها السلام لا تنازع علياً عليه السلام:

وذكرت الرواية: أن الزهراء «عليها السلام» قد نازعت علياً «عليه السلام»، وأخذت بثوبه، لكي ترفع أمره إلى أبيها.. لأنه باع الحائط ووزع ثمنه على الفقراء، ولم يُبَقِّ لها ولا لبنائها، ولنفسه درهماً تشتري به طعاماً..

فجاء جبرئيل بالحكم لصالح علي «عليه السلام»..

فقالت «عليها السلام»: فإني أستغفر الله، ولا أعود أبداً.

فكيف تفعل الزهراء «عليها السلام» ذلك؟!!

وهل هي طامعة بالمال حقاً، إلى حد أنها تنازع أمير المؤمنين «عليه السلام»،

طمعاً بالحصول على درهم؟!!

ونجيب:

أولاً: إن الزهراء «عليها السلام» تقول لعلي «عليه السلام» بعد استشهاد

أبيها «صلى الله عليه وآله»، ويؤيدها أمير المؤمنين في ذلك: «ولا خالفك منذ عاشرتني»^(١).

ويقول علي «عليه السلام»: «فوالله ما أغضبته، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبته ولا عصت لي أمراً الخ...»^(٢).

ثانياً: إن ما جرى في قضية المسكين واليتيم والأسير، ونزول سورة هل أتى.. وكذلك ما جرى في نزول قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٣)، وبذاتها طعام ولديها للرجل الذي اعتبرته ضعيفاً، وغير ذلك... إن ذلك كله، وسواه - يعطي: أن الزهراء لا تنازع علياً «عليهما السلام» أبداً بصورة جدية.

ثالثاً: يبدو لنا: أن هذه القصة قد يكون لها نصيب من الحقيقة، باعتبار أن ما فعله علي «عليه السلام» في ثمن الحديقة كان أمراً علنياً، مشهوداً، لا بد أن يذاع ويشاع.. لاسيما وأن جيشاً من السائلين والفقراء قد استفاد من ذلك المال، ويفترض أن يصبح هذا الذي جرى حديث الكبير والصغير، وقد يتجاوز حدود المدينة إلى بلاد أخرى.

وهذا أمر لا يستسيغه أهل الدنيا، ولا يضعونه في دائرة الصواب، وربما

(١) راجع: روضة الواعظين ص ١٥١.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٢٥٦ و (ط مركز النشر الإسلامي) ٣٥٣ وكشف الغمة

ج ١ ص ٣٦٣ و (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٣٧٣ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٣٤

وبيت الأحزان ص ٥٣.

(٣) الآية ٩ من سورة الحشر.

رموا فاعله بالسفه والطيش، واتهموه بالتبذير الذي يؤزر عليه فاعله، ولا يؤجر.
وهذا معناه: أن هذا العمل بدل أن يكون أمثلة تدعو إلى الخير، والبذل
والعطاء، والاهتمام بأصحاب الحاجة.. تصبح من أسباب البخل، والامتناع
عن البذل بصورة مبررة ومقبولة لدى أصحاب الأموال، وطلاب الدنيا..
وتضيق أهداف آية الإيثار مع الخصاصة، وأهداف سورة هل أتى، وسواهما.
فكان لا بد من حلّ لهذه المعضلة، ويأتي الحل صريحاً وحاسماً، وأن يكون
من رب الأرض والسماء.. فكان هذا التنازع الظاهري الذي يراه الناس
طبيعي، بل ضرورياً.. فجاء جبرئيل «عليه السلام» بالحل القاطع، والبرهان
الساطع.. بعد أن مهدت الزهراء «عليها السلام» لظهور هذا التأييد الإلهي
الحاسم لهذا الإيثار.. وتآلف علي والزهراء، وابناهما «عليهم السلام» في
سماء الزهد والإيثار، وحب الخير، ليكونوا الأسوة، والقدوة، على مدى
العصور والدهور..

يا بني نعطيه؟!

وقد كان للإمام الحسن «عليه السلام» نصيب مهم جداً في هذا الذي
جرى، فإنه «عليه السلام» حين أخذ الدراهم الهجرية التي منحه إياها
رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ذهب بها إلى السوق، وقد اصطحب ولده
الإمام الحسن، فوجدا محتاجاً يسأل الناس، فقال لابنه: يا بني، نعطيه؟!
قال: إي والله يا أبة.

فأعطاه علي «عليه السلام» الدراهم.

فقال الحسن: يا أبتاه، أعطيته الدراهم كلها؟!

قال: نعم يا بني، إن الذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير.
ونلاحظ هنا ما يلي:

١ - إنه «عليه السلام» انتدب ولده الإمام الحسن «عليه السلام» ليذهب معه إلى السوق، وترك الحسين «عليه السلام».. ربما لأن المطلوب: هو أن يستفيد الناس من الإمام الحسن «عليه السلام»: العبرة والفكرة، حين يشارك في صنعها، لأنه هو الإمام للأمة بعد أبيه مباشرة.. أما فعلية إمامة الإمام الحسين فتأتي بعد إمامة أخيه.

ومن المعلوم: أن المطلوب هو أن يرى الناس: الاندفاع الشديد، واللهفة ممن هو بسن السادسة أو السابعة على بر الفقراء، وإيثارهم بطعامه، بالرغم من شدة جوعه وحاجته إليه، ليعرفوا أن هذا جزء من تكوينهم، ومن فطرتهم، ومن موجبات سعادتهم، وأنهم لا يتكلفونه، ولا يتخلون عنه في أي ظرف وحال..

٢ - يلاحظ: أن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يبادر إلى إعطاء ذلك المحتاج، بل سأل ولده أولاً، إن كان يعطيه.. فأجاب بالإيجاب، مؤكداً ضرورة ذلك بالقسم بالذات الإلهية.

٣ - إنه «عليه السلام» لم يسأل ولده عن مقدار ما يعطي ذلك الفقير، بل بادر إلى إعطائه جميع ما معه، لأن قَسَمَ الإمام الحسن «عليه السلام» بالذات الإلهية قد أظهر أنه سيكون مسروراً وسعيداً جداً بهذا العطاء، فلم تبق حاجة إلى السؤال عن المقدار.

٤ - إن سؤال الإمام الحسن أباه «عليهما السلام» عن مقدار ما أعطاه لم

يكن سؤال إنكار، بل هو سؤال استفسار، ليعلم: أنه «عليه السلام» لم يدّخر شيئاً لنفسه، بل بذل كل ما عنده.. بدليل القسم الذي تقدمت الإشارة إليه.

٥ - إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد ضمّن جوابه قاعدة إيمانية، يريد للناس أن لا يغفلوا عنها، فأضاف قوله: «إن الذي يعطي القليل قادر أن يعطي الكثير».

وهذه الفقرة تفهم بنحوين غير متناقضين، فلا ينبغي أن يتوهم ذلك:

الأول: أن الله الذي أعطى هذا القليل، سوف يخلف على المعطي بالكثير في الدنيا، لأنه وضع هذا القليل، في هذا الموضع الذي يحبه تبارك وتعالى.

الثاني: أن الذي يتصدق بالقليل قادر على التصدق بالكثير، ولا يمنعه من ذلك إلا شح نفسه، الذي يجب محاربته، ورفض الانصياع له.

انتهى الجزء الثالث من كتابنا: سيرة الحسن عليه السلام في الحديث والتاريخ..

ويليه الجزء الرابع

الفهرس

٥	الفصل الخامس: لماذا عائشة؟!
٧	بداية:
٧	تعلمين يا عائشة!!:
٨	علي أحب إلى الله، وإلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
١٢	عائشة ليست أحب:
١٨	علي عليه السلام ينظر إلى الله!! والله ينظر إليه:
٢٠	مع النبي في الجنة!!:
٢٢	أساس الغرفة وأطرافها وموقعها وبياضها:
٢٤	هل هذا جبر الهي؟!:
٢٧	إشارات ولمحات:
٣٠	إبطال الكيد، والعبث بالحقائق:
٣١	الباب السادس: كبار.. حتى في عهد الرسول
٣٣	الفصل الأول: يشهدان.. ويبايعان
٣٥	بداية:

٣٥	الشهادة على كتاب ثقيف:
٣٧	سؤال يحتاج إلى جواب:
٣٨	فوائد وعوائد، ودلالات:
٤٠	الشهود على كتاب ثقيف:
٤٠	الضامن هو الله ورسوله:
٤١	مضامين الكتاب:
٤٣	لأجل هذا أشهدهم:
٤٤	الشهادة والإمامة:
٤٦	بيعة الرضوان:
٤٩	ابن الزبير لم يبايع صغيراً:
٥٠	ابن جعفر، وابن عباس:
٥١	هل التكليف منوط بالتمييز؟!:
٥٨	حقيقة البيعة:
٥٩	الفصل الثاني: حديث المباهلة: نصوص وآثار
٦١	بداية:
٦٢	من روايات حديث المباهلة:
٦٤	وفد نجران يحاور رسول الله ﷺ:
٧٥	كتاب مصالحة النجرانيين:
٧٧	الفصل الثالث: وقفات مع حديث المباهلة

- ٧٩ المفيد وابن شهر آشوب يتحدثان:
- ٨٠ متى كانت المباهلة؟!:
- ٨١ حديث المباهلة متواتر:
- ٨٣ المباهلة بالخمسة دون سواهم:
- ٨٦ لماذا هؤلاء فقط؟!:
- ٨٧ تأويلات سقيمة:
- ٩٢ النجرانيون لا يباهلون أهل البيت عليه السلام:
- ٩٦ لمحات في آية المباهلة:
- ١٠٣ تشويهاً المنار للحقيقة:
- ١٠٥ الروايات الشيعة راجت على أهل السنة:
- ١٠٩ إعادة الاعتبار للخوارج:
- ١١٢ النساء والأنفس وعلي وفاطمة:
- ١١٧ لا نساء ولا أبناء مع النجرانيين:
- ١١٨ المطلوب في المباهلة:
- ١٢٠ المراد بالعلم:
- ١٢١ تدعون أبناءنا، وتدعو أبناءكم:
- ١٢٣ كيف يدعو النبي ﷺ نفسه؟!:
- ١٢٥ الفصل الرابع: ترهات وشبهات حول الأبناء:
- ١٢٧ أبناء المسلمين، أم أبناء الرسول؟!:

- الحسنان عليهما السلام أبناء الرسول ﷺ: ١٣١
- آية المباهلة آخرستهم: ١٣٥
- الإستدلالات مأخوذة من الأئمة عليهم السلام: ١٤٠
- قصة ذكوان بين الوجدان والسياسة: ١٤٤
- الفصل الخامس: إمامة وكرامة... ١٤٧
- أتحبهم يا رسول الله؟! : ١٤٩
- حب الحسين عليهما السلام: ١٥٠
- أنا سلم لمن سالمهم: ١٥٢
- من هو الصديق؟! : ١٥٣
- هذا الحديث فاجأ البعض: ١٥٥
- القوس العربية لماذا؟! : ١٥٦
- ردئ الولادة وطيب الولادة: ١٥٨
- لماذا الخيمة والقوس؟! : ١٥٩
- آثار ونتائج: ١٦٠
- حزقة.. عين بقة: معناه ومغراه: ١٦٤
- أبو هريرة: عدو لعلي عليه السلام وأهل بيته: ١٦٧
- لا يلعب ولا يرقص: ١٦٨
- هذه معاني رديئة: ١٦٩
- هدية الأعرابي للحسن والحسين عليهما السلام: ١٧٢

- إدراك الحيوانات: ١٧٤
- المعصوم لا يلعب ولا يلهو: ١٧٥
- أمر يحتاج إلى تأمل: ١٧٦
- الكرامات: ١٧٧
- الفصل السادس: الحسن عليه السلام في آية التطهير ١٧٩
- الحسن في آية التطهير وحديث الكساء: ١٨١
- متى حصل ذلك: ١٨٥
- الاحتجاجات بآية التطهير: ١٨٦
- ما المراد بالبيت؟! : ١٨٧
- نساء النبي لسنّ من أهل بيته: ١٩٠
- حديث الكساء لا يخالف القرآن: ١٩٧
- ليذهب عنكم، وتطهروا: ثلاث قرائن: ٢٠٢
- لماذا الحسن عليه السلام في آية التطهير؟! : ٢٠٦
- الفصل السابع: حديث سد لأبواب ٢١٣
- نصوص وآثار: ٢١٥
- حديث سد الأبواب: ٢١٥
- وقفة مع النصوص المتقدمة: ٢٢٠
- بين الشريعة والقانون: ٢٢٣
- الطهارة والإمامة: ٢٢٧

- ٢٢٨..... اعتراض الحمزة والعباس:
- ٢٣٠..... حدثان لا حدث واحد:
- ٢٣١..... السنن الإلهية:
- ٢٣٥..... الفصل الثامن: الحسان ﷺ في حديث الغدير..
- ٢٣٧..... الحسين ﷺ يوم الغدير:
- ٢٣٩..... لا ينحصر الأمر ببيعة الغدير:
- ٢٤٠..... تحصين نصوص الإمامة:
- ٢٤٤..... الأسئلة الذكية:
- ٢٤٤..... الحديث المؤلم:
- ٢٤٥..... سمات وملحات أخرى:
- ٢٤٦..... الإشهاد على ما جرى والإلزام بنقله:
- ٢٤٧..... العبدان الصالحان من هما؟!:
- ٢٥٠..... ليس المراد هؤلاء:
- ٢٥١..... إرادة الحسنين ﷺ أصوب:
- ٢٥٣..... الباب السابع: إثارة وشهامة..
- ٢٥٥..... الفصل الأول: الحسان ﷺ في سورة هل أتى..
- ٢٥٧..... الحدث الرائع:
- ٢٥٩..... لماذا بلا طعام ثلاثة أيام؟!:
- ٢٦١..... لماذا بذل الصائمون كل ما عندهم؟!:

- ٢٦٤..... هذا هو محور كلامنا:
- ٢٦٥..... إطعام المسكين:
- ٢٦٧..... الجملة الاعتراضية:
- ٢٦٨..... لماذا تنوين التنكير؟!:
- ٢٦٩..... التدرج أظهر الكوامن:
- ٢٧٠..... المسكين أولاً:
- ٢٧٠..... اليتيم في اليوم الثاني:
- ٢٧٤..... الأسير في اليوم الثالث:
- ٢٧٩..... الفصل الثاني: الحسان عليهما السلام في إيثار آخر..
- ٢٨١..... مثالان فقط:
- ٢٨١..... ما عندنا إلا قوت الصبية:
- ٢٨٣..... شأن نزول آية الإيثار:
- ٢٨٥..... آية الإيثار تحدثت عن أشخاص:
- ٢٨٦..... أرسل إلى بيوت أزواجه:
- ٢٨٧..... الضيف.. والإيثار:
- ٢٨٨..... المؤثرون على أنفسهم:
- ٢٩٠..... عجب الرب:
- ٢٩١..... يمضغان بألستهما:
- ٢٩٢..... علي يعطي الدينار للمقداد:

- المواساة لمن بالحجاز واليهامة: ٢٩٥
- ألا أعلمتني فأتيتكم بشيء: ٢٩٩
- هل كان النبي ﷺ يملك أموالاً؟! : ٣٠٠
- هل عندك شيء نفطر به؟! : ٣٠٢
- التصدق بفراش الحسين عليهما: ٣٠٤
- أليس الرفق بالحسين عليهما أولى؟! : ٣٠٥
- النبي ﷺ كان يعلم: ٣٠٧
- الحسان عليهما عطية إلهية لفاطمة عليها: ٣٠٨
- الفصل الثالث: جبرئيل باعك الناقة، واشتراها ميكائيل ٣١١
- الحسين عليه والأعرابي: ٣١٣
- هذا الحدث بدأ في مكة: ٣٢٠
- الاسم الأكبر بالسريانية: ٣٢١
- لا حق لأحد على الله سبحانه: ٣٢٣
- الإمام لا يلهو ولا يلعب: ٣٢٥
- إخبارات عن الغيب: ٣٢٦
- ألقاب وأوصاف في عهد الرسول: ٣٢٦
- أنصفت يا أعرابي: ٣٢٨
- لماذا يعيد الأعرابي السؤال؟! : ٣٣١
- يزعم الأعرابي: ٣٣١

- الزهاء ع لا تنازع علياً ع: ٣٣٢
- يا بني نعطيه؟! : ٣٣٤
- الفهرس ٣٣٧